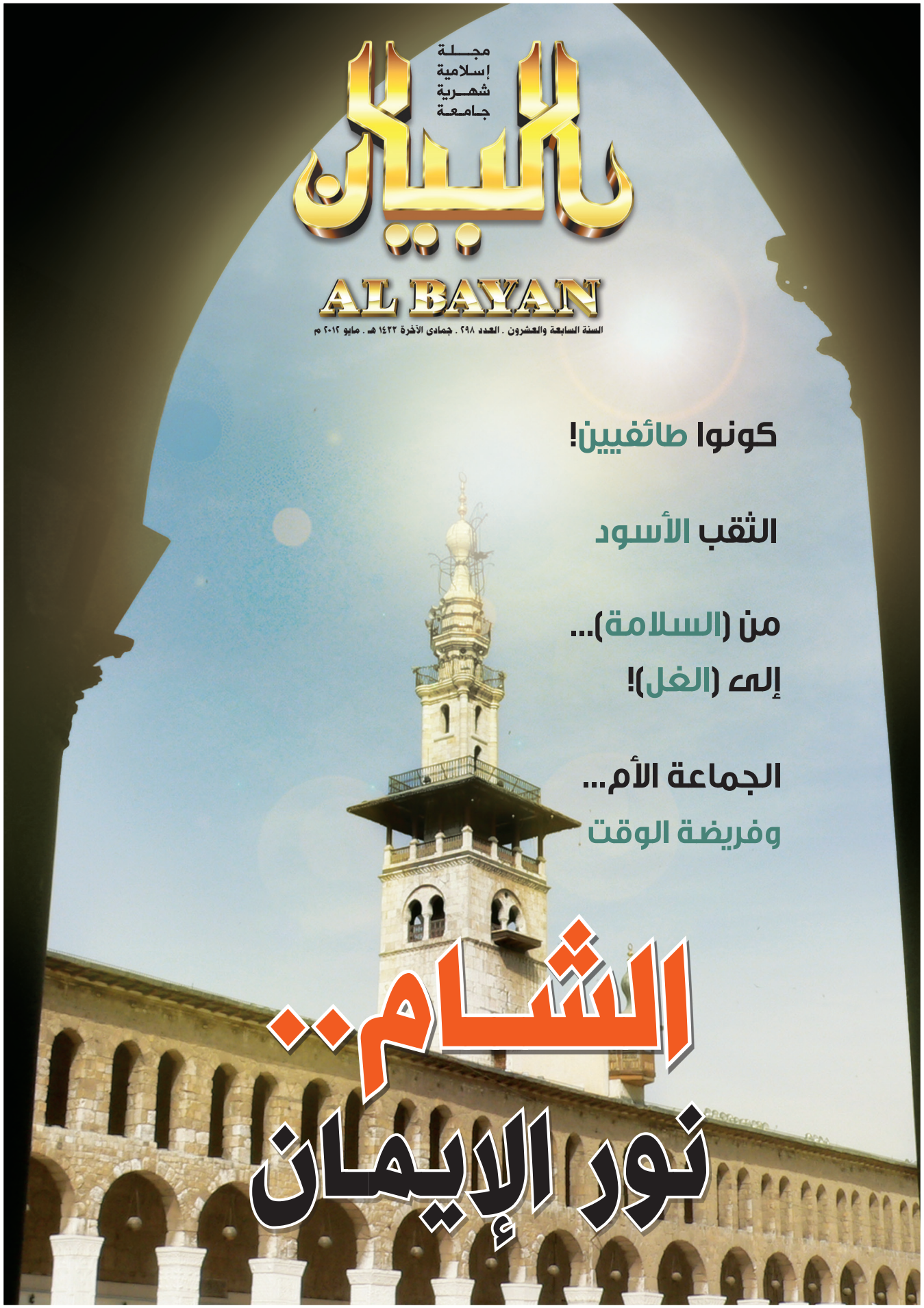
مجلة
إسلامية
شهرية
جامعة
البيان
AL BAYAN
السنة السابعة والعشرون . العدد ٢٩٨ . جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ . مايو ٢٠١٢ م
كونوا طائفيين!
الثقب الأسود
من (السلامة)...
إلى (الغل)!
الجماعة الأم...
وفريضة الوقت
الشام..
نور الإيمان

استعادة مقاييس الصحة والجمال

الآن

أقرب من أي وقت مضى..

وحدة جراحات السمنة

بإشراف الدكتور محمد با وهاب
استشاري جراحة السمنة

وحدة جراحة التجميل والحروق

بإشراف الدكتور أيمن فرحات
استشاري جراحة التجميل

مستشفى أبها الخاص
Abha Private Hospital

www.aph.med.sa

مجلة البيان
إسلامية . شهرية . جامعة

الافتتاحية

٤ **كونوا طائفيين!**
التحرير

العقيدة والشريعة

٦ **الموازنة بين المصالح والمفاسد... فقه دقيق**
د. هاني بن عبد الله الجبير

١٢ **استيعاب المقالات وتحرير النزاع عند أبي العبّاس**
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

بلِّغوا عني ولو آية

١٤ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ **الجماعة الأم... وفريضة الوقت**
د. عبد العزيز كامل

قضايا دعوية

٢٠ **تسطيح العمل الخيري مسؤولية من؟**
عبد الرحمن بن محمد العقيل

٢٤ **نظرة متأنية في معادلة التغيير الاجتماعي والسياسي**
السنوسي محمد السنوسي

قضايا تربوية

٢٨ **النفس المتسامحة.. عطاء بلا حدود**
عبد العزيز الشامي

معركة النص

٣٢ **من (السلامة)... إلى (الغل)!**
فهد بن صالح العجلان

ملف العدد

٣٦ **سورية: مشكلات العمل السياسي وآفاق التغيير**
د. بشير زين العابدين

٤٢ **عسكرة الثورة في سورية.. عنوان مضلل**
نبيل شبيب

٤٦ **سورية تستصرخكم يا أيها المسلمون!**
مجاهد مأمون ديرانية

٥٠ **العلماء ودورهم في نصرة أهل الشام**
د. محمد بن موسى العامري

خدمة العملاء

السعودية
ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.
الهاتف الموحد: ٩٢٠٠٠٤٥٤٨
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
خدمة العملاء مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير
editors@albayan.co.uk
خدمة العملاء
sub@albayan.co.uk
التسويق
sales@albayan.co.uk
العلاقات العامة
pr@albayan.co.uk

المـوزعـــون

الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٢٧٧٣٣.
الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩ هاتف : ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .
سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ **المنامة:** ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١ .
السعودية : الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
السودان: الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣.
قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ – ٤٥٥٧٨١١ – ٤٥٥٧٨١٢ – فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٢٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء : ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥
تونس: الشركة التونسية للصحافة، ت ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٠٠٤

رئيس التحرير
أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير
د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير
أحمد بن عبد العزيز العامر
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
د. يوسف بن صالح الصغير
فهد بن صالح العجلان
د. أحمد بن عبد المحسن العساف
فيصل بن علي أحمد الكاملي

سكرتير التحرير
إسلام السيد علي

الإخراج الفني
محمد سالم لرضي

عنوان المجلة على الشبكة العالمية
www.albayan.co.uk

الحسابات

السعودية: مصرف الراجحي
آي بان: SA١٣٨٠٠٠٠٢٩٦٦٠٨٠١٠٠٢١٠٠٧

الاشتراكات

السعودية ودول الخليج	١٢٠	ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا	٤٧	يورو
أوروبا	٥٥	يورو
البلاد العربية وإفريقيا	٤٥	يورو
أمريكا وبقية دول العالم	٥٥	يورو
المؤسسات الرسمية	٦٠	يورو

٥٤ دور العلماء والدعاة في القضية السورية
فايز بن حسين الصلاح
٥٨ الحملة الإسلامية للنصرة.. بداية صائبة للنصرة الإسلامية للثورة السورية
أحمد أبو دقة

المسلمون والعالم

٦٢ الانتخابات الرئاسية المصرية.. تمرين في نظرية المباريات
مصطفى شفيق علام
٦٦ دوافع فيدرالية (برقة) من منظور ليبي
مجدي داود
٧٠ المسلمون المنسيون في دار السلام...!
صلاح محمد أبو زيد
٧٤ مرصد الأحداث
جلال سعد الشايب

قصة قصيرة

٧٩ بقايا امرأة تعيش هناك
مؤمنة معالي

عين على العدو

٨٠ الجيش الصهيوني يُعدُّ العدة لمواجهة قادمة في قطاع غزة
د. عدنان أبو عامر

في دائرة الضوء

٨٢ "المقدس والمدنس" بين الإسلام والنصرانية
د. غازي التوبة

فكرية

٨٦ دراسة الأفكار مدخل منهاجي
طارق عثمان

الباب المفتوح

٩٠ جذور العولمة في حركات الاستشراق في القرن (١٩) الميلادي
آدم أديبايو سراج الدين الزكي

نص شعري

٩٣ فتاة تركت السفور
أسامة المحوري

الورقة الأخيرة

٩٤ الشقب الأسود
أحمد فهمي

[كلمة صغيرة]

هم زنادقة!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

لقد أنزل الله تعالى الصحابة - رضي الله عنهم - المكانة الرفيعة وبوأهم المنزلة السامقة، وجعلهم في الفضل درجات ومستويات. فتواترت الأدلة على أن أفضلهم الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم - ثم بقيَّة العشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من أنفق من قبل الفتح من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والعشرة كلهم من أهل بيعة الرِّضوان، الذي وعدهم الله جميعاً بالحسنى: ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]، وهذا ثناء كبير وتزكية عظيمة من رب الأرباب، فهيهات أن يدرك غيرهم هذه الفضيلة؟ وعليه فإنه لا عبرة بعد هذا الوعد الحسن والثناء العطر بما كان من تسلط بعض أعداء الله تعالى عليهم؛ كما هو شأن أعداء الملة والدين من أهل الأهواء والرويبضة، فقد طفقت تلك الحثالة تسدد سهام طعونها نحو خيار الصحابة - رضي الله عنهم - بلمز أفاضلهم، واستمرؤوا الوقيعة في أعراض كوكبة منهم، كان على رأسها بعد الشيخين معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص - رضي الله عنهم أجمعين -، ولكن هيهات!! فقد تواتر عند علماء الأمة أنه لا يشك في جليل قدرهم وعظيم فضلهم إلا مبتدع منافق خبيث[1]، فأصحاب النبي ﷺ هم خير الناس وأفضلهم بعد الأنبياء.

وقد اختصر بيان هذه المكانة الجليلة عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - بقوله: (كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

وتجرؤ بعض أهل الأهواء من المعاصرين ممَّن ينسَب إلى البدعة بأنواعها المختلفة، وممَّن ينسب إلى التيارات الغربية المعاصرة، وأشباههم من المهزومين، على بعض أولئك الأفذاذ، هو في الحقيقة جرح بالنبي ﷺ وجرح في دين الإسلام، كما ثبت ذلك عن الإمام مالك وأبي زرعة الرازي وغير واحد من الأئمة.

إنَّ الانتصار للصحابة - رضي الله عنهم - انتصار للدين، وذبٌّ عن سيد المرسلين، وهو من أوجب واجبات العلماء والدعاة؛ بل هو واجب على كل مسلم يحب الله ورسوله ﷺ، فاللهم انصر مَن نصر الدين.

---

(١) انظر: الكبائر للذهبي (٢٣٦ - ٢٤٠).

كونوا طائفيين!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد كان بعض إخواننا في العراق يتحفظ في الأشهر الأولى للاحتلال الأمريكي من الإشارة إلى النفس الطائفي عند بعض الأحزاب والشخصيات المذهبية والسياسية، حتى إذا فاحت رائحة الاستئثار والخيانة الصفوية، واستحرَّ القتل والاستئصال على الهوية، وأصبحت المليشيات الإيرانية أو المدعومة من إيران تلاحق علماء السنة وخطباءهم وقياداتهم السياسية والقبلية وكفاءاتهم العلمية والعسكرية؛ أدرك أهل السنة في العراق أن أرضهم اختطفت، وأن جميع حقوقهم استلبت، ولم يبق لهم شيء على الإطلاق. حتى بعض السياسيين الذين شاركوا في العملية السياسية لم يسلموا من التصفية والملاحقة والإقصاء، ووجدوا أنفسهم أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن يكونوا خدماً للمشروع الصفوي ويقدموا له كافة صنوف الولاء والتسليم، وإما أن يهمشوا بل ويقتلوا أو يحاكموا بتهم باردة ملفقة!

ومع أن دماء أهل السنة في العراق لا زالت أنهارها تسيل، وجراحاتهم لم تندمل، فها هو ذا المشهد نفسه يظهر جلياً في سورية، ويتكرر بتجليات سياسية متشابهة، فبعض إخواننا في سورية كان يتحفظ في الأشهر الأولى للثورة من الإشارة إلى طائفية النظام السوري لمسوغات اجتهادية كانوا يرونها، فلما تصاعدت الثورة وتمددت في الشارع السوري وخشي النظام من الانهيار، تدخل حزب الله اللبناني بجنوده وسلاحه، ثم تدخلت بعض المليشيات العراقية المسلحة وفتحت الحدود لنقل السلاح والمقاتلين، ثم تدخلت إيران والعراق ببجاحة لا نظير لها، وأصبحتا تقاتلان بقوة لمواجهة الثوار العزَّل، وليس غريباً أن تستدعى الأدبيات والأعمال الطائفية والأعمال المشينة مثل الاغتصاب وقتل الأطفال والتمثيل بالقتلى وإهانة المقدسات.

وما كان سراً في أول الثورة أصبح حقيقة فاضحة لا يمكن إخفاؤها بعد ذلك، فقد تتابعت تصريحات القيادات المذهبية والسياسية لتأييد النظام السوري وتعزيز قواته،

ابتداءً بتصريحات المرشد الأعلى للثورة الإيرانية آية الله خامنئي، وبرئيس الجمهورية الإيرانية أحمدي محمد نجاد، ومروراً بالأمين العام لحزب الله حسن نصر الله، وبرئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، وبمقتدى الصدر.. وأمثالهم.

والمراقب للمشهد الدولي يدرك تواطؤاً مريباً بين المشروع الصفوي وأذرعته السياسية المختلفة، وبعض القوى الدولية، فالولايات المتحدة الأمريكية تسلم العراق غنيمة باردة لإيران، وتتغاضى عن الجرائم الإنسانية في سورية، ووزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف يحذر بكل صفاقة سياسية من حكم أهل السنة في سورية، ويحذر من تسليح الجيش الحر! وصدق المولى جلَّ وعلا: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

إذاً نحن أمام مشروع صفوي طائفي يتكشف يوماً بعد يوم بأبعاده المستفزة وأهدافه الصارخة، ومع ذلك ما زلنا نتهرب من بيان الحقيقة، فعندما نتحدث عن حقوق أهل السنة في إيران أو عن حقوق العرب الأحواز يوبخك بعض إخوانك لأنك - بزعمهم! - تحيي الطائفية، وعندما تتحدث عن القتل والتشريد على الهوية وحملات التطهير المذهبي في العراق، يتهمك بالتعصب والتشدد. وعندما تخبره عن مشاريع إيران في البحرين وغيرها وخلفياتها الحزبية والطائفية وعن حراك وتسليح الحوثيين في اليمن، فأنت في ميزانه طائفي بامتياز، أما حينما تتجرأ في نقد حزب الله وتواطئه مع النظام السوري، فأنت تجتر صراعات تاريخية، وتثير خلافات لا مكان لها، وعندما ترصد التمدد الإيراني في الجزائر ونيجيريا والسنغال وأندونيسيا وبنجلاديش ونحوها من الدول الإسلامية الكبرى، فأنت تقوض الوحدة الإسلامية وتشتت الأمة بالعصبية المذهبية، وعندما ترد على بعض المتطاولين على أمهات المؤمنين والصحابة - رضي الله عنهم أجمعين -؛ فأنت تشغل نفسك بالرد على بعض المغمورين الذين لا يمثلون التيار العام!

وإن تحفظت على دعوات ومجالس التقريب بين السنة والشيعة، وذكرت من الشواهد القديمة والمعاصرة ما يدل على فشلها وعدم صدقيتها؛ صاح بك بعضهم ينهاك عن التثبيط والتخذيل!

والمحصلة أن المشروع الصفوي يستأصل ويهجِّر أهل السنة في بعض البلاد ويُغيّر تركيبتها السكانية، ويخترق بمشاريعه الطائفية دولاً ومناطق أخرى، ويصل إلى الآفاق والأطراف الإسلامية في أفريقيا وجنوب شرق آسيا وآسيا الوسطى وأوروبا الشرقية بدعاته ومشاريعه وسفرائه السياسيين..

أما بعض السياسيين من المنتسبين إلى السنة فيواجه ذلك بالتهدئة والتغافل، وبعض الإسلاميين يطالب بالتسامح والحكمة وضبط النفس، وترتفع الأصوات من هنا وهناك: لا للطائفية.. إياكم والطائفية..!

إنَّ ثمة حقيقة مؤلمة تستحق الحوار الجاد والمراجعة الصادقة، وهي: أن رؤوس المشروع الصفوي من السياسيين وأصحاب العمائم يجاهرون بكل صفاقة ووضوح بأهدافهم السياسية وتطلعاتهم العقدية، ويسقطون بكل استعلاء ومكابرة عباءة التقية بلا تردد، وبعضنا ما زال يجتر أوهاماً لا حقيقة لها البتة، ويتردد حيث يجب الإقدام، ويسكت حيث يجب الكلام. مع أن الدعم المطلق - سياسياً وعسكرياً واقتصادياً - الذي يحظى به النظام السوري المستبد من حلفائه في إيران والعراق ولبنان، ينبغي أن يواجه بمشروع صادق ودعم جاد من أنصار الشعب السوري المرابط.

الموازنة بين المصالح والمفاسد... فقه دقيق

د. هاني بن عبد الله الجبير(*)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد جاءت الشريعة بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها؛ فكل ما دعت إليه فهو خير ومصلحة ونفع، وكل ما نهت عنه فهو شر وفساد وضرر. ومَن تتبَّع أحكام الشريعة، واستقرأ أدلتها ونصوصها وجدها وضعت لمصالح العباد في العاجل والآجل؛ فإن الله - تعالى - يقول: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ويقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾. [الذاريات: ٥٦]

وكذلك في سائر تفاصيل الأحكام يُعقبُها الله - تعالى - بذلك: كقوله بعد آية الوضوء: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]. وبعد الصيام: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وفي القصاص: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ومن ضرورة هذه القاعدة أن ما كان شراً وفساداً فالشريعة لا بدَّ ناهية عنه، زاجرة عن ارتكابه، وما كان خيراً وحسناً فالشريعة آمرة به حاثَّة عليه، (وهكذا ما يراه الناس من الأعمال مقرِّباً إلى الله ولم يشرعه الله ورسوله؛ فإنه لا بد أن يكون ضرره أعظم من نفعه، وإلا فلو كان نفعه أعظم غالباً على ضرره لم يهمله الشارع؛ فإنه حكيم لا يهمل مصالح الدين ولا يفوت المؤمنين ما يقرِّبهم إلى رب العالمين)[1].

ومعظم مصالح الدنيا ومفاسدها يدركها الإنسان؛ فلا يخفى على العاقل أن تحصيل المصلحة ودفع المفسدة حَسَنٌ مطلوب، ومعرفة كون الشيء مصلحة أو مفسدة ظاهرة؛ وإنما الذي يحتاج إلى النظر هو اجتماع (المصالح أو المفاسد) أو (المصالح والمفاسد) في الشيء الواحد وهو محل ما نتناوله منحصراً في خمس مسائل.

(*) قاضي في المحكمة الكبرى في الرياض.

(١) تضمين من مجموع الفتاوى: (١١/٦٢٣).

أولاً: العمل عند تعارض مصلحتين:

إذا تعارضت مصلحتان وازدحمتا بحيث لم يمكن الجمع بينهما وكان لا بد من ترك واحدة منهما للإتيان بالأخرى؛ فالمتعين فعل ما مصلحته أرجح وترك ما مصلحته أقل.

قال - تعالى -: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨].

وقال: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥].

وقال: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥].

قال ابن تيمية: (التعارض بين حسنتين لا يمكن الجمع بينهما، فتقدَّم أحسنهما بتفويت المرجوح كالواجب والمستحب، وكفرض العين وفرض الكفاية، مثل تقديم قضاء الدين المطالَب به على صدقة التطوع، وتقديم نفقة الأهل على نفقة الجهاد الذي لم يتعيَّن وتقديم نفقة الوالدين عليه، كما في الحديث الصحيح: «أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها. قيل: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قيل ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»[١].

وتقديم الجهاد على الحج كما في الكتاب والسُّنة متعين على متعين، ومستحب على مستحب، وتقديم قراءة القرآن على الذكر إذا استويا في عمل القلب واللسان، وتقدم الصلاة عليهما إذا شاركتهما في عمل القلب، وإلا فقد يترجح الذكر بالفهم والوجَل على القراءة التي لا تجاوز الحناجر، وهذا باب واسع)[٢].

وقد ذكر العز بن عبد السلام هذه القاعدة ثم مثَّل لها بأمثلة كثيرة، كالمفاضلة بين طالبي الإمامة والأذان، والإحسان إلى الأبرار أو الفجار، وتقديم إنقاذ الغرقى على أداء الصلوات، وما شرعت له الجماعة على ما لم تُشرَع له[٣]، وكالمفاضلة بين طلب العلم والعبادة، أو الدعوة إلى الله.

ومن تطبيقات ذلك ما رواه عبد الرحمن بن يزيد قال: (ما رأيت فقيهاً قط أقلَّ صوماً من عبد الله بن مسعود فقيل له: لمَ لا تصوم؟ قال: إني أختار الصلاة على الصوم، فإذا صمت ضعفت عن الصلاة)[٤].

فإذا تساوت المصلحتان، أو لم يمكن الترجيح بينهما، فإن الإنسان يخيَّر بينهما فيفعل أيهما شاء إن كان الأمر متعلقاً بذات الإنسان، وإن تعلَّق بغيره فإنه يختار بينهما باستعمال القرعة؛ لأن فيها فضّاً للنزاع وسدّاً لباب العداوة، ومثال ذلك: لو تشاحَّ اثنان في إمامة أو أذان، ولم يكن لأحدهما مرجِّحٌ، أُقرِعَ بينهما، فمن خرجت له القرعة قُدِّم على غيره. قال - تعالى -: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

وقد كان النبي ﷺ إذا خرج في سفر يُقرِع بين نسائه فمن خرج سهمها خرجت معه[٥].

قال ابن حجر: (فائدة القرعة ألَّا يُؤثِر بعضَهُن بالتشهي؛ لما يترتب على ذلك من ترك العدل بينهن)[٦].

ثانياً: العمل عند تعارض المفاسد:

إذا اجتمعت مفسدتان بحيث لم يمكن دفعهما جميعاً، بل كان في دفع إحداهما ارتكاب للأخرى ولا بد، فالمتعين ارتكاب أخفِّهما وأيسرهما لدفع أشدهما.

قال ابن تيمية: (التعارض بين سيئتين لا يمكن الخلو منهما فيدفع أسوأهما باحتمال أدناهما... كتقديم المرأة المهاجرة لسفر الهجرة بلا محرم على بقائها بدار الحرب، كما فعلت أم كلثوم. وكتقديم قتل النفس على الكفر، كما قال - تعالى -: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. فتُقتَل النفوس التي تحصل بها الفتنة عن الإيمان؛ لأن ضرر الكفر أعظم من ضرر قتل النفس، وكتقديم قطع السارق ورجم الزاني وجلد الشارب على مضرة السرقة والزنا والشرب، وكذلك سائر العقوبات المأمور بها؛ فإنما أمر بها - مع أنها في الأصل سيئة وفيها ضرر - لدفع ما هو أعظم ضرراً منها، وهي جرائمها؛ إذ لا يمكن دفع ذلك الفساد الكبير إلا بهذا الفساد الصغير...)[٧].

ومن تطبيقات ذلك ما فعله عبد الله بن حذافة السهمي، - رضي الله عنه - لما عرض عليه ملك النصارى أن يقبِّل رأسه ويخلي له مئة أسير، فقبَّل رأسه[٨].

وفي قصة الخَضِر مع موسى لما خرق السفينة، ولما قتل الغلام شواهد لذلك.

وإذا تساوت المفاسد من كل وجه فيتخير الإنسان.

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٨٢)، وصحيح مسلم (٨٥).
(٢) مجموع الفتاوى: (٢٠/٤٨).
(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: (١/٩١).
(٤) صفة الصفوة: (١/١٨٥).
(٥) صحيح البخاري (٥٢١١)، وصحيح مسلم (٢٤٤٥).
(٦) فتح الباري: (٩/٢٢٢).
(٧) مجموع الفتاوى: (٢٠/٤٩).
(٨) سير أعلام النبلاء: (٢/١٤). وفيه روايات للقصة، منها: أن الأسرى ثلاثمئة أسير، وفيها تقبيل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لرأسه.

ثالثاً: العمل عند تعارض المصالح مع المفاسد:

إذا تعارضت المصلحة مع المفسدة بحيث لم يمكن فعل المصلحة وتحصيلها إلا بارتكاب المفسدة، ولم يمكن دفع المفسدة إلا بتفويت المصلحة، فإنَّ المتعين الموازنة والترجيح بين المصلحة المفوَّتة، والمفسدة المرتكبة، والعمل بمقتضى الترجيح.

يقول العز بن عبد السلام: (إذا اجتمعت مصالح ومفاسد، فإن أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد فعلنا ذلك امتثالاً لأمر الله فيهما؛ لقوله - سبحانه -: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وإذا تعذر الدرء والتحصيل؛ فإن كانت المفسدة أعظم من المصلحة درأنا المفسدة ولا نبالي بفوت المصلحة. قال - تعالى -: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

حرمهما لأن مفسدتهما أكبر من منفعتهما... وإذا كانت المصلحة أعظم من المفسدة حصلنا المصلحة مع التزام المفسدة)[١].

وقال ابن تيمية: (التعارض بين حسنة وسيئة لا يمكن التفريق بينهما، بل فعل الحسنة مستلزم لوقوع السيئة، وترك السيئة مستلزم لترك الحسنة، فيرجَّح الأرجح من منفعة الحسنة ومضرَّة السيئة... مثل أكل الميتة عند المخمصة؛ فإن الأكل حسنة واجبة، لا يمكن إلا بهذه السيئة ومصلحتها راجحة، وعكسه الدواء الخبيث؛ فإن مضرته راجحة على مصلحته من منفعة العلاج؛ لقيام غيره مقامه، ولأن البُرَء لا يتيقن به... وجنس هذا مما لا يمكن اختلاف الشرائع فيه، وإن اختلفت في أعيانه، بل ذلك ثابت في العقل، كما يقال: ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر؛ وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين، وشر الشرين، ويرجِّحون وجود السلطان مع ظلمه على عدم السلطان، كما قال بعض العقلاء: ستون سنة من سلطان ظالم، خيرٌ من ليلة واحدة بلا سلطان... ثم الولاية وإن كانت جائزة ومستحبة، أو واجبة، فقد يكون في حق الرجل المعيَّن غيرها أوجب، أو أحب، فيقدم حينئذٍ خير الخيرين وجوباً تارة، واستحباباً أخرى، ومن هذا الباب تَوَلِّي يوسف الصديق على خزائن الأرض لملك مصر، بل ومسألته أن يجعله على خزائن الأرض وكان الملك وقومه كفاراً كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ﴾ [غافر: ٣٤]. وقال - تعالى - عنه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٤ - ٥٥].

ومعلوم أنه مع كفرهم لا بدَّ أن يكون لهم عادة وسُنة في قبض الأموال وصرفها على حاشية الملك وأهل بيته وجنده ورعيته، ولا تكون جاريةً على سنة الأنبياء وعدلهم، ولم يكن يوسف يمكنه أن يفعل كما يريد، وهو ما يراه من دين الله، فإن القوم لم يستجيبوا له، لكن فعل الممكن من العدل والإحسان، ونال بالسلطان من إكرام المؤمنين ما لم يكن يمكنه أن يناله بدون ذلك)[٢].

ولهذه القاعدة أمثلة وتطبيقات وشواهد من الشرع لا تحصى، منها: أن مفسدة الخمر والميسر أعظم من النفع فيهما ولذا حُرِّمتا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «لولا أن قومك حديثٌ عهدُهم بجاهلية، لهدمت الكعبة ولجعلتها على قواعد إبراهيم»[٣].

وقد أورده البخاري في باب (من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه).

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: (كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا)[٤].

فترك مصلحة كثرة الوعظ والتعليم، خوفاً من مفسدة الفتور والملل.

وقد ذكر العز بن عبد السلام أمثلة لهذا التعارض بلغت ثلاثة وستين مثالاً، منها: الغيبة مفسدة محرَّمة، لكنها جائزة إذا تضمَّنت مصلحة واجبة التحصيل مثل أن يشاور في مصاهرة إنسان، فيذكره بما يكره، كما قال النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس لما خطبها أبو جهم ومعاوية: «إن أبا جهم ضراب للناس، ومعاوية لا مال له»[٥].

وكذلك القدح في الرواة.

وكذلك كشف العورات والنظر إليها مفسدتان محرمتان ويجوزان لما يتضمنانه من مصلحة الختان، أو المداواة[٦].

(١) قواعد الأحكام: (١/١٣٦).

(٢) مجموع الفتاوى: (٢٠/٥٠).
(٣) صحيح البخاري (١٢٦)، وصحيح مسلم (١٣٣٣).
(٤) صحيح البخاري (٦٨)، وصحيح مسلم (٢٨٢١).
(٥) صحيح مسلم (١٤٨٠).
(٦) قواعد الأحكام: (١/١٥٣ - ١٥٥).

ومن تطبيقات هذه القاعدة: ما نُقل عن عبد الملك بن عمر ابـن عبد العزيز - رحمهـم الله -، أنه قـال لأبيه لما ولي الخلافـة: ما لك لا تنفذ الأمور، فوالله ما أبالي لو أن القدور غلـت بي وبـك في الحق، قال: لا تعجل يا بنـي، فإنَّ الله ذم الخمر فـي آيتين وحرمهما في الثالثـة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه جملة[1].

ومن ذلك أيضاً كتمـان العلم الذي أوجب الله - تعالى - نشـره وبثَّه بين الناس إذا كان بعض الناس يقصر فهمه عنه فيكون فتنة، أو يحمله على غير محله.

ولذا قـال علي - رضي الله عنـه -: (حدِّثوا الناس بما يعرفون؛ أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[2].

ولما قال النبي ﷺ لمعاذ: «من لقي الله لا يشـرك به شيئاً دخل الجنة». قال: ألا أبشِّـر الناس؟ قال: «لا، إني أخاف أن يتكلوا»[3].

ولما حـدَّث أنس بن مالك - رضي الله عنه - الحجاجَ بن يوسف بعقوبة النبي ﷺ للعرنيين. قال الحسن البصري: وددت أنه لم يحدِّثه بهذا[4].

ونقل عن أنس أنه قال: ما ندمت على شيء ما ندمت على حديث حدثته الحجاج؛ (وإنما ذلك لأنَّ الحجاج كان مسـرفاً في العقوبة، وكان يتعلَّق بأدنى شبهة)[5].

رابعـاً: حكم المصلحة المتروكة والمفسـدة المرتكبة مما مضى:

المصلحة المتروكة دفعاً لارتكاب مفسـدة أعظم، والمفسدة المرتكبة دفعاً لمفسدة أعظم، والمصلحة التي تركت كذلك لفعل مصلحة أعظم - كما سـبق - ليست على أصلها، بل المصلحة المتروكة مما سـبق ليسـت مصلحة مطلوبة بل هي مفسدة، والسيئة المرتكبة ليست سيئة، بل هي مصلحة مطلوبة.

فلا إثم على تارك المصلحة مما سبق، ولو كانت واجبة، ولا إثم على مرتكب السيئة ولو كانت حراماً.

يقول ابن تيمية: (إذا كان لا يتأتى فعل الحسـنة الراجحة إلا بسـيئة دونها في العقاب ولم يمكن إلا ذلك، فهنا لا تبقى سـيئة؛ فإن ما لا يتم الواجب أو المسـتحب إلا به فهو واجب أو مسـتحب، ثم إن كان مفسـدته دون تلك المصلحة لم يكن محظوراً، كأكل الميتة للمضطر، ونحو ذلك من الأمور المحظورة التي تبيحها الحاجات، كلبـس الحرير في البرد، ونحو ذلك، وهو باب عظيم، فإنَّ كثيراً من الناس يستشـعر سـوء الفعل، ولا ينظر إلى الحاجـة المعارضة له التي يحصل بها من ثواب الحسنة ما يربو على ذلك؛ بحيث يصير المحظور مندرجاً في المحبوب، أو يصير مباحـاً إذا لم يعارضه إلا مجرد الحاجة، كما أن من الأمور المأمور بها إيجاباً أو استحباباً: ما يعارضها مفسدة راجحة تجعلها محرمة أو مرجوحة، كالصيام للمريض، والطهـارة بالماء لمن يخاف عليه الموت كما قال - عليه الصلاة والسـلام -: «قتلوه، قتلهم الله، ألا سـألوا إذ لم يعلموا؛ إنما شفاء العيِّ السؤال»[6].

ويقول أيضاً: (إذا كان في السـيئة حسنة راجحة لم تكن سـيئة، وإذا كان في العقوبة مفسدة راجحة على الجريمة لم تكن حسنة بل تكون سيئة)[7].

ويقـول أيضاً: (الأمر والنهـي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسـدة، فينظر في المعارِض له؛ فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد، أكثر لم يكن مأموراً به، بل يكون محرَّماً إذا كانت مفسدته أكبر من مصلحته)[8].

ولهذا أمر الغلامُ المؤمـنُ الملكَ أن يقتله، ومقصده إظهار الديـن[9]، وجوَّز الفقهـاء للمجاهـد أن ينغمس في صفوف الكفـار، وإن غلب على ظنه أن يُقتل، إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين[10].

وقد أقر النبي ﷺ خالد بن الوليد - رضي الله عنه - على الإمرة، مع أنه كان قد يفعل أحياناً ما لا يرضاه النبي ﷺ؛ لأنه كان أصلح في باب الجهاد من غيره[11].

وملحظ هذا الأمر ما يقرره الشاطبي من أن المصالح في الدنيا مشوبة بمفاسـد، والمفاسد مقترنة بشيء من المصالح، والدنيا كلها وضعت على الامتزاج بين الطرفين، ولا يقدر أحد

(١) الأعلام للزركلي (٥/ ١٠٠)، وقد أشار لهذه القصة ولم يوردها بهذا النص عدد من المؤرخين كابن كثير والذهبي وأما الزركلي فأحال لترجمته لابن رجب، ولذا نقلها بصيغة التمريض وهو مخرج في الحلية لأبي نعيم والزهد لأحمد مختصراً.
(٢) صحيح البخاري (١٢٧).
(٣) صحيح البخاري (١٢٨)، وصحيح مسلم (٣٢).
(٤) صحيح البخاري (٥٦٨٥)، وصحيح مسلم (١٦٧١).
(٥) فتح الباري: (١٠/ ١٤٩).
(٦) مجموع الفتاوى: (٣٥/ ٢٨) والحديث في سنن أبي داود (٣٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٦٢).
(٧) مجموع الفتاوى: (٢٨/ ٢١٢).
(٨) مجموع الفتاوى: (٢٨/ ١٢٩).
(٩) صحيح مسلم (٣٠٠٥).
(١٠) مجموع الفتاوى: (٢٨/ ٤٥٠).
(١١) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٨/ ٢٥٥)، منهاج السنة النبوية: (٤/ ٤٧٩).

على استخلاص جهة منها خالصة، فيكون معنى ذلك: أن قولنا عن الشيء إنه مصلحة أو مفسدة فهو بالنظر إلى ما يغلب منهما، ويقول: (فالمصلحة إذا كانت الغالبة فهي المقصودة شرعاً، ولتحصيلها وقع الطلب على العباد.. وكذلك المفسدة إذا كانت هي الغالبة فرفعها هو المقصود شرعاً، ولأجله وقع النهي)[1].

ويقول ابن تيمية: (فتبين أن السيئة تحتمل في موضعين: دفع ما هو أسوأ منها، إذا لم تُدفَع إلا بها، وتحصل بما هو أنفع من تركها إذا لم تحصل إلا بها. والحسنة تُترَك في موضعين: إذا كانت مفوِّتة لما هو أحسن منها، أو مستلزِمة لسيئة تزيد مضرَّتها على منفعة الحسنة... فإذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما فقُدِّم أوكدهما؛ لم يكن الآخر في هذه الحال واجباً، ولم يكن تاركه لأجل فعل الأوكد تاركُ واجبٍ في الحقيقة.

وكذلك إذا اجتمع محرَّمان لا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل أدناهما، لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرماً في الحقيقة، وإن سمَّى ذلك تَرْك واجبٍ، وسمى هذا فِعْل محرم باعتبار الإطلاق لم يضر، ويقال في مثل هذا: ترك الواجب لعذر، وفعل المحرم للمصلحة الراجحة أو للضرورة أو لدفع ما هو أحرم)[2].

خامساً: كيفية الموازنة بين المصالح والمفاسد:

الموازنة عمل دقيق، تكتنفه عدة مخاطر؛ ولذا فهو يحتاج لفقيه نفس متمكن من علوم الشرع، مستبصر بواقع الحال مدرك لمآلات الأفعال وآثارها.

يقول ابن تيمية: (باب التعارض باب واسع جداً؛ خاصة في الأزمنة والأمكنة التي نقصت فيها آثار النبوة وخلافة النبوة، فإن هذه المسائل تكثر فيها، وكلما ازداد النقص ازدادت هذه المسائل، ووجود ذلك من أسباب الفتنة بين الأمة؛ فإنه إذا اختلطت الحسنات بالسيئات وقع الاشتباه والتلازم، فأقوام قد ينظرون للحسنات فيرجِّحون هذا الجانب وإن تضمن سيئات عظيمة، وأقوام قد ينظرون للسيئات فيرجِّحون الجانب الآخر وإن ترك حسنات عظيمة، والمتوسطون الذين ينظرون الأمرين قد لا يتبين لهم أو لأكثرهم مقدار المنفعة والمضرة، أو يتبيَّن لهم، فلا يجدون من يعينهم للعمل بالحسنات وترك السيئات لكون الأهواء قارنت الآراء)[3].

وقبل أن نذكر وجوه الترجيح وموجِّهات الموازنة فلا بد أن ننبه هنا إلى أن المعيار الصحيح لإدارك المصالح والفاسد هو الكتاب والسنة، وهذا أمر تدركه الفطر السليمة، والعقول الصحيحة؛ ولذا فالمعتبَر في معرفه المصلحة هو النص الشرعي، فإن الشرع لا يهمل مصالح العباد.

يقول ابن تيمية: (معيار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة؛ فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقلَّ أن تحوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدلالتها)[4].

ومن المصالح والمفاسد ما يكون الترجيح بينهما بالتقريب؛ لأنها (لا وقوف على مقاديرها وتحديدها)[5]، وبذلك فهي من موارد الاجتهاد التي يختلف فيها النظر بين المجتهدين، فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد.

إلا أن المطلوب من الناظر عند الموازنة أن يستوفي النظر غير غافل عن أي وصف مؤثر. يقول ابن تيمية: (الورع المشروع هو أداء الواجب وترك المحرَّم، وليس هو ترك المحرم فقط... ومن هنا يغلط كثير من الناس فينظرون ما في الفعل من كراهة توجب تركه ولا ينظرون ما فيه من جهة أمر توجب فعله)[6].

وسبب ذلك أن من الناس من ينظر للفساد الموجود في الفعل والذي يحمله على تركه، ولا ينظر إلى ما يعارض من المصلحة الراجحة.

والمطلوب من الناظر ألَّا يغفل عن أي وصف للحال أو المآل، ويتحرى الصواب، مع الاستشارة؛ فإن الصواب قد يظهر لقوم ويغيب عن آخرين، وينبذ الهوى فإن في اتباعه مضادة للصواب، ويستعمل الإخلاص وحُسْنَ القصد وسلامة القلب فإن الموازنة مزلة قوم، ومدحضة فهم، وكثيراً ما يقع فيه الاختلاط.

---

(١) الموافقات: (٢/٢٦).
(٢) مجموع الفتاوى: (٢٠/٤٨).
(٣) المرجع السابق.
(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/١٢٩).
(٥) قواعد الأحكام الصغرى، ص ١٠٠.
(٦) مجموع الفتاوى: (٢٩/٢٧٩).

ومن المرجحات التي يمكن ذكرها هنا لعملية الموازنة ما يلي:

١ - ترجيح الشـــارع لجنسٍ أو نوع من العمل على غيره: مثال ذلك: أن الشـــرع جاء بتقديم الدعـــوة إلى تصحيح الاعتقاد قبل تعلُّم أحكام العبـــادات، فدل على أن العناية بتقرير مسائل العقيدة أهم من العناية بتقرير مسائل الشريعة.

وكذلك فإن تقديم الشـــرع لبر الوالدين على الجهاد (غير المتعين) يدل على رجحان النفقة على الوالدين على نفقة الجهاد الذي لم يتعين.

٢ - النظـــر في قيمة المصلحة وترتيبها: فالمصالـــح قد تكون ضرورية أو حاجية أو تحســـينية، والمفاسد تتعلق بها كذلك، وأعلى المقاصد هو حفظ الدين من جانب الوجود ومن جانب العدم، ثم النفس، ثم العقل ثم النسل، ثم المال كذلك.

وكل مصلحة منها لها تتمة وتكملة لحكمته ونفعه، فيراعى عند الموازنة هذه المفاضلة. يقول الشاطبي: (الجهاد مع ولاة الجور قال العلماء بجوازه. قال مالك: لو ترك ذلك لكان ضرراً على المسلمين؛ فالجهاد ضروري، والوالي فيه ضروري، والعدالة في الوالي تكملة؛ ولذا جاء الأمر بالجهاد مع ولاة الجور.

وكذلك ما جاء من الأمر بالصلاة خلف الولاة الســـوء، فإن في ترك سنة الجماعة، والجماعة من شـــعائر الدين المطلوبة، والعدالـــة مكملة لذلك المطلوب، ولا يبطل الأصل بالتكملة)[١].

٣ - النظـــر في العموم والخصوص: فلا ترجَّح مصالح خاصة على مصالح عامَّة بل العكس فيحكم على الخاصَّة لأجل العامة، ويمثل لذلك العز بن عبد السلام فيقول: (لو أعطـــى أحدُ الظلمة لمن يُقتدَى به مـــن أهل العلم والعبادة مالاً، فلو أخذه أمكنه أن يردَّه لصاحبه إن كان مغصوباً، أو إنفاقه في وجوه خير تنفع الناس، ولكن يســـوء ظن الناس فيـــه، فلا يقبلـــون فتياه، ولا يقتدون به؛ فهنا لا يجوز له أخذه، لما في أخذه من فســـاد اعتقـــاد الناس فـــي صدقه ودينه، فيكون قد ضيع على النـــاس مصالح الفتيا والقدوة، وحِفْظُ هذه المصلحة أَوْلى من رد المغصوب لصاحبه، أو نفع الفقير بالصدقة)[٢].

٤ - النظر في المـــآلات، وتوقُّع حصولها من عدمه، ومدى قوة حصول المتوقَّع: ولذا فـــإن قتل المرتد، والمنافق إذا ظهر نفاقه من واجبات الشـــرع، وقد يترك إذا تبيَّن ظهور احتمال انزجار الناس عن الإيمان خوفاً من العقوبة.

ولذا (قيـــل للإمام أحمد عن بعـــض الأمراء: إنه أنفق على مصحـــف ألف دينار. فقـــال: دعهم، فهذا أفضل ما أنفقـــوا فيه الذهب، أو كما قال. مع أن مذهبه أن زخرفة المصاحف مكروهة وقصده أن هذا العمل فيه مصلحة، وفيه أيضاً مفســـدة كُرِه لأجلها، فهؤلاء إن لم يفعلوا هذا وإلا اعتاضوا بفســـاد لإصلاح فيه، مثل أن ينفقها في كتاب من كتب الفجور)[٣].

والحاصل أن الترجيح يتفاوت بين المجتهدين بحســـب المسائل والأحوال؛ فَلْيحذر من اشتغل بذلك أن تزلَّ قدمه وليستعن بالله - تعالى - فإنه الموفق للصواب والملهم للعباد.

(١) الموافقات: (٢/ ١٥).
(٢) قواعد الأحكام: (١/ ٧١).
(٣) تضمين من اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية: (٢/ ٦٢٠).

استيعاب المقالات
وتحرير النزاع عند أبي العبّاس

د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف(*)
www.alabdulltif.net
@dralabdullatif

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

لا يُعلم لابن تيمية نظير في معرفة الملل والنحل، فدرايته بمقالات الفرق الإسلامية وغير الإسلامية تبهر العقول، بل إنه أدرى وأعلم بمقولات المبتدعة من المبتدعة أنفسهم.

يقول تلميذه ابن عبد الهادي: «ثم انفتح له بعد ذلك من الردّ على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل الأهواء والبدع، ما لا يوصف ولا يعبّر عنه، وجرى له من المناظرات العجيبة والمباحث الدقيقة، في كتبه وغير كتبه مع أقرانه وغيرهم في سائر أنواع العلوم ما تضيق العبارة عنه»(١).

ومن أنعم اللهُ عليه بمطالعة التراث التيّمي يلحظ براعة فائقة، وقدرة عجيبة في فهم أقوال المخالفين، واستيعاب شبهاتهم، ودرايته بأصولها وجذورها، ومهارةً في توضيحها وتقريبها وتلخيصها بعلم وعدل، وفقه وإنصاف.

كما يَشهد حدةَ ذكائه وتوقّد فكره في بيان تشابه هذه المقالات والقدر المشترك بينها تارةً، وبيان اختلافها وافتراقها تارة أخرى، وتفاوت الانحراف بين تلك المقالات، ومعرفته الراسخة بمراتب الطوائف وتفاضلهم.. ثم إن ابن تيمية لا يقتصر على ذلك بل يعقبه بالنقض المتين لتلك المقالات، والإتيان عليها من أصولها، ونسف قواعدها.

فابن تيمية – وكأن العلوم بين عينيه كما وصفوه– عندما ينظر في مقالات الفرق والنحل، فمع كثرة مقالاتهم وتشعبها، وعويص مذاهبهم وغموضها، وما قد يبدو من تضادّها وتقابلها، إلا أنه بذهنه السيال، وعلمه الزخّار، ونور بصيرته استطاع أن يقرّب هذه المقولات وأن يردّها إلى أصولها، ويحرر منشأ الضلال، ويكشف عن أصل الاضطراب فيها، كما سيتضح من خلال الشواهد التالية:

– ما أكثر مقالات الفرق الإسلامية في تعريف الإيمان كالخوارج والمعتزلة والمرجئة.. ومع تقابل وتضاد الوعيدية (الخوارج والمعتزلة) والمرجئة لكنهم يتفقون على أصل فاسد تفرّعت عنه البدع في الإيمان، «فإنهم ظنوا أن الإيمان متى ذهب بعضه ذهب كلّه لم يبق منه شيء، ثم قالت الخوارج والمعتزلة: هو مجموع ما أمر الله به ورسوله، فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء فيخلد في النار، وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم: لا تُذهِب الكبائرُ وتركُ الواجبات الظاهرة شيئاً من الإيمان، إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء، فيكون شيئاً يستوي فيه البرّ والفاجر.

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.
(١) العقود الدرّية، صـ٦٧.

ونصوص الرسول ﷺ وأصحابه تدلّ على ذهاب بعضه وبقاء بعضه..»[1].

وبيّن ذلك في موطن آخر فقال: «وطوائف أهل الأهواء من الخوارج والمعتزلة والمرجئة يقولون إنه لا يجتمع في العبد إيمان ونفاق.. ومن هنا غلطوا فيه وخالفوا فيه الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان مع مخالفة صريح المعقول»[2].

والحاصل أن الإنحراف في تعريف الإيمان ناشئٌ عن أصل فاسد يتفق عليه الوعيدية والمرجئة، وهو أن الإيمان شيء واحد لا يتبعض ولا يتجزأ، فلا يمكن أن يذهب بعضه ويبقى بعضه..

- وأما في مسائل القدر فقد احتفى ابن تيمية بهذا الفرقان المبين بين الإدارة الكونية القدرية، والإدارة الشرعية الدينية، وأثبت هذا التقسيم الشريف في في مواطن كثيرة جداً، وبيّن أن هذا التقسيم ذكره غير واحد من أهل السنة، وأن أبا الحسن الأشعري خالف ذلك فجعل المشئية هي المحبة والرضا.

فقال - رحمه الله -: «وجهم ومن وافقه من المعتزلة اشتركوا في أن مشيئة الله ومحبته ورضاه بمعنى واحد، ثم قالت المعتزلة: وهو لا يحبّ الكفر والفسوق والعصيان، فلا يشاؤه، فقالوا: إنه يكون بلا مشيئة، وقالت الجهمية، بل هو يشاء ذلك، فهو يحبّه ويرضاه، وأبو الحسن (الأشعري) وافق هؤلاء، ولم يفرّق بين المشيئة، والمحبة والرضا»[3].

ونقل ابن تيمية أن السلف على التفريق بين المشئية والمحبة، فقال: «وأما جمهور أهل السنة فيفرّقون بين الإرادة والمحبة والرضا، فيقولون إنه وإن كان يريد المعاصي فهو لا يحبّها ولا يرضاه، بل يبغضها ويسخطها، ينهى عنها، فهؤلاء يفرّقون بين مشيئة الله ومحبته..»[4].

والمقصود أن القدرية النفاة والجبرية على طرفي نقيض، إلا أن منشأ ضلالهم واحد، وهو التسوية بين مشئية الله تعالى، وبين محبته ورضاه، فجعلوا المشيئة هي المحبة، ثم قالت المعتزلة القدرية: إن المعاصي لا يحبّها الله فهي خارج مشيئته!

وقالت الجمهية الجبرية: المعاصي واقعة بمشيئة الله، فالله يحبها ويرضاها - تعالى الله عن ذلك -.

والحق أن المعاصي وإن كانت واقعة بمشيئة الله، إلا أن الله لا يحبها ولا يرضاها، فلا يرضى سبحانه لعباده الكفر، والله لا يحب الفساد.

- وأما ما يتعلق بمسائل الأسماء والصفات.. فهذا كثير ومن ذلك أننا نجد طرفين في إثبات أفعال الله تعالى، فالكلابية والأشاعرة يجعلونها قديمة بعينها ملازمة لذاته سبحاته، وأما المعتزلة فيجعلونها مخلوقة منفصلة عنه، وأهل السنة والجماعة يقولون: إن أفعال الله تعالى قائمة بذات الله تعالى-رداً على المعتزلة-وأنها متعلقة بمشيئته وقدرته ردّاً على الأشاعرة والكلابية[5].

لكن منشأ اضطراب الفريقين (المعتزلة والأشاعرة) واحد: حيث اشتركا في أن الله تعالى لا يقوم به ما يكون بإرادته وقدرته، فلزم المعتزلة أنهم جعلوا أفعاله مخلوقة، ولزم الأشاعرة أنهم جعلوا أفعاله قديمة لازمة لذاته سبحانه، وليست متعلقة بمشيئته وقدرته[6].

وكذا مسألة دوام الحوادث وتسلسلها، فالفلاسفة يقولون بقدم العالم ودوام الحوادث بإطلاق، والمتكلمون ينفون دوام الحوادث في الماضي بإطلاق، وهذان القولان المتقابلان يشتركان في أصل واحد فاسد وهو أن تسلسل الحوادث يستلزم قدم العالم[7].

ثم إن قول الفلاسفة بوقوع الحوادث بلا محدث ولا صانع هو نظير قول المتكلمة بحدوث الحوادث بلا سبب[8].

والفيصل في مسألة دوام الحوادث هو التفريق بين أفرادها وبين أنواعها، والفلاسفة والمتكلمون لم يفرّقوا بينها، فنعيم الجنّة مثلاً دائم لا يزول قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤] فالدائم الذي لا ينفد هو النوع، وإلا فكل فرد من أفراده نافد فقضى ليس بدائم[9].

وأخيراً فهذه النماذج الرائعة والشواهد السامقة ينبغي أن نوظّفها وأن نعتبر بها في التعامل مع النوازل العقدية والفكرية المعاصرة، وسبيل فهمها، وردّها إلى أصولها، وملابسات نشأتها، ومواطن الاتفاق والافتراق فيما بينها، ثم الحكم عليها وتقويمها وفق النقل والعقل، والله المستعان.

---

(١) الإيمان، صـ٢١٠.
(٢) الإيمان، صـ٣٣٧، وينظر: مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٧١، ١٨/ ٢٧٠، ومنهاج السنة ٥/ ٢٠٤، ٤/ ٥٧٠.
(٣) الفتاوى ٨/ ٤٧٤.
(٤) المنهاج ٣/ ١٥= باختصار، وينظر: النبوات ١/ ٢٨٧، الفتاوى ١٠/ ١٦٦.
(٥) ينظر: الصفدية ٢/ ٨٩، الدرء ٢/ ١٤٧، الفتاوى ٦/ ١٤٤.
(٦) ينظر: الدرء ٢/ ١١٢.
(٧) ينظر: الدرء ٩/ ١٤٧.
(٨) ينظر: الفتاوى ١٢/ ١٨٧، الصفدية ١/ ١٣٣.
(٩) ينظر: الصفدية ١/ ٦٥، والمنهاج ١/ ٤٢٦.

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرّقُوا ﴾

الجماعة الأم... وفريضة الوقت

د. عبد العزيز كامل
d.amk@hotmail.com

لم يسبق لأمة الإسلام في العصر الراهن؛ أن مرَّت عليها متغيرات فاعلة وفاصلة كالتي تمرُّ بها اليوم، فنحن في مرحلة تبرزفيها ظواهر محيرة، حيث يبدو الأمر الواحد مزدوج الوجه: شق مشرق مضيء، والآخر مظلم معتم.

– فبينما يعيش الإسلاميون – والمسلمون وراءهم – في بلدان كثيرة، مرحلة اقتراب من دخول عصر القوة والتحرر والتمكين، نجدهم في الوقت نفسه يحيون أكثر المراحل خطورة ووعورة بسبب التحديات الجسيمة المجتمعة عليهم؛ لإرجاعهم إلى الوراء دهوراً، بعد استدراجهم ثم التفرد بهم.

– وبينما تتميز المرحلة بأن الأعداء المتربصين – داخلياً وخارجياً – في أضعف أحوالهم،وأكثرها انكشافاً وانفضاحاً، مقارنة بما كانوا عليه في العقود الطويلة الماضية؛ فإن الشواهد تظهرأنهم سيكونون أكثر مكراً و شراً وشراسة، لاستيلاء المخاوف عليهم من نهوض ثم صعود العملاق الإسلامي المتطلع إلى استرجاع حقوقه، واسترداد كرامته.

– وبينما نرى الشعوب العربية والإسلامية في أقرب أحوالها دنواً من الإجماع على اختيار المشروع الإسلامي وممثليه؛ نجد الممثلين لذلك المشروع في الفصائل والتيارات؛ على أبواب مرحلة من الاستغراق في الخلافات والنزاعات والتنافسات على غنائم ماقبل النصر، بما قد يؤخر هذا النصر، ويهدد نجاح ذلك المشروع. وهذا أخطر ظواهر المشهد إثارة للمخاوف والقلق!

لهذا؛ فلا خيار أن يتداعى العقلاء والحكماء في كل اتجاه سريعاً إلى الاستعصام بالله، والالتحام بالأمة، والائتلاف فيما بينهم على كلمة سواء.

الجماعة الأم: واقع منظور وأمل منتظر:

وأعنـــي بالجماعة الأم هنا؛ ذلـــك الكيان الرحب، الجامع في ساحاته وفضاءاته كل ملتزم بالإسلام الصحيح وعامل له، سواء أكان عربياً أم أعجمياً، عالماً أم عامياً، منتمياً أم مستقلاً من المنضوين تحت اللواء الجامع؛ لواء أهل السنة والجماعة.

لاشـــك أن الأصل هو الانتماء للإســـلام، لولا أن مسمى الإســـلام قد زوحم منـــذ وقت مبكر من التاريخ الإســـلامي، بالاشـــتراك فيه من الفرق المنحرفة عنه، التي أخبرالنبي ﷺ، عن افتراقها عن الأمة في قوله ﷺ: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وافترقت النصارى على اثنتين وســـبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وســـبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) قالوا يا رســـول الله! من الفرقة الناجية؟ قال: (من كان على مثل ما أنـــا عليه اليوم وأصحابي) وفـــي رواية: (هي الجماعة يد الله على الجماعة)[1].

إن تلك (الجماعة) هي حقاً الجماعة الأم لكل الجماعات التي مثلت الإسلام الصحيح عبر التاريخ الإسلامي، ف (الأم) هنا مرادفة لـ (الأمة) التي جاء القرآن بمدحها، وإعلاء شأنها، في قوله تعالى: ﴿ كُنتُـــمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـــوْنَ عَـــنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُـــونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمـــران: ١١٠]، وقوله: ﴿ وَكَذَلِـــكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَـــطًا لِّتَكُونُوا شُـــهَدَاءَ عَلَـــى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُـــولُ عَلَيْكُمْ شَـــهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] . فلايمكن أن تكون هذه الأمة الممدوحة شـــيئاً آخر غير الســـواد الأعظم، الذي ينهج منهاج النبوة، على طريق الصحابة.

لا أريـــد هنا أن أنزع وصـــف (الجماعة الأم) عن جماعة الإخوان المسلمين التي اشـــتهرت بذلك الوصف، فهذا وصف نســـبي لها، باعتبارها الجماعة المعاصرة الأولى التي أسست للحركة الإســـلامية السُنية، ذات الطابع السياسي والعالمي، ثم تفرعت منها معظم الجماعات الحركية، فتلك الجماعة - بهذا الاعتبار التاريخي، جديرة بذلك الاسم على ذلك المستوى، فهو حـــق لها ولائق بها، مهما كان الاتفاق أو الاختلاف معها، لكنها في الوقت نفسه إحدى فصائل أو تيارات الجماعة الأم الكبرى

التـــي لها اليوم فروع وفصائل وتيـــارات عديدة في أنحاء العالـــم ذلك، كان مـــن واجبها أن تتقارب وتتعـــاون على البر والتقوى، تحت مظلة المشروع الواحد: (المشروع السني)، خاصة وأن تلـــك التيارات؛ تتبـــادل فيما بينهمـــا أدوار التخصصات المختلفة في ميادين العمل الإسلامي، وهذا من شأنه أن يجعلها تتكامل في طور النهوض الذي تعيشـــه الأمة اليوم. لكن الواقع المعاش على الأرض؛ أن أمة الإســـلام التي افترقت على ثلاث وســـبعين فرقة، بحيث لم تبق فيها إلا فرقة واحدة على النهج الصحيح- وهي طائفة السنة والجماعة - هذه الطائفة يجري تقســـيمها هي الأخرى منذ زمان، لتُنصب بداخلها معاقد ولاء وبراء، وحُب وبغض، على أسس حزبية مفرقة، بدلاً من الأسس المنهجية الجامعة.

هذه (الجماعة / الأمة) مدعوة اليوم قبل الغد؛ أن تتداعى فصائلها إلى كلمة سواء، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لتلبية دعـــوة؛ لم تطلقها جماعة ولا هيئة ولا شـــخص، بل هي دعوة نـــادى بها الوحي في عبارات فصيحة صريحة من فوق ســـبع سموات، وقبل أكثر من ألف وأربعمئة عام، دعوة تقول:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾

وكلمة (جميعاً) هذه.. تنظم كل عامل للإســـلام الحق، لأن هؤلاء (جميعاً) على اختلاف تجمعاتهم، يعيشـــون اليوم مرحلة فاصلة بين عصريـــن، عصر العودة والتمكـــين والانتعاش، أو عصـــر التراجع والضمور والانكماش، هـــم مخيرون اليوم بين أن يكونوا أو لا يكونوا، لأنهم (جميعاً) مســـتهدفون، و (جميعاً) مرصودون محسودون.

إن الاعتصام المطلوب، ليس خياراً «تكتيكياً» كذلك الخيار المؤقـــت الذي تقوم عليه التحالفات والصفقات السياســـية أو العســـكرية، بل هو ليس خياراً (إســـتراتيجياً) بحيث يخضع لمعايير التغيير مســـتقبلاً بحســـب نجاح الخطط أو إخفاقها، ولكنه ينبغـــي أن يكون قراراً مصيرياً، وليـــس خياراً مرحلياً؛ لأنـــه فريضة يعدُّ التفريط فيها تضييعاً لأصل من أصول دعوة الإسلام.

إن هذه الدعوة: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ توجيه رباني تربى عليه الجيل الأول الذي خوطب به أول مرة، والدعوة إلى الاعتصام في تلك الآية جاءت في ســـياق عدد من التوجيهات القرآنية، الهادفة إلى ترشيد المسار العملي والوظيفي للحاملين لرايـــة الدعوة الإســـلامية في عصر النبوة، ومَـــنْ بعدهم مِنْ أجيال العاملين.

وقد سُبقت تلك الآية من سورة آل عمران، بتوجيه واضح، بالحـــذر واليقظة من عاقبة الغفلة عن المكر الكبار للمتربصين بالدعوة من الكفار، وخاصـــة كفار أهل الكتاب الذين يكفرون

(١) رواه أصحاب السنن والمسانيد، وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/٣٤٥) صحيح مشهور، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٩٢): «صحيح».

بآيات الله وهم يشهدون، ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم شهداء، ويدخل معهم - بآيات أخرى - أولياؤهم من المنافقين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠]. فالضرر الحاصل من الغفلة عنهم أو إحسان الظن بهم والاستجابة لهم في تفريق الصف؛ لا يهدد فحسب كيان المسلمين في الدنيا، بل يهدد أصل تمكسهم بالدين، ﴿ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾.

ثم يُردَف الكلام بمدخل لفريضة الاعتصام، التي يمثل القيام بها إقامة لأكثر الواجبات، وحلاً لأكثر المعضلات: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ثم تتابع سلاسل الحل الذهبية لكبرى الأمراض والمشكلات التي عانت وتعاني منها الأمة الإسلامية، في سياق راق رائق، يتضمن بيان الأسس التي يجب أن يبني عليها المسلمون صروحهم، وذلك بالنداء الموجه لكل مسلم، في خاصة نفسه ثم فيمن ولّاه الله أمره: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [آل عمران: ٢٠٢]، وذلك بطاعته حق الطاعة، بدلاً من طاعة الكافرين التي لا يزداد من خضع لها إلا خبالاً وضلالاً.

ثم قال الله: ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ والثبات على الإسلام حتى الممات؛ ليس مجرد قدر يُنتظر، بقدر ماهو نعمة تُسأل، وتوفيق يُرجى، وتكليف له أسباب. أما أسبابه على مستوى الفرد؛ فهي أن يُتقى الله حق تقاته - كما في الآية - وأما الأسباب على مستوى المجموع فإنها مجموعة في التكليفين العظيمين الآتيين في الآية بعدها، فأحد هذين التكليفين أمر، وهو ﴿ وَاعْتَصِمُوا ﴾ والثاني نهي، وهو ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾. فهما تكليفان يأخذان بمجامع الطاعات المأمور بها في قوله تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ ويُبعدان عن عظائم المخالفات المحذورة بقوله تعالى: ﴿ إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠]. فالتكليف الأول ﴿ وَاعْتَصِمُوا ﴾ يُوصل إليه بأكثر شعب الإيمان، والثاني ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾؛ تنشأ عن مخالفته أكثر شعب العصيان.

كيف نعتصم وبِمَ نعتصم؟

الاعتصام في قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ ﴾ هو - كما قال القرطبي - من العصمة، وهي المنعة، فالمعنى: امتنعوا، أو خذوا بسبب المنعة وهو (حبل الله) الذي ينجو من استمسك به من كل خطر، فبه - كما قال الطبري - يُوصَل إلى البغية والحاجة. ومعنى الحبل في اللغة - كما عرَّفه ابن عاشور - «ما يشدُّ به للارتقاء أو التدلي، وأصل استعماله في الأجرام المحسوسة، واستعماله في المعاني من باب المجاز أو الاستعارة، فالحسي يُنجي من التردي والسقوط، والمعنوي يُنقذ من الردى والضلال.

وقد تنوعت عبارات المفسرين في تعيين المراد من الحبل هنا على ستة أقوال، كلها متقاربة، فذهب ابن مسعود - رضي الله عنه - إلى أن حبل الله في الآية هو (القرآن)، وفي قول آخر له، هو: (الجماعة) وقال أبو العالية: هو (الإخلاص لله وحده) وقال الحسن: هو (طاعة الله). وذهب قتادة إلى أنه: (عهد الله وأمره)، وقال ابن زيد: (الإسلام). (راجع تفسير الطبري للآية ١٠٣ من آل عمران).

والمتأمل في هذه التفسيرات؛ يجد أنها من باب اختلاف التنوع لا التضاد، فهي غير متعارضة، بل متعاضدة. فـ (القرآن) هو محتوى (الإسلام) الذي يقوم على (الطاعة لله) وفاء وقياماً ب (عهد الله وأمره) وهذان لا يقومان إلا بأمرين: (الإخلاص) المقترن بالاتباع، الذي لايتحقق إلا على منهاج (الجماعة) أو منهاج السنة، الذي ليس وراءه إلا مناهج الابتداع.

وقد ربط الطبري - رحمه الله - بين المعاني التي ذهب إليها المفسرون من السلف فقال: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾: «يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعاً، وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده إليكم في كتابه، من الاجتماع على الحق، والتسليم لأمر الله».

تأملات في معنى (الجماعة):

باستقراء أقوال أهل العلم من المفسرين وغيرهم في ربط (الاعتصام بحبل الله) بالجماعة؛ سنجد أن هذه الجماعة لا يمكن أن يكون المقصود بها إلا المنهج الذي يجب الاجتماع حوله، فهي ليست مجرد تجمع عضوي - مع أهمية ذلك - لأن ذلك التجمع إذا وُجد فإنه لا يستمد قيمته إلا من الاجتماع على المنهج المقبول، الذي لا يمكن أن يكون إلا منهج (أهل السنة والجماعة) الواضح المعالم، المحكم الأركان والموثق في الدواوين، والمأمور باتباعه في كل آن ومكان، على خلاف غيره من مناهج الاختلاف والتفرق، حيث لا يتصور - مثلاً - أن يكون حبل الله العاصم هو منهج التشيع الضال، أو يكون الحبل المأمور بالاعتصام به هو منهج التجهم أو الاعتزال، أو منهج الخوارج أو القدرية أو الصوفية أو غير ذلك من المناهج القديمة المنحرفة أو المعاصرة المضللة، التي يحاول بعضهم خلطها بمنهج الإسلام الصافي الوافي - منهج أهل السنة

والجماعة - فكل المناهج المناقضة أو المناهضة له؛ إنما توصل إلى الفرقة بقدر ما فيها من كدر، ولذلك فإن من رجَّح أن المراد بالحبل المأموربالاعتصام به هو (الجماعة)؛ دلل على ذلك - كما قال ابن عادل الحنبلي- بأنه أعقبه النهي عن التفرق.

وقد جعل ابن القيم - رحمه الله - (الاعتصام) منزلة عظيمة من منازل السائرين إلى رب العالمين وعرَّفه بقوله: «الاعتصام: افتعال من العصمة، وهو التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور والمخوف. فالعصمة الحمية، والاعتصام: الاحتماء، ومنه سُميت القلاع: العواصم لمنعها وحمايتها». وجعل - رحمه الله - الاعتصامَ قسمين:

الأول: اعتصام بالله، دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ** ﴾ [الحج: ٧٨]. وهو يعصم من الضلالة، فهو كالدليل يهدي إلى الطريق.

والثاني: اعتصام بحبل الله، وهو المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا** ﴾. وهويعصم من الهلكة، فهو كالعدة والسلاح والقوة التي بها تحصل السلامة من آفات الطريق. وقال عنهما: «ومدارالسعادة في الدنيا والآخرة على الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولانجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين. (مدارج السالكين ١/ ٤٦٠).

وقسَّم ابن القيم الاعتصام بحبل الله إلى نوعين:

الأول: اعتصام توكل واستعانة، وتفويض ولجوء وعياذ بالله وإسلام نفس.

والثاني: اعتصام بوحيه وتحكيمه دون آراء الرجال ومقاييسهم ومعقولاتهم وأذواقهم وكشوفاتهم ومواجيدهم. (مدارج السالكين ٣/ ٣٢٣).

ثم قال: «فمن لم يكن كذلك فهو منسل من هذا الاعتصام، فالدين كله في الاعتصام به وبحبله علماً وعملاً وإخلاصاً واستعانه ومتابعة. واستمراراً على ذلك إلى يوم القيامة». (مدارج السالكين ٣/ ٣٢٣).

والاعتصام بحبل الله - على هذا النحو الذي حكاه ابن القيم - هو الاسلام المحض والدين الخالص، الذي لايمثله إلا منهج (الجماعة) وهو الصراط المستقيم الذي أمرنا بالسير عليه والدعاء به، والثبات على نهجه، قال ابن تيمية - رحمه الله - «فأمَرَ الله سبحانه في (أم الكتاب) التي لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، والتي أعطيها نبينا محمد ﷺ من كنز تحت العرش، والتي لا تجزئ صلاة إلا بها، أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم كاليهود ولا الضالين كالنصارى، وهذا الصراط المستقيم هو الإسلام المحض، وهو ما في كتاب الله، وهو السنة والجماعة، فإن السنة المحضة هي دين الإسلام المحض» (مجموع الفتاوى ٣/ ٣٦٩).

وإذا كان الاعتصام بكتاب الله على منهاج السنة والجماعة، بهذه المنزلة من الدين؛ فإن ثماره لا يكاد يحصيها العادُّون، أو يؤدي شكرها الشاكرون، قال ابن القيم: «إن ثمرة الاعتصام به: هي الدفع عن العبد، والله يدافع عن الذين آمنوا، فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كل سبب يفضي به إلى العطب، ويحميه منه، فيدفع عنه الشبهات والشهوات، وكيد عدوه الظاهر والباطن، وشر نفسه، ويدفع عنه موجبات أسباب الشر بعد انعقادها بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه، فقد تنعقد في حقه أسباب العطب، فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها، ويدفع عنه قدره بقدره، وإرادته بإرادته، ويعيذه به منه» (مدارج السالكين (١/ ٤٦٢).

التفسير الوظيفي للآية:

بمزيد من التأمل في قوله سياق تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا** ﴾، نرى الآية تسوق - عملياً - إلى الدلالة على أسس النجاة ودعائم الحماية لمن يريد التعلق بحبل الإنقاذ الإلهي، وهو ما امتن الله به على الجيل الأول من هذه الأمة عندما قال لهم: ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا** ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

ذلك أن الله تعالى بعد أن حذر المؤمنين من موالاة وطاعة الكافرين في الآية قبلها في قوله: ﴿ **إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

شرع يبين لهم معالم النجاة على مستوى الفرد، في المجال القلبي، وعلى مستوى الجماعات، في المجال المنهجي، وعلى مستوى الأمة كلها، في المجال العملي والعضوي، وذلك على الأسس التالية:

الأساس الأول: وهو سبيل للنجاة على المستوى الفردي في الصورة القلبية، وذلك بطاعة الله وحده امتثالاً للأمر واجتناباً للنهي ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** ﴾ فاتقاء المحظورات؛ طريق للنجاة من الخطر الأكبر الذي لا خيار في اتقائه، وهو عذاب الله في الدار الآخرة، لأن من خالف طريق التقوى لا يؤمن عليه أن يموت على غير ملة أهلها، ولهذا قال بعدها ﴿ **وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ**

﴿وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، يعني اثبتوا على طريق التقوى وزنوا أعمالكم بميزانها طوال عمركم، فإن من عاش على شيء مات عليه، ولهذا كان النهي عن الموت على غير الإسلام تكليفاً بالمستطاع، إذ في استطاعة كل إنسان أن يثبت بحسب وُسعه على طاعة الله طوال عمره، حتى إذا انتهى عمره أتته منيته وهو مسلم.

وقد عرَّف طلق بن حبيب - أحد علماء التابعين - التقوى المأمور بها هنا بقوله: «هي العمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله». وهو كلام وضئ كما ترى، لو وُفق المسلم في مراقبة نفسه على أساسه؛ لظفر بحسن الخاتمة، ولم يمت إلا وهو مسلم.

ولو نجح الدعاة في أن يجعلوا ذلك التعريف منطلقاً في التربية السلوكية الفردية، لعالج تلقائياً الكثير من الآفات والأمراض التي تعج بها الساحات الاسلامية، بسبب غلبة المعايير الحزبية، والمقاييس الذاتية، التي تفسد المقاصد، وتُلبِّس الحقائق.

الأساس الثاني: وهو سبيل النجاة على المستوى الجماعي في الصورة المنهجية، وذلك باتخاذ منهاج (الجماعة) مرجعاً في الاعتقاد وأصول التشريع وأسس العلاقات، وهذا هو المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ وقد تبين أن ابن مسعود - رضي الله عنه - فسر (حبل الله) بأنه القرآن، وبأنه الجماعة، يعني القرآن على منهاج فهم الجماعة.

الأساس الثالث: وهو سبيل النجاة على مستوى الأمة، في الصورة العضوية أو النظامية العملية: والمشار إليه بقوله: (جميعاً) أي «كونوا في اعتصامكم مجتمعين» كما قال ابن عطية في (المحرر الوجيز)، ذلك أنه لا يكفي أن يكون المنهج مرجعية نظرية، بل لابدَّ أن يحصل الاجتماع عليه والتعاون لنصرته في الصورة الواقعية.

ثم جاء التأكيد على تلك الأسس الثلاثة، بالنهي عن أضدادها في قوله تعالى:

﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾

فالفرقة تزداد، بحسب غياب ميزان التقوى على مستوى الفرد، وغياب مقياس المنهج على مستوى الجماعات، وغياب مسلك الاجتماع والوحدة على مستوى الأمة.

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾ نهي عن سلوك سبل (أهل الفرقة والبدعة)، من القدماء والمعاصرين، كما أن الأمر بالاعتصام ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾ تكليف بسلوك سبيل أهل السنة والجماعة، فكما أن للاعتصام والاجتماع أصولاً تتبع، في شرائع تمتثل من شعب الإيمان؛ فإن للفُرقة أسباباً من المخالفات وشعب العصيان، ولكل منهما أهل.

وشُعب العصيان التي توصل للفرقة؛ قد شنع عليها القرآن، حتى قرن سبيل التفرق في الدين بأوصاف الكافرين والمشركين، فقال سبحانه محذراً من انتهاج طريق التفريق: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١ - ٣٢] وبرأ رسوله من ذلك فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ورهَّب من سوء المصير معهم فقال: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٥ - ١٠٧]. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - «تبيضَّ وجوه أهل السنة والجماعة، وتسوَّد وجوه أهل الفُرقة والبدعة» (انظر: تفسير ابن كثير للآية).

إن من وجوه الفرقة في الدين؛ التفريق بين المؤمنين على أُسس غير مشروعة للولاء والبراء، كتلك الحزبيات المقيتة التي تقيم علاقات القلوب على غير عُرى الإيمان، من الحب في الله والبغض في الله، فتحل بدلاً من ذلك؛ الحب لأجل الجماعة - بمعناها الضيق - أو لأجل البلد أو الحزب أو الشيخ أو الزعيم، وكذلك الشأن في البُغض، وهذا مرض عُضال، لا يجوز التعامل مع المسلمين على أساسه بحال، قال ابن تيمية: «وكيف يجوز التفريق بين الأمة بأسماء مبتدعة لا أصل لها في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ؟ وهذا التفريق الذي حصل من علماء الأمة ومشايخها، وأمرائها وكبرائها، هوالذي أوجب تسلط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤] فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة، والفرقة عذاب».

أسعار خاصة
للمدارس و دور التحفيظ

جهاز

البيان

لتحفيظ القرآن

بصوت أربعة قراء
الشيخين السديس و الشريم
والشيخ محمد صديق المنشاوي
والشيخ عبدالله بصفر

للكبار والصغار

يمكنك:

- تحديد مجموعة آيات والاستماع إليها.
- تكرار الآيات المحددة.
- الاستماع لنفس الآية بأكثر من صوت.
- الاستماع حسب السورة.
- الاستماع حسب الصفحة.
- الانتقال إلى الصفحة / السورة التالية.
- العودة للصفحة / السورة السابقة.

فقط 199 ريالاً

يعمل بالكهرباء
و بطاريه الجوال

دار السلام
DARUSSALAM

دار السلام للنشر والتوزيع

المكتب الرئيسي الرياض: ٤٠٣٣٩٦٢-٤٠٤٣٤٣٢ فاكس: ٤٠٢١٦٥٩ الفروع: العليا: ٤٦١٤٤٨٣ الملز: ٤٧٣٥٢٢٠ السويلم: ٢٨٦٠٤٢٢
السويدي: ٤٢٨٦٦٤١ مندوبون: ٠٥٠٥١٩٦٧٣٦ - ٠٥٠٣٤٥٩٦٩٥ - ٠٥٠٤٤٠٥٩٤٣ جدة: ٦٨٧٩٢٥٤ الخبر: ٨٦٩٢٩٠٠
المدينة المنورة: ٨٢٣٤٤٤٦ - ٠٤ خميس مشيط: ٠٥٠٠٧١٠٣٢٨ القصيم: ٠٥٠٣٤١٧١٥٦ ينبع البحر: ٠٥٠٠٨٨٧٣٤١
Website: www.darussalamksa.com Email: darussalam@awalnet.net.sa -

تسطيح العمل الخيري

مسؤولية من؟

عبد الرحمن بن محمد العقيل(*)

يعدُّ العمل الخيري أحد الروافد الأساسية في هذا المجتمع، وأحد المكونات الفاعلة فيه، هذا في جانبه المفاهيمي، ولكن هل هذا هو واقعه في جانب الممارسة؟

(*) مستشار في العمل الخيري.

سؤال كبير يحتاج إلى إجابة...!

فمن الملاحظ أن العمل الخيري أصبح يعاني من التسطيح والتهميش في مجتمعنا - عند كثير من الناس - على الرغم من أهمية الدور الذي يقوم به في مجال الإسهام في خارطة التنمية في بلدنا، فهو يعدُّ أحد الشركاء الفاعلين فيها إذا أعطي المكانة الطبيعية التي يجب أن يتبوأها، والنظر في الأدوار التي يقوم بها.

وإذا تقصينا الأسباب وجدنا أن واقع العمل الخيري ومكانته الحالية في عالمنا العربي والإسلامي لم يساعد على ذلك، فعلى الرغم من تاريخه الحافل بالعطاء، والأسس المتينة التي كفلها الإسلام لهذا العمل، إلا أنه لم يصل للمكانة اللائقة به، ولك أن تتخيل أن عدد المؤسسات والجمعيات الخيرية في السعودية لم يتجاوز الألف فقط على الرغم من وصول عدد السكان في بلادنا في إحصائيات التعداد الأخير٢٠١٠م إلى قرابة ٢٧.٥ مليون نسمة أي أن كل ٢٧.٥ ألف من عدد السكان تخدمهم جمعية واحدة، في مقابل أن ٧ ملايين يهودي وهو عدد سكان الكيان الصهيوني لديهم أكثر من ٣٥ ألف جمعية أي أن كل ٢٠٠ من عدد السكان تخدمهم جمعية واحدة، وهذه مفارقة عجيبة إذ أننا أهل الخير والعطاء والبذل والإحسان، وأن عمل الخير شيء متأصل في نفوس الناس، لأن الدين الإسلامي جعل هذا الأمر من القضايا التي توصل إلى الجنة، وحث عليه ورغب فيه ووعد العاملين فيه بالأجر العظيم، ومع ذلك نجد أنهم قد فاقونا في خدمة العمل الخيري وتأصيله في مجتمعاتهم، وجعلوه ركناً أساسياً من أركان الدولة الحديثة، بل إن تعليمهم يساعد على تأصيل هذا العمل في نفوس التلاميذ، وتم اشتراطها من ضمن متطلبات الحصول على شهادة الثانوية فقرروا عدداً من ساعات التطوع التي لابد من أن يقوم بها الطالب حتى يحصل على الشهادة الثانوية، هذا غير ما يلقاه العمل الخيري من تأييد سياسي واقتصادي وإعلامي ومجتمعي، فالكل يخطب وده هناك،وأعطي من التسهيلات الشيء الكثير، ولك أيضا أن تتخيل حجم الإنفاق على هذا العمل، فواردات العمل الخيري اليهودي تجاوزت ٤٠ مليار دولار أي أن كل يهودي يدفع ٦٠٠ دولار سنوياً لهذا العمل، مقارنة بما يتم دفعه للعمل الخيري الإسلامي الذي أصبحت المعلومة تعز فيه، على الرغم من توقعاتنا بأنها أقل من ذلك بكثير، وأي انقلاب في الموازين هذا.

وهذا بلا شك نتيجة حتمية لتسطيح للعمل الخيري في بلادنا العربية بشكل عام، مما ولد شعوراً لدى كثير من أفراد المجتمع بأن هذا العمل لا يمكن أن يمارسه إلا إنسان ليس لديه عمل،أو لديه فضلة وقت ويمكن أن يملأه بالمشاركة في العمل التطوعي، حتى إن نظرات المجتمع للعاملين في هذا الميدان أصبحت نظرات سطحية،وأصبح كثير من العاملين في هذا الميدان يرون أن العمل الخيري لم يصل للمكانة اللائقة به.

ويبقى السؤال مسؤولية من؟

إذا نظرنا إلى تاريخنا الإسلامي وجدناه زاخراً بالعطاء والمساهمة في خدمة المجتمع الإسلامي منحاً ووقتاً وممارسة، مما جعل العمل الخيري يتأصل في نفوسهم لأنهم يرونه عبادة يتقربون بها إلى الله ويرونه رسالة سامية فرضها عليهم دينهم وأخلاقهم ومبادئهم والقصص والشواهد على هذا كثيرة.

إذاً لماذا تغيرت النظرة ومن المتسبب في تغييرها؟

أعتقد أن هناك مسؤوليات ملقاة على عاتق كل من له علاقة بهذا العمل، انطلاقاً من الجهات المشرعة سواء أكانت وزارة الشؤون الاجتماعية، أم وزارة الشؤون الإسلامية، أم مجلس الشورى أو غيرها من الجهات الحكومية ذات العلاقة، لأنها لم تعطِ للعمل الخيري ما يستحقه من توفير بيئة تنظيمية محكمة وتشريعات وتنظيمات تخدمه وتسهيلات حتى ينمو ويزدهر، ولم تضع سلسلة إجراءات تساعد على تناميه وتحفز على انتشاره، وأقرب مثال على ذلك: بادر بمحاولة طلب تأسيس مؤسسة أو جمعية خيرية وانظر إلى قائمة الاشتراطات المطلوبة التي سوف تطلب منك، وانظر إلى المسافة التي ستقطعها من خلال الإجراءات الروتينية التي تسير وفقها، وعدد الجهات التي سيعرض عليها طلبك، على الرغم من أننا في عصر الحكومة الالكترونية، والتي عممت على كثير من الجهات إلا في هذا المجال، وانظر إلى حجم التسهيلات التي

سيتم تقديمها لك حتى يتحقق لك ما تريد هذا إن تم قبول طلبك، وعلى ذلك قس.

ولك أن تقرأ بعض التصريحات التي يطلقها بعض المسؤولين في الجهات المعنية حول خطأ وقعت به مؤسسة أو جمعية أو تصرف فردي من منتسب لجمعية، وأن الوزارة لن تسكت عن هذا وستضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه استغلال العمل الخيري أو جعله وسيلة لتحقيق مكاسب شخصية وما إلى ذلك، فبدلاً من أن تكون هذه التصريحات عاقلة تؤصل النظرة الايجابية عن العمل الخيري والعاملين فيه، أدت إلى العكس فكان هذا العمل معمماً على العمل الخيري والعاملين فيه، ممَّا عزز تلك النظرة وجعلها تتأصل في نفوس كثير من الناس.

ولا ننسى دور الإعلام والذي جعل العمل الخيري مادة إعلامية دسمة مثيرة للجدل وخاصة في جانبها السَّيء من خلال التركيز على بعض الجوانب السلبية والتي لا يخلو منها قطاع سواء أكان خاصاً أم حكومياً، ولكن الإعلام جعلها مادة دسمة لتعبأ بها أعمدة الصحف وملء وقت البث الإذاعي أو الفضائي، ويتم التعامل معها كأنها سبق صحفي، لأن الإثارة هي أهم مبدأ يتعامل معه الإعلام لجذب القارئ أو المشاهد أو المستمع.وهذه النظرة تبناها مجموعة من الأشخاص الذين يرون في العمل الخيري تعطيلاً لمسيرتهم ومسيرة التغريب التي يدورون في فلكها. وما علموا أن متطلبات الدولة الحديثة، والتي تعد المؤسسات والجمعيات الخيرية أحد مكوناتها، تؤكد على أهمية وجود مؤسسات المجتمع المدني وتناميها وزيادة نفوذها وتمكينها لتكون فاعلة في المجتمع التي هي جزء منه.

وبقي أن نعرج على العاملين في العمل الخيري والذين كان لهم دور بارز في هذا التسطيح من خلال غياب المفهوم والتفكير الشمولي للقضايا والأحداث والوقائع التي يمر بها العالم، والتي تتطلب التعاطي معها وفق متطلبات المرحلة وليس على حساب الفعل وردة الفعل،وكذلك العمل على نبذ النماذج التقليدية والتحفظ على الإبداع والابتكار والتجديد الذي يعد أحد العوامل الأساسية التي تسهم في الفاعلية، وعدم التركيز على الجوانب التنفيذية والإحجام عن القضايا الإستراتيجية التي تمس العمل الخيري في جذوره، والتركيز على تنفيذ المشاريع دون العمل على الاستراتيجيات التي من شأنها رفعة العمل الخيري وتمكينه ووضعه في قائمة الأولويات، مما جعل العمل الخيري أثره بادياً في الميدان ولكنه غائب عن مصدر صنع القرار أو التأثير.

كما أن إحكام العمل وتجويده والعناية بمخرجاته من أولى أولويات ومتطلبات المرحلة وأساسياتها، لأن العمل الخيري متهم بضعف بنائه المؤسسي، وأن هناك خروقات فيه من حيث التنظيم والتنفيذ والتمكين والممارسة، وقد يكون هذا راجعاً لمحدودية و ضعف كوادره، وعدم قدرته على الاستقطاب، وأصبح يعتمد على العمل التطوعي أو الجزئي مما أكد هذه النظرة وجعلها تترسخ، لأننا لم نبرز أعمالنا بالشكل الصحيح، ولم نحكم العمل ليمكن العمل ويمنح من التسهيلات ما هو مطلوب.

مع أهمية أن يكون لدينا قاعدة كبيرة من المتعاطفين مع هذا العمل والمدافعين عنه، وهذه هي ركيزة أساسية في تقوية هذا العمل وترسيخه في المجتمع، وهذا لن يتأتى إلا من خلال إستراتيجية اتصال وعلاقات تركز على الساسة والمتنفذين والإعلاميين والمفكرين والاقتصاديين وغيرهم حتى يتم إيضاح الصورة الحقيقية لهذا العمل وعن القائمين عليه، وإبراز دور العمل الخيري في التنمية وأنه أحد الشركاء الفاعلين فيها، وأنه عمل متأصل في هذا المجتمع، مما سيغير كثيراً من تلك الصورة القاتمة التي تشكلت لدى كثير من هؤلاء.

وللحد من هذا التسطيح والوقوف أمام هذا المد التهميشي الذي يقودنا إلى صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا مرعى لنبقى نعيش في الهامش، لابد من أن يعي فرسان العمل الخيري أنه لابد من إستراتيجية واعية لوقف هذه الرمال الزاحفة على الخضرة اليانعة، لتبقى يستظل بظلها، ويرتوي العطشى من مائها، ويهتدي الضال بمعالمها، ويرتع فيها أطياف المجتمع، ويفوح عبقها لينعش ما حولها، وهذا هو المطلب الأساسي لكل من تذوق حلاوة العمل الخيري وركب مركبه، ليبقى شامخاً ومؤصلاً في مجتمع الخير يقوده ويرعاه رجالات الخير والبذل والعطاء.

والتحديات كثيرة في هذا المجال لا يمكن حصرها في هذه المقال، ولعله يكون لنا إطلالة قريبة على تحديات أخرى، ولكن لابد من تكاتف الجهود للرقي بهذا العمل وخدمته ومنحه المكانة التي تليق به ولن يتأتى هذا إلا بجهود العاملين فعليهم المسؤولية الأولى.

مجلة البيان

صدر حديثاً

جديد ..

جديد ..

جديد ..

جديد ..

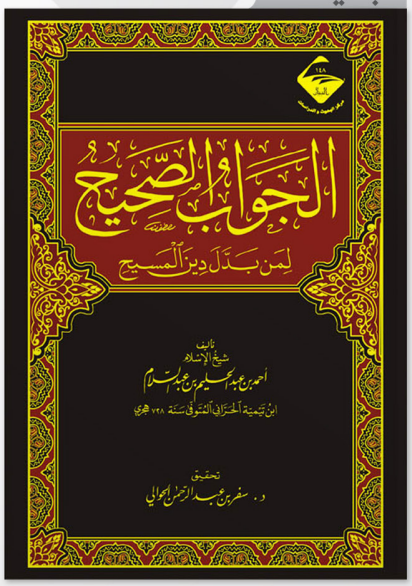

جديد ..

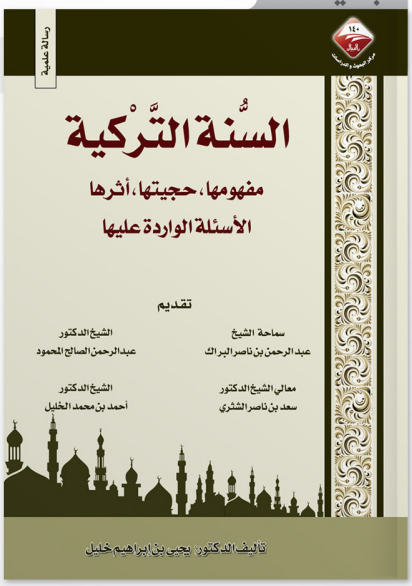

جديد ..

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

نظرة متأنية في معادلة التغيير الاجتماعي والسياسي

السنوسي محمد السنوسي(*)
Elsenosey_writer@yahoo.com

لقد فتح "الربيع العربي"، الذي ما زلنا نعيش في تطوراته ومخاضاته، البابَ واسعًا في عالمنا العربي أمام تغييراتٍ جذريةٍ لطالما علقنا الأمل على حدوثها، على الرغم من أن الأجواء قبل عام واحد فقط كانت ملبدة بغيوم الديكتاتورية، وأساليب البطش والإرهاب الذي يفوق الوصف والخيال!

ولكن شاءت إرادة الله عز وجل أن يمنّ برحمته على تلك الشعوب التي قُهرت لعقود متعاقبة من الزمن، ونُهبت ثرواتها وخيراتها، وارتُهنت خياراتُها لمصلحة قوى خارجية معادية للأمة.. وأن يتداركها بلطفه ومعونته، قبل أن تتردى في مهاوي التهلكة، ويبلغ منها اليأس مبلغه، وتتجه إلى ما يشبه "انتحارًا جماعيًّا" يُقتل فيه الأملُ، بعد أن خبت فيها جذوة الفاعلية والحيوية والحراك الحضاري.

سقطت أنظمة، وذهب رؤساء ظنوا أن حصونهم مانعتهم من "ساعة الحساب" مع الشعوب التي لم يقيموا لها وزنًا يومًا ما، بعد أن تحولت تلك الشعوب إلى جزء من الجغرافيا أو التاريخ، لا الحاضر الحيّ المتّقد الموّار، فضلاً عن المستقبل المشرق الواعد.. وصار الآن المشهد السياسي متاحًا أمام الجميع من أبناء الوطن بلا استثناء.. على الرغم من بعض العراقيل، التي مهما بدت مزعجة إلا أنها في "الحجم الطبيعي" عند مثل تلك التحولات الجذرية.

(*) باحث وصحفي.

"الزمن" جزء من المعادلة[1]:

المهم أن هذا السقوط المتوالي "الدراماتيكي" لأربعة أنظمة عربية - كانت تبدو أكثر رسوخًا وسيطرةً!- في تونس ومصر وليبيا واليمن (وسوريا في الطريق بإذن الله) في أقل من عام، جعل البعض ممن يتعجّل استكمال مسيرة الإصلاح، يغفل عن "عامل الزمن" وموقعه من معادلة التغيير الحضاري المنشود.

بمعنى أنه إذا حدثت بعض المشكلات عقب الإطاحة بالنظام القديم؛ مثل الانفلات الأمني، أو حدوث أعمال عنف من بعض الفئات، أو تزايد معدلات السرقة والسطو؛ فإننا نرى البعض يتأفف ويضجر، ويلقي باللائمة على الثورة، بل يشتط البعض ويزعم أنه لم يرَ خيرًا يستأهل التضحية بدماء الشهداء والجرحى!! وكأن الثورة ستصلح في يوم وليلة، أو في بضعة شهور، ما أفسده النظام السابق على مدى عقود!!

ولهؤلاء المتعجلين أقول: يجب ألا تخلطوا بين التغيير السياسي والتغيير الاجتماعي.

• التغيير السياسي يكفي فيه الإطاحة بنظام فاسد ظالم، وإتاحة الحرية أمام نظام وليد يأتي بإرادة الناس ويسعى لتحقيق مصالحهم وطموحاتهم؛ وهذا أمر قد لا يستغرق وقتًا طويلاً، خاصة إذا تعاونت الأطراف الرئيسية الفاعلة في المجتمع على الإطاحة بهذا النظام، ثم على إتمام المرحلة الانتقالية بأسرع وقت وبأفضل صورة.

• أما التغيير الاجتماعي الحضاري فإنه لا يكتفي بتغيير "اللافتات" والأسماء، بل يرمي إلى النفاذ إلى الأعماق والمسمَّيات.. ولا يتم بمجرد الإطاحة بنظام سياسي وإحلال نظام آخر مكانه، وإنما يتطلب وقتًا أكبر، ونَفَسًا أطول، وجهدًا أكثر، وبذلاً وتضحية وصبرًا؛ لأن التغيير الاجتماعي بمعناه العام هو: تغيير العادات والتقاليد والأفكار والمعتقدات في اتجاه غير الاتجاه السائد في لحظة مّا.

هو تغيير يستهدف الجوهر قبل المظهر، والمضمون قبل العنوان، والنفس قبل الجوارح؛ وكم كان القرآن الكريم دقيقًا غاية الدقة وهو يرسي تلك المعادلة التي تمثل "قانونًا حضاريًّا ثابتًا" فيما يتصل بالتغيير الفعّال، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. فما بالنفس - من معتقدات وقيم وتصوُّرات - هو المستهدَف الأول من التغيير المنشود، وهو الأساس الذي تنبني عليه كل أوجه التغيير الأخرى.

ولذلك فإن استعجال إنجاز التغيير في المجتمع - مهما حسنت نيات أصحابه المتعجلين- دون إرسائه بشكل عميق، مرتبطًا وقائمًا على تغيير المفاهيم والأفكار ومن داخل الذات؛ لن يُحدث الأثرَ المرجوَّ من الثورات، التي تعطي فقط - بتغييرها للمعادلة السياسية - (إشارةَ البدء) لعملية التحول الاجتماعي، وتمثل أولى مراحل الطريق الطويل الممتد، وليست آخر المطاف كما يظن البعض.

علاقة طردية:

وإذا أخذنا في الاعتبار أن شعوبنا العربية والإسلامية تعرضت لما يشبه "غسيل المخ" على مدى سنين طويلة، وبُذلت محاولات كثير لإبعادها قسرًا عن نظام الإسلام، عقيدةً وشريعةً وقيمًا وأخلاقًا وسلوكًا وآدابًا، وأن تلك المحاولات - للأسف- قد قطعت شوطًا كبيرًا، خاصة أنها تمت بأيدي ورعاية بعض المسلمين، ممن كانوا في موضع القيادة والتوجيه التربوي والإعلامي.. إذا أخذنا في الاعتبار كل ذلك، لأدركنا كم هو حجم الجهد المطلوب منا أن نبذله؛ حتى يمكن أن نزيل آثار تلك المحاولات الهدامة أولاً، ثم نثبِّت بدلاً منها القيمَ والمفاهيم والآداب الإسلامية.

ويمكننا أن نصوغ تلك العلاقة في معادلة أكثر وضوحًا، فنقول: إن الجهد المتعيَّن والزمن المطلوب لإنجاز التغيير الاجتماعي المنشود، يتناسبان طرديًّا مع حجم الفساد والإفساد الذي ضرب أطنابَه في جنبات المجتمع ومجالات الحياة كافة.

فعملية تغيير المجتمع، ونزع أرديته القديمة البالية، وإلباسه لباسَ التقوى والانسجامِ والتوازنِ بين معتقد النفس من الداخل

---

(١) للمفكر الجزائري مالك بن نبي معادلة شهيرة في أن الحضارة هي ناتج: الإنسان + التراب + الوقت؛ وأن تلك المعادلة تحتاج لمَزْج عناصرها وإحداث التفاعل بينها إلى ما يسميه "مركَّب الحضارة" وهو الذي يتمثل في "الدين"؛ فالدين يصنع من أطراف هذه المعادلة المفردة كيانًا واحدًا ذا فاعلية وحيوية، كما يجتمع الهيدروجين والأكسجين في معادلة، فيتكون منهما "الماء" بفعل القانوني الكيميائي (المركَّب الحضاري)، راجع كتابه: شروط النهضة، ص: ٤٥/ ٤٦، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، طبعة ١٩٨٦م، دار الفكر، دمشق.

وأحب أن أضيف أن "الوقت" هنا يشمل معنيين: المعنى الأول (وهو الشائع) إدراك أهمية الوقت في حياة الأفراد والمجتمعات، فلا يُصرف في اللهو واللعب وتوافه الأمور؛ أما المعنى الثاني (وهو المقصود هنا) فهو إدراك أن إنجاز معادلة التغيير يحتاج لوقت وصبر وتؤدة، وأن العجلة في إنجاز المراحل تؤدي إلى إفقادها الفاعليةَ المطلوبة، بل قد تؤدي إلى عكس المراد!

وســلوك الجوارح من الخارج.. ليســت بالأمر الهين، الممكن إنجازه بنفس سرعة الإنجاز في المستوى السياسي الذي قد لا يُعنــى كثيرًا بأخلاقيات الناس وضمائرهم ومعتقداتهم؛ طبعًا إلا من حيث مطابقة تلك المعتقدات والأفكار مع مصلحته هو، ومادامت لا تتزعزع قبضته وسلطته!!

ولإدراك صعوبــة عملية تغيير المجتمعات ونقلها من حال إلى حال، خاصة مع وجود مثبطات ومغريات وعوائق لا حدود لهــا - داخليًــا وخارجياً - أمام مشــاريع الإصلاح الجادة.. نشــير - بإيجاز- إلى أن النبــي ﷺ ظل يدعو قومه في مكة ثلاث عشرة ســنة قبل الهجرة، مســتخدمًا ما توافر له من وسائل متعددة؛ من الترغيب والترهيب، والحوار والمجادلة؛ مع ملاحظة أنه ﷺ توافرت له من الصفات والمهارات ما لم ولن يتوافر لأحد مثلــه؛ لأنه ﷺ أكرم الخلق على الله.. ومع ذلك لم يؤمن معه إلا القليل.. وهذا يدلنا إلى أي مدى يكون تغيير النفوس والأفكار والمعتقدات صعبًا وشاقًا.

بل إن يــوم القيامة يأتي النبي ومعه الرجل، أو الرجلان، أو الرهط، بل يأتي من ليس معه أحد، كما صح في الأحاديث النبوية الشريفة[1].

ولذلك ليس من الصواب أن يتصور أحد أنه يســتطيع أن يقطع شــوط التغيير الاجتماعي في يوم وليلة أو شهور قليلة، كما هو الحال في مســألة تغيير النظام السياسي.. بل يجب أن نــدرك بوضوح - بالإضافة إلى "عامــل الزمن"- أننا لن نســتطيع أن نحدث هذا التغيير المنشود ما لم تتكاتف أعمال وجهود وأهداف أجهزة الإعــلام والتثقيف والتعليم والتقنين في هذا الاتجاه.

وقديما قال الشاعر:

متى يَبلُغ البُنيانُ يومًا تَمامَه
إذا كُنت تَبنيهِ وغَيرك يَهدِم

إننا نحتاج - ضمن أولوياتنا العاجلة- إلى النهوض بخطابنا الديني والتربوي والإعلامــي، وإلى إعادة صياغة وتأهيل كل مــن يتصدرون منافذ الفكر والتوجيــه والإدارة؛ بحيث نوجد خطابًــا عامًا في المجتمع، عبر كل الأطر والوســائل، يهدف إلى ترســيخ قيم النهــوض والفاعلية والحيويــة الحضارية، ويعرف في الوقــت ذاته كيف يجمع في تمــازج وتكامل بين القيم والثوابت الإسلامية وبين المنجزات الحضارية، التي هي - في الحقيقة- إرث إنســاني مشترك أسهمت فيه كل الأمم والحضارات بصورة أو بأخرى.

شعوبنا بخير:

وإن مما يبشــر بالأمل، ويُهدئ من رَوْع المتعجلين؛ أن شــعوبنا بحمد الله مازالت على خير كثير، وأنها - على الرغم من المحاولات المضنية الحثيثة التي بُذلت - في شوق إلى إســلامها، وتحكيمه في واقع الحياة؛ يكفي أن نراجع نتائــج الانتخابات في البلاد العربية بعد "الربيع العربي"، والتي فاز الإسلاميون بأغلبيتها، على الرغم من حملات التشويه و"القصف الإعلامي" المتواصل.

إن شعوبنا تحتاج فقط إلى حسن التوجيه والدعوة، وإلى الصبر والأناة والرفق، وأن نغادر مرحلة الشعارات والأفكار العامة والتأصيل النظري إلى مرحلة التطبيق والبرامج والخطط التفصيليــة؛ ونثبت لهم عمليًا أن الإسلام فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، ومصلحتهم العاجلة والآجلة، لأنه شرع الله سبحانه الخبير بعباده: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

شعوبنا فيها خير كثير وطاقات كامنة، تحتاج إلى من يســتخرجها ويوظفها بما يجعــل بلادنا - بحق- بلادًا عربية إسلامية ذات سيادة، مصونة الحقوق على المســتوى الدولي، لا يقدر أحد على طعنها في قيمها وثوابتها ولا على إهانة مقدساتها واغتصاب أرضها.

والمســؤولية الآن تقــع على عاتقنــا نحن الذين طالما اشــتقنا لســاعة التغيير، فها هي ذي ساحات العمل والبذل أمامنا متاحة، والأبواب مشــرَعة تنتظر العاملــين.. فأروا الله ســبحانه من أنفســكم خيرًا، وأحســنوا الأخذ بيد شــعوبكم نحو طريق الإسلام.. طريق الهدى والنور في الدنيا والآخرة.

---

(١) وردت روايات كثيرة في هذا المعنى، منها رواه الإمام أحمد وابن ماجه عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلانِ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: لا؛ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ؛ فَيُدْعَى مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا قَوْمَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ؛ فَيُقَالُ: وَمَا عِلْمُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جَاءَنَا نَبِيُّنَا فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قَالَ: يَقُولُ: عَدْلاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" (صحّحه الألباني).

مجلة البيان

صدر حديثاً

جديد ..

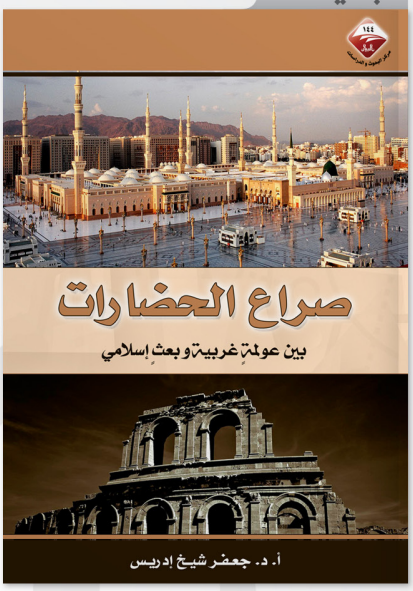

جديد ..

جديد ..

جديد ..

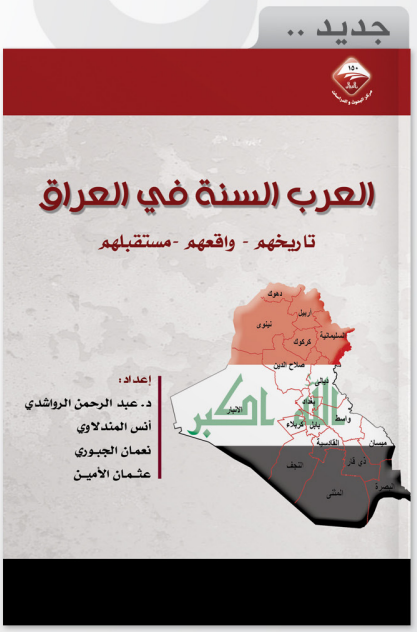

جديد ..

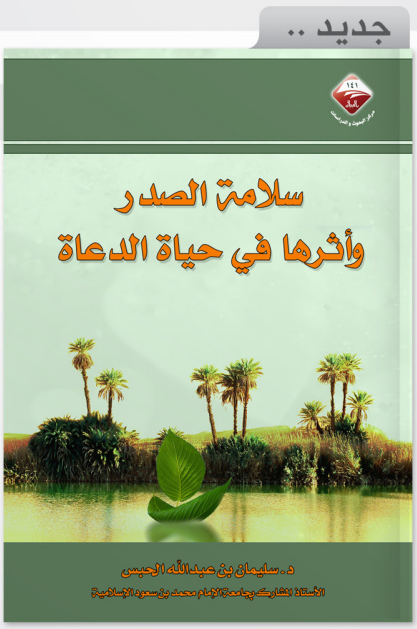

جديد ..

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

النفس المتسامحة..

عطـــاء بلا حدود

عبد العزيز الشامي(*)
Omarez1973@hotmail.com

النفس المؤمنة المتسامحة من أصفى النفوس وأسعدها، تحمل روحاً محبة للخير، تبذل الإحسان للخلق، بين جوانحها قلبٌ يحب السعادة للآخرين، ويرجو الخير لكل المسلمين، يتألم لآلام إخوانه، ويسعد بفرحهم، ويرجو التوفيق للجميع، يتبسم في وجوه الخلق، لا يبخل عليهم بماله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، يحنو على اليتيم، ويخاف الله في الأرملة والمسكين، وعد الله جلَّ وعلا صاحب هذه النفس أن يكون من أهل الجنة، فقال ﷺ فيما يرويه عن رب العزة جلَّ شأنه في الحديث القدسي، عن عياض ابن حمار المجاشعي - رضي الله عنه - قال: "وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ" [مسلم ٢٨٦٥].

فما أعظمها نفس تسعى في منافع الناس، يفرح عندما يوسع الله على إخوانه، ويسعد عندما تمتد يده بالعطاء، ويهنأ عندما يطعم مسكيناً، أو يكسو فقيراً، يبذل الإحسان لا يرجو بذلك إلا وجه الله، مستحضراً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾ [الإنسان: ٩]. وهذه النفس هي التي يُقابَل صاحبها بالإحسان يوم القيامة، فـ ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقد أخبرنا النبي ﷺ بشيء من ذلك، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِراً، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ» [متفق عليه].

(*) باحث شرعي وكاتب مصري.

أعظم مثال للتسامح البشري:

يحلو لكثير من المنهزمين نفسيّاً أن ينظر لبعض الحكم المنقولة عن النصارى ويذكر مواعظهم في العفو، رغبةً في وجود تلك النفسية المتسامحة، التي يظنون أنهم تفردوا بها، وتميزوا عن غيرهم، وهذا ليس بصحيح؛ فهم لم يقرؤوا عن النبي ﷺ ولم يعرفوه، ولو عرفوه لعلموا عظيم تسامحه، وصفاء نفسه ﷺ.

فهـا هو عبد الله بن أبي رأس النفاق، يؤذي النبي ﷺ، فينخذل عنه بثلث الجيش يوم أحد ويرجع بهم إلى المدينة، ويرمي أم المؤمنين عائشة بالفاحشة، حتى قال: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، ومع كل هذا الإيذاء والعداء الظاهر والخفي، رفض قتله، وقال ﷺ: (دَعْهُ! لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) [متفق عليه].

بل العجب في تسامح النبي ﷺ عند موته، فقد بذل ثوبه ليكون كفناً له، وصلى عليه، واستغفر له، ونزل قبره وهو من ناصبه العداء، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ لَمَّا تُوُفِّيَ جَاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُ، فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَمِيصَهُ، فَقَالَ: آذِنِّي أُصَلِّي عَلَيْهِ، فَآذَنَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ جَذَبَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَلَيْسَ اللَّهُ نَهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ: أَنَا بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ قَالَ ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] فَصَلَّى عَلَيْهِ فَنَزَلَتْ ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤] [البخاري ١٢٦٩].

وإن الإنسان ليتملكه العجب، وتأخذه الدهشة من هذا التسامح العجيب، ونسيان الإساءة، وبذل الخير، عند من لا يستحقون إلا الجفاء والمقاطعة، بل وما هو أشد من ذلك!!

وشيء آخر من تسامحه ﷺ، ونفسه المحبة للناس وهدايتهم، فقد كان الصحابي مخرمة رجلاً في خُلقه شدة، ولا يريد النبي ﷺ أن يغضبه، بل يعامله بشيء فيه عطف وحنو بالغ، وكان رجلاً كفيف البصر، سمع بقدوم أثواب إلى النبي ﷺ، فكيف عامله النبي ﷺ وكيف أرضاه، وهذا ليس بواجب عليه، بل يعلمنا كيف تكون النفس المتسامحة وكيف تعطي الجميع وبلا حدود، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُهْدِيَتْ لَهُ أَقْبِيَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ مُزَرَّرَةٌ بِالذَّهَبِ، فَقَسَمَهَا فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَعَزَلَ مِنْهَا وَاحِداً لِمَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ، فَقَامَ عَلَى الْبَابِ فَقَالَ: ادْعُهُ لِي، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتَهُ، فَأَخَذَ قَبَاءً فَتَلَقَّاهُ بِهِ، وَاسْتَقْبَلَهُ بِأَزْرَارِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْمِسْوَرِ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ! يَا أَبَا الْمِسْوَرِ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ، وَكَانَ فِي خُلُقِهِ شِدَّةٌ. [البخاري ٣١٢٧] وفي بعض الروايات صار يعرض عليه محاسن هذا الثوب، حتى رضي مخرمة، وكل هذا ليس بفرض ولا واجب، ولكنها النفس العظيمة، المحبة لهداية الخلق، الرحيمة بهم ﷺ.

وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، -قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ فَقِيلَ لَهُ: نَعَمْ، هِيَ الشَّمْلَةُ مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا- قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا، وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اكْسُنِيهَا. فَقَالَ: نَعَمْ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ! سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ، لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلاً، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ" [البخاري ٢٠٩٣] فهذا مثال رائع للنفس الكريمة المحبة للآخرين، تعطي الثوب للغير وهي محتاجة إليه، وفي هذا الحديث منهجه أنه كان ﷺ لا يرد سائلاً، نفس عظيمة ما أروعها!.

موقف الإمام أحمد ممن آذوه:

وعلى خطى النبي ﷺ مضى الصحابة والتابعون يسامحون ويعفون ويحسنون، وممَّن سار على هديهم في التسامح: الإمام المبجل أحمد بن محمد بن حنبل - رحمه الله - فقد سامح مَنْ آذوه في المحنة، قال الإمام الذهبي - رحمه الله - في مناقب الإمام أحمد: (وعن عبد الله بن أحمد قال: وسمعت أبي يقول: لقد جعلت الميتَ في حلٍّ مِنْ ضربه إياي.. ثم قال: وما على رجل ألَّا يُعذب الله بسببه أحداً). [سير أعلام النبلاء ١١/٢٥٧].

وكان يقول: (كل من ذكرني ففي حلٍّ إلا مبتدعاً -يعني ابن أبي دواد-، وقد جعلت أبا إسحاق - يعني: المعتصم -

في حلٍّ.. ثم قال أبو عبد الله: وما ينفعك أن يُعذب الله أخاك المسلم في سببك). [سير أعلام النبلاء ٢٦١/١١].

وقال له إسحاق بن إبراهيم: اجعلني في حلٍّ من حضوري ضربك. فقلت: قد جعلت كل من حضرني في حلٍّ. [سير أعلام النبلاء ٢٦٦/١١].

ولما أمر الواثق بقطع قيود الإمام أحمد، فلما قطع، ضرب بيده إلى القيد ليأخذه، فجاذبه الحداد عليه، فقال الواثق: لمَ أخذته ؟ قال: لأني نويت أن أوصي أن يُجعل في كفني حتى أخاصم به هذا الظالم غداً. وبكى، فبكى الواثق وبكينا. ثم سأله الواثق أن يجعله في حلّ، فقال: لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراماً لرسول الله، ﷺ؛ لكونك من أهله.

فقال له: أقم قبلنا فننتفع بك، وتنتفع بنا، قال: إن ردك إياي إلى موضعي أنفع لك، أصير إلى أهلي وولدي، فأكفّ دعاءهم عليك، فقد خلفتهم على ذلك، قال: فتقبل منا صلة؟ قال: لا تحل لي، أنا عنها غني. [سير أعلام النبلاء ١١/ ٣١٥]. رحم الله هذا الإمام الكبير، فما أعظم نفسه المتسامحة!

موقف ابن تيمية مع خصومه:

عاش ابن تيمية –رحمه الله– يحمل النفس المتسامحة، ولذلك كان يشعر بالطمأنينة والسعادة، مع ما كان يعيش فيه من صعوبات كثيرة، يقول تلميذه ابن القيم –رحمه الله–: «وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدهما، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها».

ويضيف ابن القيم – رحمه الله –: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية –قدس الله روحه– يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة. وقال لي مرة: ما يصنع بي أعدائي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وكان يقول في محبسه الأخير في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكري هذه النعمة. أو قال ما جزيتهم عني ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا. وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ما شاء الله، وقال لي مرة: «المحبوس من حُبس قلبه من ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه». ولما أُدخل إلى سجن القلعة، وصار داخل السور نظر إليه، وقال: ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾ [**الحديد**: ٣١].

قال ابن القيم – رحمه الله –: وحدثني بعض أقارب شيخ الإسلام – رحمه الله – قال: كان في بداية أمره يخرج أحياناً إلى الصحراء يخلو عن الناس لقوة ما يرد عليه، فتبعته يوماً فلما أصحر تنفس الصعداء، ثم جعل يتمثل بقول الشاعر، وهو لمجنون ليلى في قصيدته الطويلة:

وأَخْرُجُ مِن بينِ البيوتِ لَعَلَّنِي
أُحَدِّثُ عَنْك النفسَ بالسرِّ خالياً

[الوابل الصيب ص ٩٣ و٩٤].

وقد وضع ابن تيمية قاعدة للتسامح في حياته السلوكية والعملية، تتلخص هذه القاعدة في قوله: (أحللت كل مسلم عن إيذائه لي) وتفصيلها ما جاء في مجموع الفتاوى قال: (فَلَا أُحِبُّ أَنْ يُنْتَصَرَ مِنْ أَحَدٍ بِسَبَبِ كَذِبِهِ عَلَيَّ أَوْ ظُلْمِهِ وَعُدْوَانِهِ؛ فَإِنِّي قَدْ أَحْلَلْت كُلَّ مُسْلِمٍ، وَأَنَا أُحِبُّ الْخَيْرَ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ، وَأُرِيدُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ الْخَيْرِ مَا أُحِبُّهُ لِنَفْسِي، وَالَّذِينَ كَذَبُوا وَظَلَمُوا فَهُمْ فِي حِلٍّ مِنْ جِهَتِي) [مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٥].

أمثلة من تسامح شيخ الإسلام ابن تيمية:

١– كان الشيخ الصوفي البكري من أشد الصوفية على شيخ الإسلام ابن تيمية، ففي محنة الشيخ مع الصوفية سنة ٧٠٧هـ حول قضية الاستغاثة طالب بعضهم بتعزير شيخ الإسلام، إلا أن الشيخ البكري طالب بقتله وسفك دمه!

وفي سنة ٧١١هـ تجمهر بعض الغوغاء من الصوفية بزعامة الشيخ البكري وتابعوا شيخ الإسلام ابن تيمية حتى تفردوا به وضربوه، وفي حادثة أخرى تفرد البكري بابن تيمية ووثب عليه ونتش أطواقه وطيلسانه، وبالغ في إيذاء ابن تيمية!

وحينما تجمع الجند والناس على ابن تيمية يطالبون بنصرته، وأن يشير عليهم بما يراه مناسباً للانتقام من خصمه البكري الصوفي؛ أجابهم شيخ الإسلام بما يلي: (أنا لا أنتصر لنفسي)!!

ولما اشتد طلب الدولة للبكري وضاقت عليه الأرض بما رحبت هرب واختفى في بيت ابن تيمية وعند شيخ الإسلام لما كان مقيماً في مصر، حتى شفع فيه ابن تيمية عند السلطان وعفا عنه!! [العقود الدرية ٣٠٥/١].

فهذا مثال من تسامح هذا الإنسان العظيم، فالبكري قابله بالظلم والتكفير والاعتداء والعدوان والبهتان، وابن تيمية قابله بالعفو والإحسان والكرم، إن في ذلك آية عظيمة لكل منصف سليم القلب.

٢- ومرة أخرى يجتمع على شيخ الإسلام بعض الفقهاء والقضاة بمصر والشام، وحملوا عليه حملة سيئة، فأفحم الجميع بالحق، وألزمهم الحجج، فلما أفلسوا وشوا به إلى الحكام. وبعد أن وشى به بعض العلماء وكذبوا عليه وألّبوا الحكام والأمراء عليه وتزلفوا لدى الكبراء في ابن تيمية؛ سُجن وعذب، وتولى كِبر ذلك الجُرم الشيخ الصوفي نصر المنبجي، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير تلميذ المنبجي، وجماعة من الفقهاء والعلماء، الذين ناصروا الحاكم بيبرس في انقلابه ضد السلطان ناصر ابن قلاوون.

ولكن شاء الله أن تزول إمارة بيبرس ويضم السلطان ناصر ابن قلاوون دمشق ومصر إلى حكمه، ولم يكن همّ السلطان إلا الإفراج عن شيخ الإسلام المسجون ظلماً وزوراً. فأخرجه معززاً مكرماً مبجلاً، ويصل الشيخ إلى البلاط الملكي فيقوم له السلطان تكريماً واحتراماً ويضع يده بيد ابن تيمية ويدخلان على كبار علماء مصر والشام...!

ويختلي السلطان ناصر قلاوون بشيخ الإسلام ابن تيمية ويحدثه عن رغبته في قتل بعض العلماء والقضاة بسبب ما عملوه ضد السلطان، وما أخرجه بعضهم من فتاوى بعزل السلطان ومبايعة بيبرس، وأخذ السلطان يحث ابن تيمية على إصدار فتوى بجواز قتل هؤلاء العلماء، ويذكره بأن هؤلاء العلماء هم الذين سجنوه وظلموه واضطهدوه، وأنها حانت الساعة للانتقام منهم! وأصرَّ السلطان ناصر بن قلاوون على طلبه من شيخ الإسلام كي يخرج فتاوى في جواز قتلهم!

فقام ابن تيمية بتعظيم هؤلاء العلماء والقضاة، وأنكر أن يُنال أحد منهم بسوء، وأخذ يمدحهم ويثني عليهم أمام السلطان وشفع لهم بالعفو والصفح عنهم ومنعه من قتلهم، فقال للسلطان : (إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم من العلماء الأفاضل!) فيرد عليه السلطان متعجبا متحيراً: لكنهم آذوك وأرادوا قتلك مراراً ؟! فقال ابن تيمية: من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي! وما زال ابن تيمية بالسلطان يقنعه أن يعفو عنهم ويصفح، حتى استجاب له السلطان فأصدر عفوه عنهم وخلَّى سبيلهم!! [موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ١/١٦٠].

٣- لقد شهد له كبير خصومه ومن الذين هاجموه وآذوه، شهد له بعد عمله التسامحي الفريد الذي عمله معهم في أثناء غضب السلطان ناصر بن قلاوون عليهم، لقد كان قاضي المالكية القاضي ابن مخلوف أحدهم ولما أفرج عنه قال عن ابن تيمية: (ما رأيت كريماً واسع الصدر مثل ابن تيمية، فقد أثرنا الدولة ضده، ولكنه عفا عنا بعد المقدرة، حتى دافع عن أنفسنا وقام بحمايتنا، حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا)... هذا هو ابن تيمية، هذه هي أخلاقه مع خصومه! [شيخ الإسلام ابن تيمية لأحمد فريد ١/١٧].

٤- ولم يكتف شيخ الإسلام بالإحسان إلى خصومه في حياتهم بل بعد مماتهم، يقول ابن القيم: (وما رأيت أحداً قط أجمع لهذه الخصال -يعني خصال الفتوة- من شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه. وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم. وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا الكلام فسروا به، ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه - رحمه الله -) [مدارج السالكين جـ٢/٣٤٥].

وسبحان الله، من هذا التسامح وهذا العطاء والإحسان، يقول ابن تيمية معبراً عن نفسيته المتسامحة: (وأنا والله من أعظم الناس معاونة على إطفاء كل شر فيها وفي غيرها، وإقامة كل خير، وابن مخلوف لو عمل مهما عمل والله ما أقدر على خير إلا وأعمله له، ولا أعين عليه عدوه قط، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذه نيتي وعزيمتي، مع علمي بجميع الأمور فإني أعلم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين، ولن أكون عوناً للشيطان على إخواني المسلمين) [مجموع الفتاوى ٣/٢٧١].

إن التسامح عندما يستحكم في النفس تعتاد الإحسان في كل الأمور، في العبادات والمعاملات، في صغائر الأمور وعظائمها، فيحسن المرء في عبادة ربه، ومعاملة خلق الله، فيحسن إلى الوالدين، والزوجة والبنات، والإخوة والأخوات، والجيران والأصدقاء، بل قد يصل به الإحسان إلى من يبغضه، فيقابل إساءته بالإحسان، ويمتد الإحسان ليشمل الحيوان والنبات فـ (في كل ذي كبد رطبة أجر) [متفق عليه]، وهذه مرتبة عظيمة في دين الله. نسأل الله أن يرزقنا التسامح والإحسان في أعمالنا وأخلاقنا، والإخلاصَ في الأقوال والأعمال، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

من (السلامة)... إلى (الغل)!

فهد بن صالح العجلان
Fsalehajlan@hotmail.com
@alajlan_f

ينشأ المسلم وهو يجد هذه المعاني تتعزز في نفسه يوماً بعد يوم، يتلقاها في البيت والمسجد والمدرسة، ينمو في قلبه حب الصحابة -رضي الله عنهم- وتوقيرهم، ويعتاد لسانه على الترضي عنهم وذكرهم بالخير، وتألف نفسه كمال الأدب معهم، والكف عن أي شيء يسيء لمقامهم.

أثمرت هذه التنشئة الإسلامية مكانة عميقة في نفوس الناس للصحابة، تشتعل غضباً ضد أي إساءة تنال أحداً منهم.

وحتى يبقى القلب في كمال الطهارة والسلامة تجاه هذا الجيل الإسلامي الفريد. جاءت وصية أعلام الإسلام الكبار بترك الخوض فيما شجر بين الصحابة - رضي الله عنهم - حتى لا تنتج القراءة الخاطئة لهذه الأحداث منابت غل وضغينة في قلب المسلم تجاه صحابة رسول الله ﷺ، فأوصوا - لنصحهم وعلمهم - بترك الخوض في هذا الباب، فلا يتحدث فيه إلا مع الاحتياط التام في استيفاء شروط العلم والعدل وحفظ المكانة، وبما لا يكون ذريعة للاستطالة أو فساد الفهم وسوء الظن.

فأحداث الفتنة ليست شيئاً مغلقاً أو محذوفاً من تاريخ الإسلام، فلقد تكلم فيه العلماء وبحثوا تفاصيله، وأجابوا عن الإشكالات المثارة، وهذا يبدد الوهم الذي يجثم فوق صدور بعض الناس حول هذا الموقف السلفي من الصحابة، هو وهمٌ مركب يجهل حقيقة موقف السلف، ولا يفقه - في جزئه الآخر - حقيقة الدوافع والاعتبارات العقلية العميقة في هذا الموقف، **ويمكن أن نستلهم بعض هذه الاعتبارات في العناصر التالية:**

أولاً: احتواء كتب التاريخ لخريطة واسعة من الأخبار والأقوال والتفصيلات التي رسمها إخباريون كذبة وخصوم مبتدعة، وأكثر من يخوض فيما شجر بين الصحابة لا يسلم من قبول كثير من هذه الأخبار وروايتها والبناء على مضامينها، وأكثرهم - بداهة - ليس لديهم القدرة على فحص الأخبار وتمييز صحيحها من سقيمها، بما يجعل صورة الأحداث تترسخ في وعيهم بنسختها المكذوبة التي رسمها خصوم الصحابة.

ما يزال كثير من الباحثين يعتمد على هذه الأخبار، وينقل عن الضعفاء والمتروكين والوضاعين، ثم يتحدث بكل ثقة أنه يعتمد على مصادر تاريخية موثوقة، بمجرد أنه ينقل من أحد كتب التاريخ الشهيرة!

لقد بحّت - أيها الناس - أصوات العلماء والمحققين وهم يحذرون مثلاً من (أبي مخنف لوط بن يحيى) ويذكرون أنه إخباري تالف متروك الرواية، حتى غدا هذا من المعلومات الشائعة، ومع ذلك فما زال كثير من المؤلفين يبني قائمة طويلة من الأحكام والتحليلات بناءً على رواية محفور في أولها: قال أبو مخنف!.

ثانياً: إن الخوض في تلك التفصيلات والأخبار لا يترتب عليه أي فائدة عملية أو ثمرة فقهية، فهي حوادث تاريخية وقعت تحت ظروف وملابسات معينة أنتجت فتنة بين الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا فيها مجتهدين ومتأولين، ولا يترتب على إدراك تفاصيلها علم بأحكام شرعية أو تأثير على جانب فقهي أو علمي معين، فمن يجهل خفاياها ولا يدرك تفصيلاتها لن يمس ذلك بتاتاً أي قضية شرعية، وهذا يبدد الوهم الذي يسكن بعض الناس حين يظن أنه أمام حقبة تاريخية مخفية، وواقعة لا بدّ من إعادة قراءتها، ويشعر أنه يكتشف من خلالها مواقف شرعية مهمة، والحقيقة أن أحكام الشرع وتصورات المسلم لن تتأثر بمعرفته لهذه التفصيلات أو إعراضه عنها، ولهذا كانت وصية السلف في الكف عمَّا شجر بينهم لأنه من قبيل البحث الفارغ الذي لا طائل من ورائه.

ثالثاً: إن الحكم على الصحابة يتطلب عدلاً وإنصافاً وموازنة بين الحسنات والسيئات، وألَّا يكون أي اجتهاد أو خطأ سبباً لإلغاء ما عداه، وهذا ميزان دقيق لا يحسن أكثر الناس ضبط ميزانه، فينتج من ذلك استطالة عليهم، وبغياً في حقهم، وإذا كان البغي والجور محرم في حق أي أحد من الناس فكيف بصحابة النبي ﷺ؟

الحديث هنا عن جيل قد أثنى عليه القرآن الكريم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٠] ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] ووعدهم جميعاً - سابقهم ولاحقهم - بالحسنى ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠] وأوصانا رسولنا الكريم ﷺ بهم فقال: «لا تسبوا أصحابي».

فمن العقل والحكمة والديانة أن يتحفظ المسلم عند نظره في مواقف هؤلاء الناس الذين يتحدث القرآن الكريم عنهم بهذه الكيفية، وأن يعلي من قدرهم كما أعلى الله من مكانتهم، فيتولاهم جميعاً، ويدعو لهم جميعاً، ويرجو أن يحشره الله في زمرتهم، ويتحفظ من ولوج بابٍ يكون ذريعة إلى أي إساءة لمن عظَّم الله حقهم.

إن غياب العدل في حقهم، والعلم بحالهم، والإنصاف في تقويمهم هو الذي جرَّأ كثيراً من المبتدعة على الخوض في أعراضهم، والنيل من مقامهم بما أنتج غلاً وكرهاً دفيناً في نفوسهم في حق صحابة رسول الله ﷺ، وهي صفة خليق بها الكفار لا أهل الإيمان ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

رابعاً: حاجة هذه الأحداث للرؤية الشمولية التي تعرف دوافعها، وتضبط أحداثها، وهي غالباً ما تخفى على أكثر الناس، فيقرأ الأحداث منتزعة من سياقها، مقطوعة عن دوافعها بما يجعله يفهم الموقف على غير ما كان عليه، فيقع في قلبه شيء على صحابة رسول الله ﷺ.

(إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغيَّر من وجهه، والصحيح فيه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم ليغفر

لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم .. ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذين هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه .. ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم)[1]

خامساً: لم يقل أحد من السلف إن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا معصومين، أو أن كل فعل صدر منهم فهو حجة ودليل معتبر، وحينئذٍ فأي خطأ أو اجتهاد صدر من بعضهم مما يخالف فيه الدليل فإن المسلم بداهة سيأخذ الدليل، وحينها فلا معنى للخوض في تفاصيل هذه الأخطاء وإثارة الحديث فيها مرة بعد مرة بمناسبة وبغير مناسبة، إلا شحن النفوس بالغل والضغينة عليهم، ولهذا تجد في القرآن من دعاء المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠] فكثير من النقد الموجه لهم هو من قبيل الغلِّ ومرض القلب فحسب، وإلا فأي فائدة من الحديث عن أحدٍ من صحابة رسول الله ﷺ لأجل الطعن فيه وذمه وعيبه؟ وما الفائدة من إثارة تاريخه ومواقفه وخطبه بمناسبة وبغير مناسبة، بلا تحقيق فيها ولا تدقيق، إلا أن يمتلئ قلب المسلم غلاً وحنقاً على صحابي لقي ربه من قرون طويلة؟

وربما قال بعضهم هنا: إن هذا الموقف من قبيل تقديس الأشخاص دون تقديس المبادئ. وهذا خطأ مبني على سوء تصور للموضوع، فلم يقل أحد بتصويب كل ما صدر من الصحابة حتى يقال: إنه تقديس الأشخاص وقد يضر بتقديس المبادئ، فالمبادئ واضحة ولم يقل أحد بتقديم أي شيء عليها، إنما الحديث عن تقدير الشخص وحفظ سابقته ومقامه وترك الإساءة والطعن فيه، وهذا لا يضر المبادئ في شيء، فليس من ضرورة حفظ المبادئ أن تطعن في الأشخاص أو تسبهم أو تخوض في نياتهم أو تثير الطعن فيهم بمناسبة أو بغير مناسبة.

ومن الأوهام هنا، الجرأة على صحابة رسول الله ﷺ القول: إن الصحابة ليسوا بمنزلة واحدة، وإنه لا يمكن مساواة بعض من أسلم بعد الفتح بأبي بكر وعمر؟ وهذا كلام صحيح، وهو ما يقوله أهل السنة،[2] فالصحابة درجات، وبعضهم أفضل من بعض، والتفضيل ليس فيه إساءة لأحد، إنما لا يجوز أن يكون هذا التفضيل سبباً للجرأة على أحد منهم وتهوين ذمه والطعن فيه.

سادساً: إن من يقرأ حادثة الفتنة بشكل متكامل، ولديه قدرة على تمييز الأخبار الصحيحة والسقيمة، فإنه في النهاية سيصل إلى ما وصل إليه السلف الصالح - رضي الله عنهم -، من توقير الصحابة وحبهم وتقدير إيمانهم وتضحيتهم في سبيل الله، وإن هذه الفتنة - ليست طعناً بهم أو منقصة لهم - تقدير رباني؛ ليعرف المسلم عظمة هذا الجيل حتى وهو في حال الفتنة، ويعرف الأحكام الشرعية الواجبة في مثل هذه الفتنة، والأخلاق الإسلامية الرفيعة حتى في أشد حالات الفتنة والقتال.

فوصية علماء السلف بالكف عن هذه الأحداث لم يكن جهلاً منهم بحالها، ولا خشية من ظهور حقائقها، بل هم من أعلم الناس بها، قد فحصوا رواياتها، وحرروا أحكامها، وضبطوا أحوالها فعرفوا أنها موصلة إلى حب الصحابة واعتقاد فضلهم، ورأوا أن الخوض فيها لا ثمرة عملية فيه وقد يكون ذريعة للاستطالة والغل فكان من النصح للناس أن يبنوا لهم هذا المنهج، وهي النتيجة العلمية التي سيجدها من يقرأ - بعدل وعلم- تفاصيل هذه الفتن.

وقد يأنف بعض الناس من الأخذ بقول بجمهور السلف وأئمته وكبار محدثيه الذين ميزوا الأخبار وتتبعوا الأحوال، فيشعر أن هذه حالة تقليد وتضليل ثم ينقاد بكل سهولة، ويصدق كل ما يقرأه في كتاب أو يسمعه من خطيب!

وربما شعر أن ثم مؤامرة لتضليله عن معرفة أحداث التاريخ فدفعه ذلك لمزيد حرص وعناية لقراءة تلك التفاصيل، وبدلاً أن يتجه لمنهج الأئمة والمحدثين الكبار الذين خبروا الأحداث وعرفوا تفاصيلها فسلكوا به - بعد علم ودراية - منهج سلامة الصدر وطهارة القلب وحفظ اللسان يبحث عن ناقصي العلم والعدل ليملؤوا قلبه حنقاً وحقداً وضغينة وغلاً على أصحاب رسول الله ﷺ، فينتقل من سلامة الصدر إلى الضغينة والغل، فيا حسرتاه ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

(١) العقيدة الواسطية ١٢٠-١٢١

(٢) انظر: العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية ١١٥-١١٦.

الشام.. نور الإيمان

إن المرحلة الحرجة التي يمرُّ بها الشعب السوري تظهر ثلاثة تحولات إستراتيجية مهمة في مسار الثورة:

- التحول الأول: ويتمثل في عسكرة الثورة، وقدرتها على تنظيم هذا الجانب واستغلاله بشكل جيد في استنزاف القدرة العسكرية للنظام.

- التحول الثاني: هو تجاوب العالم الإسلامي والعربي مع استغاثة الثائرين في سورية، وضحايا القمع وبداية ظهور حملات إسلامية لإغاثة الجرحى والمنكوبين والمشردين، وهي بداية صائبة يجب استغلالها في توحيد الصف الإسلامي.

- التحول الثالث: وهو الوعي السياسي لدى الثوار السوريين وقادتهم، وأولوية تطوير طاقات سياسية فاعلة تستطيع مجاراة التحولات السياسية التي تمر بها البلاد.

ومنذ أن رحل الاستعمار الفرنسي عن سورية، والبلاد غارقة في أزمة عميقة الجذور أهم ركائزها الطائفية، وتعاظم نفوذ الأقليات التي مكن لها الاستعمار على حساب أهل السنة، وجاء نظام البعث ليعزز من قوتها وسطوتها، وعلى الرغم من اتفاق المعارضة العام الذي يظهر في خطابات المعارضة حول إسقاط النظام، فإن المتضرر الأكبر من قمع النظام هم أهل السنة الذين يمثلون أكثرية داخل المجتمع؛ لذلك يجب عليهم حشد طاقاتهم خلف غاية واحدة هي تحرير بلادهم من دنس النظام الطائفي النصيري، والعيش مع الآخرين وفق ما يحكم به شرع الله سبحانه وتعالى.

سورية:
مشكلات العمل السياسي وآفاق التغيير

د. بشير زين العابدين(*)

درجت الكتابات السياسية المعاصرة على تحميل نظام البعث مسؤولية تعطل الحياة السياسية في سورية، وتدهور النشاط الحزبي، وغياب منظمات المجتمع المدني.

لكن تطورات الثورة السورية قد ألقت الضوء على مجموعة من الظواهر السلبية الأكثر تجذراً في الممارسة السياسية، وفي بنية الكيان الجمهوري الذي ارتبط منذ ظهوره بمعادلة إقليمية يصعب الفكاك منها؛ إذ إن الأهمية الإستراتيجية لسورية تمتد إلى أقاصي الحدود السياسية للعالم العربي، وتقع على خط المحور الرئيسي لإستراتيجيات القوى الكبرى.

ويعاني البحث العلمي المعاصر من ندرة الدراسات التي تُعنى بتأثير العوامل الداخلية على الأمن الإقليمي والدولي، ويأتي ذلك النقص كنتيجة لعدم اعتراف مدارس «الواقعية» و«الليبرالية» بوجود عوامل مؤثرة على الأمن الدولي خارج إطار الدول، لكن مجريات الأحداث منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ قد أكدت وجود عناصر فاعلة خارج هذا الإطار، ومن أبرزها: العلاقة بين القوميات والدول، وتعامل المجموعات الإثنية والمذهبية فيما بينها ضمن إطار المجتمع، وارتباط الفرد بالدولة وشعوره فيها بالمواطنة والانتماء.

وعلى الرغم من التدخل الخارجي في ثورات تونس ومصر وليبيا واليمن؛ إلا أن استعارة خلاف المجتمع الدولي حول الحالة السورية واصطفافه في معسكرين متنافسين؛ قد أثبت ضرورة تقصي تأثير التطورات المحلية على الأمن الدولي، ومن ذلك: دور العناصر غير التابعة للدول في تأجيج النزاعات الإقليمية وتأثيرها على منظومات الأمن العالمي، وأثر التفاعلات الداخلية في تأجيج الخلافات الإقليمية، إضافة إلى النزعات الانفصالية، والفتن الطائفية، ومشاكل الحدود.[1]

(*) أكاديمي سوري.

(1) Benjamin Miller, States, Nations, and the Great Powers, (Cambridge Studies in International Relations, 2007), pp. 12–15.

وكان محمد أيوب قد نشر دراسة قيمة حول تأثير المشاكل الداخلية على الأمن الدولي، أشـــار فيها إلى أن الجمهوريات الحديثة قد عانت من نقص تجربتها في تشييد أركان الدولة القومية إثر انفكاكها عن تراثها التاريخي، وأدى قصر تجربة بناء الدولة وتطور أنظمة الحكـــم إلى ارتكاز الدول الحديثة على قواعد ضيقة من الفئات الحاكمة التي تستند إلى القوة العســـكرية وليس إلـــى التأييد الشـــعبي، ونتيجة لذلك فإن مهددات الأمن لهذه الدول غالباً ما تأتي من الداخل بســـبب ضعف بنيتها وعدم قدرتها على تشـــكيل علاقة متوازنة بين الدولة والمجتمع، ثم تأتي عوامل: الضعف الاقتصادي، وسوء توزيع الثروة، والتوتر بين مختلف المجموعات الإثنية والمذهبية داخـــل المجتمع كأمراض فتاكة تنخر في جســـد هذه الدول، وتمنعها من تشـــكيل نظام أمني متـــوازن، وتؤثر بدورها على منظومات الأمني الإقليمي.[1]

وتجمع الدراســـات المعاصرة علـــى أن هذه الأمراض قد تمكنت من جسد النظام السوري وآذنت بانهياره؛ إلا أن فشل المعارضة في توفير بديل سياسي ناضج يدرأ عن دول الجوار مخاطر الانفلات الأمني قد أخر ذلك السقوط.

وعلى الرغم من أهمية التفاعلات السياسية المعاصرة، وما ستسفر عنه هذه التفاعلات من تأثير على مستقبل البلاد؛ إلا أنه لا بد من التأكيد على أن مشـــاكل الممارسة السياسية في سورية تعود إلى فترة ســـابقة لحكم البعث (١٩٦٣-٢٠١٢م)، إذ إن الأحزاب السياسية في حقبة الانتداب (١٩٢٠-١٩٤٦م) وفترة الحكـــم الديمقراطـــي (١٩٤٦-١٩٦٣م) قد عانت من مشاكل مســـتعصية على الأصعدة الجيوسياسية، والبنيوية، ويمكن تفصيل أبرزها فيما يأتي:

إشكاليات الجغرافيا وتأزم العلاقة مع المحيط الإقليمي

كانت فترة الانتداب الفرنســـي حاسمة في تاريخ سورية الحديث، ففي هذه الفترة وضعت أســـس نظامها الجمهوري الوليد، ورســـمت حدوده، ونشـــأت مؤسســـات الحكم، وتم انتخـــاب أول رئيس للجمهورية ســـنة ١٩٣٢م، وأقر فيها أول دستور للبلاد.

وفي هذه الأثناء ســـعت ســـلطة الانتداب الفرنسية إلى ترســـيخ هيمنة الأقليات، فأنشـــأت مجموعة من الدويلات الطائفية، وقســـمت الحدود فيما بينها لتعطـــي الكانتونات الطائفيـــة الصغيرة القدر الأكبر من مـــوارد الحياة، ونتيجة للمظالم التي اســـتحدثتها فرنسا في خارطة الكيان السوري؛ لم يبق للجمهورية الحديثة من ســـاحل الشام الممتد أكثر من ٨٠٠ كم بين كلكيلية وسيناء ســـوى ١٨٣ كم، أما الباقي فقد توزعته كل من: فلسطين على طول ٢٤٠ كم، ولبنان على طول ٢٠٠ كم، ولواء الاســـكندرونة الذي يمتد ساحله لمسافة تزيد عـــن ٢٠٠ كم، وبذلك فقد حيل بين مناطق ســـورية الداخلية والمنافذ البحرية لها، فحرمت دمشـــق على ســـبيل المثال من الوصول إلـــى مينائي حيفا وبيروت القريبـــة منها، وحرمت حمص مـــن الوصول إلى ميناء طرابلـــس، وحرمت حلب من الوصول إلى ميناء الاسكندرون القريب منها[2].

وبمجرد اســـتقلال ســـورية عن الحكم الفرنســـي سنة ١٩٤٦م وجد رجال الحكم المدني أنفســـهم في مأزق كبير؛ إذ أصبح من المتعين عليهم لدى تسنم المناصب العليا في الدولة أن يقسموا على صيانة الكيان الذي كافحوا لمنع قيامه طوال فترة الانتداب، وكانت غالبية الأحزاب الســـورية التي نشأت في تلك الفترة غير مؤمنة بإمكانية استمرار الكيان الجمهوري وفق الصيغة التي رســـمها لهم الاســـتعمار، فكانت برامجها السياســـية تمني المواطن الســـوري بالتوصـــل إلى نمط من أنماط الوحدة العربية التي يمكن أن تحقق الاستقرار المنشود الذي سلبته منهم سياســـة الحلفاء من خلال ترسيم الحدود السياســـية وفق أهوائها؛ فقد تبنى الحزب القومي السوري تحقيق مشروع ســـورية الكبرى، ووضع حزب البعث من أهم أهدافه تحقيـــق الوحدة العربية، في حين كان غالبية أعضاء حزب الشـــعب يميلون نحو تحقيق فكـــرة الهلال الخصيب، وعمد الحزب الوطني إلى التقارب مع الســـعودية ومصر لمنع قيام وحدة تتسبب في حدوث اختلال توازن إقليمي، وفي هذه الأثناء كانت تداعب الكثير من الساســـة أحلام إعادة توحيد بلاد الشام بإقامة مملكة هاشمية كبرى.

وفي أتون الصراع الإيديولوجي حول كيفية تحقيق الوحدة أصبحت أطراف الطيف السياســـي والعســـكري في سورية تتراشـــق تهم: «الخيانة» و«العمالة» و«التآمـــر» وغيرها من

(1) Mohammed Ayoob, Regional Security in the Third World, (Westview Press, Colorado, 1986), p. 6.

(٢) عبد العزيز عثمان ومحمد التقي عبد الرحمن (١٩٥٤)، سورية ولبنان: دراسة شاملة للجغرافية الطبيعية والحياة البشرية والاقتصادية، مكتبة ربيع بحلب. ص.ص ٤٥-٤٦.

الكلمات التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من قاموس المصطلحات السياسية السورية في مرحلة ما بعد الاستقلال، ونتيجة لتلك التشوهات الجسدية في بنية الكيان الجمهوري؛ فقد ورثت سورية في عهد البعث علاقات متأزمة مع جميع دول الجوار، وتعامل نظام آل أسد بعدوانية ملفتة مع النظامين العراقي والتركي، وسعى إلى التدخل في الشؤون الداخلية للأردن، وزج بقواته في لبنان، كما حاول احتكار القضية الفلسطينية في سياسته تجاه الكيان الصهيوني.

ونتيجة لتراكم أخطاء السياسة الخارجية؛ فقد تعامل النظام السوري بحساسية كبيرة تجاه أي عمل سياسي سوري أو عربي يأتي من الخارج، كما شنت أجهزة استخباراته حملة تصفيات طالت العديد من خصومه خارج القطر السوري.

ومن الملفت للانتباه أن تكون مشاكل تأثير السياسيات الخارجية على الشأن الداخلي هي أول بوادر الخلاف بين قوى المعارضة السورية في مرحلة الثورة الثانية (٢٠١١-٢٠١٢)، حيث برزت إشكاليات تحديد الموقف من التدخل العسكري، وطلب الحماية الدولية، والتدخلات الإيرانية والروسية، كمسببات رئيسة للخلاف بين الأطراف المعارضة.

البنية الديمغرافية والتوزيع السكاني

اتبعت الدولة العثمانية مع الأقليات الدينية في بلاد الشام نظام «الملة» الذي منحهم قضاءهم المستقل وإدارتهم الخاصة، واعترفت لهم بحماية قناصل الدول الغربية، وعندما قامت الدولة القومية في العهد الفيصلي دعت إلى إلغاء هذه الامتيازات ولم تظهر أي مراعاة للخصوصية التي كان يدعيها أبناء الطوائف، ولذلك فقد طالب النصارى في لبنان بحكم مستقل، وبينما كان النصارى البروتستانت في سورية يميلون نحو الإنجليز؛ كان الكاثوليك يفضلون الانتداب الفرنسي[١].

وأبدى بعض أبناء الأقليات الطائفية في سورية رغبة مماثلة في الانفصال بكياناتهم المستقلة عن الحكم الفيصلي، حيث يشير محمد كرد علي إلى أن بعض الدروز: «كانوا يدلون على الدولة (العثمانية) بما لهم من عطف بريطانيا عليهم فيتوهمون أن ينشئوا لهم في صميم الشام دولة صغرى ناسين جميع الاعتبارات التي كانت تحول دون أمانيهم»[٢].

وعلى هذا النحو كان توجه فئة من العلويين في جبال النصيرية، ففي معرض الحديث عن نتائج لجنة «كراين» للاستفتاء عام ١٩١٩ أشار يوسف الحكيم إلى التوجه الانفصالي لديهم بقوله: «كانت الأكثرية العلوية في منطقتي اللاذقية ولواء اسكندرونة بشبه إجماع على الانتداب الفرنسي»[٣].

وبالإضافة إلى ما أظهرته الأقليات الدينية والطائفية من رغبة في تحقيق الحكم الذاتي والاستقلال عن أي سلطة مركزية في دمشق، فإن الأقليات العرقية من الشركس والأكراد والأرمن كانوا يظهرون قدراً مماثلاً من الضغينة لدعاة الفكر القومي، حيث دأبت السلطة الفرنسية على تجنيدهم في جيش الشرق لقمع الثورات التي اندلعت ضد الاحتلال في مختلف المحافظات السورية.

وتجد المعارضة السورية اليوم نفسها في موقف مشابه؛ حيث تجد صعوبة كبيرة في استقطاب الجزء الأكبر من أبناء الطوائف والأقليات التي لا تزال تقف على هامش الثورة، وتعبر عن قلقها من تولي الأغلبية السنية حكم البلاد، مما يمكن أن يفقدها الكثير من المميزات التي تمتعت بها منذ زمن بعيد.

ولا بد من التأكيد على أن مشكلة الأقليات لا تقف عند مطالب هذه الفئات بالمحافظة على الامتيازات التي منحها لهم النظام الفرنسي ورسخها حكم آل أسد، بل تمثل في حقيقتها مشكلة ديمغرافية يتعين التعامل معها بواقعية وحذر؛ فقد أدى تفوق عنصر الأقليات في المؤسسة العسكرية إلى هيمنة هذه الفئات على الحكم المدني في فترة الانقلابات العسكرية، مما أدى إلى ظهور العنصر العسكري-الطائفي في إدارة البلاد.

وفي مقابل تدهور الحياة السياسية وفشل الأحزاب المدنية؛ مثلت «الطائفة» لهذه الأقليات المحضن الآمن أمام التقلبات السياسية، إذ كان الانتماء إلى الأقليات الطائفية لا يقتصر على الانتماء الاعتقادي فحسب، بل كان يمثل انتماء إقليمياً وعشائرياً لأبناء الطوائف في آن واحد؛ إذ كانت الغالبية العظمى من عشائر العلويين تقيم في جبال النصيرية مع وجود أقل في ريف حماة وحلب، ولاحظ نيقولاوس فان دام

(١) زين نور الدين زين (١٩٧١م)، الصراع الدولي في الشرق الأوسط، بيروت. ص ١٠٤.

(٢) محمد كرد علي (١٩٦٩م)، خطط الشام، بيروت. ٣/ ١٠٥- ١١٣.

(٣) يوسف الحكيم (١٩٦٦م) سورية والعهد الفيصلي، بيروت. ص ١٠٥.

بأن نسبة ٦٢,١ بالمئة من العلويين كانوا يعيشون في محافظة اللاذقية، بينما كانت تتركز الغالبية العظمى من الدروز في جبل العرب بنسبة ٨٧,٧ بالمئة. ويقيم الإسماعيليون في منطقتي مصياف والسلمية[١].

ولا بد من التأكيد على أن هذه المشكلة لا تعود إلى فترة حكم نظام البعث، بل هي متجذرة في بنية الكيان الجمهوري منذ ولادته، ولابد من التعامل معها من هذا المنظور؛ فعلى الرغم من أن أبناء الطوائف كانوا يشكلون أقليات صغيرة في سورية إلا أنهم تمتعوا بميزات لم تكن متاحة للأغلبية من أبناء السنة، حيث مثلت الطوائف بالنسبة إليهم انتماء اعتقادياً-عشائرياً-إقليمياً في آن واحد، وهو الأمر الذي لم يكن متاحاً للمسلمين السنة أو حتى للمسيحيين، وسيكون من الصعب إقناع هؤلاء بالتنازل عن مكتسباتهم، أو تحقيق نمط من التمثيل السياسي المدني في المحافظات (أو الأحياء) التي تكثر نسبتهم فيها، وقد لخص هذه المشكلة القنصل البريطاني في دمشق عام ١٩٤٥م بقوله:

«لقد أفسد الفرنسيون أبناء الطوائف بإضفاء الحماية عليهم وتفضيلهم على غيرهم، وبالتالي زرعوا في نفوسهم الشعور بالاستعلاء مما جعلهم يبالغون في المطالبة بحقوقهم أو التعبير عن مظالمهم. وإذا استطاع هؤلاء أن يتخلوا عن هذه المشاعر والتصرف على أساس أنهم مواطنون سوريون بالدرجة الأولى فإنه لن يكون هناك مبرر لشعورهم بالخوف»[٢].

(1) Van Dam, N. (1987) ,Sectarian and Regional Factionalism in the Syrian Political Elite,, The Middle East Journal, vol. 32, no 2, (spring 1987). pp. 201–210.

(2) Bourne, K. and Watt, D.C. edits. (1985) British Documents on Foreign Affairs, ,Weekly Political Summary, (E2706/8/89), 27 April 1945.

ضعف الأحزاب السياسية ومؤسسات الحكم المدني:

كانت معارضة الانتداب الفرنسي هي العامل الذي وحد الكثير من الأحزاب السياسية ووضعها في خندق واحد، إلا أن هذه الأحزاب لم تثبت جدارتها في المرحلة التي أعقبت الاستقلال، ففي غضون ثلاث سنوات؛ فشلت خمس حكومات مدنية في مواجهة التحديات السياسية والاقتصادية.

وشهدت الفترة: ١٩٤٩-١٩٥٤م، تشكل نحو إثنتي عشرة حكومة، تراوحت مدتها بين سبعة أشهر ويوم واحد (!)، وكذلك كان الحال في السنوات التسع الممتدة ما بين عامي ١٩٦١ و١٩٧٠م؛ حيث تشكلت سبع عشرة حكومة تراوحت مدة أغلبها ما بين سبعة أشهر وشهرين.

وتعود المشكلة إلى هشاشة بنية الأحزاب المدنية في مقابل الدعم الذي حظيت به المؤسسة العسكرية في فترة الانتداب؛ فالأحزاب الرئيسة كحزب الشعب والحزب الوطني لم تكن تتبنى إيديولوجية محددة، ولم يعتبرها المراقبون سوى ائتلاف بين أطراف سياسية واقتصادية مستفيدة تسعى إلى استبعاد مناوئيها عن السلطة بشتى الوسائل، وقد أدى ذلك إلى ظاهرة تقلب الولاءات السياسية بين أعضاء البرلمان، وتذبذب السياسة السورية بين اليمين واليسار دون وجود عنصر توازن للنظام الجمهوري.

وقد انعكست حالة الفوضى السياسية بصورة مروعة في انتخابات سنة ١٩٤٧ حيث تنافس ١٨٠٠ مرشح على ١٤٠ مقعداً، وسادت أحداث العنف في سائر أنحاء البلاد، وأسفرت الانتخابات عن مجلس مفكك كانت غالبية أعضائه من المستقلين.

وعلى إثر انعتاق القطر السوري من خمسة أنظمة انقلابية عسكرية في الفترة: ١٩٤٩-١٩٥٤م؛ عقدت انتخابات نيابية أخرى تنافس فيها تسعمئة مرشح على ١٤٢ مقعداً، وأسفرت عن عجز أي كتلة في تحقيق أغلبية تمكنها من تشكيل الحكم.

وبالإضافة إلى ضعف التأصيل الإيديولوجي وتغلب النزعة الفردية لدى الأحزاب السورية، انتشرت بين الأحزاب الأصغر حجماً ظاهرة الارتباط بالعسكر والتغلغل

في صفوف الجيش السوري، كطريق أقصر للوصول إلى سدة الحكم، فقد كان الشعور السائد لدى أغلب السياسيين بأن مفاتيح السلطة بيد المؤسسة العسكرية مما دفع بالعديد من المغامرين السياسيين لزج الجيش في أتون المعارك الانتخابية وتشجيع الفكر الانقلابي، وكان لزعماء حزب البعث والحزب القومي السوري النصيب الأوفر من التمثيل في صفوف الجيش.

وكانت الظاهرة الأبرز في فترة ما بعد الاستقلال هي كثرة الانقلابات العسكرية، حيث شهدت سورية خلال الإحدى وعشرين سنة الممتدة منذ سنة ١٩٤٩م وحتى ١٩٧٠م واحداً وعشرين انقلاباً ومحاولة انقلابية وحركة تمرد أو عصيان قام بها بعض ضباط الجيش السوري.

وأدت هذه الانقلابات إلى شل حركة المؤسسات الدستورية، وتعطيل الحريات العامة، وفرض الرقابة على الصحف وأجهزة الإعلام، وتعزيز دور أجهزة الأمن والاستخبارات. وفي هذه الأثناء أقدم ثلاثة من رؤساء أركان الجيش السوري على تولي سائر السلطات التشريعية والتنفيذية وتبوء رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة، وأصبحت المناصب السياسية ألعوبة بيد العسكريين؛ ففي عام ١٩٥٢ قرر رئيس المجلس الحربي الأعلى فوزي سلو تولي منصب رئيس مجلس الوزراء إضافة إلى منصب رئيس الدولة! ثم أعلن عن استحداث منصب نائب رئيس الوزراء، وقرر العقيد أديب الشيشكلي أن يتولى هذا المنصب بنفسه، ثم قرر الشيشكلي ترقية نفسه إلى رتبة زعيم (عميد) أما سلو فرفع إلى رتبة لواء، ثم قرر سلو تولي منصب وزير الدفاع إضافة إلى توليه رئاسة الدولة ورئاسة مجلس الوزراء! وتولى الشيشكلي منصب وزير الداخلية إضافة إلى نيابة مجلس الوزراء[1]!

وكانت المناصب التي تولاها أمين الحافظ مثار سخرية الشارع السوري، حيث أسندت إليه أكثر من عشرة مناصب في آن واحد منها تعيينه: رئيس مجلس قيادة الثورة، وقائد الجيش، ورئيس الجمهورية، ونائب رئيس الوزراء، ووزير الدفاع، ووزير الداخلية، ونائب الحاكم العسكري، كما أصبح في ١٢ نوفمبر ١٩٦٣ رئيساً للوزراء مع احتفاظه بمناصبه السابقة، إضافة إلى عضويته في كل من القيادة القومية، والقيادة القطرية لحزب البعث!

(١) جوردون توري (١٩٦٩م)، الجيش والسياسة في سورية، ترجمة محمود فلاحة، بيروت، ص ٢٢٧.

مشكلات المعارضة السورية في مرحلة الثورة (٢٠١١-٢٠١٢):

لم يبذل نظام الحكم في سورية خلال الفترة ١٩٧٠-٢٠١٢م جهوداً كبيرةً، لبناء إصلاح اجتماعي يحقق التوازن بين فئات المجتمع، وإنما قامت سياسته على ترسيخ الإرث الفرنسي المتمثل في نظام حكم مدني ضعيف وأحزاب سياسية لا تملك نظرية سياسية ناضجة، في مواجهة مؤسسة عسكرية تشكل عنصر التوازن الفعلي في الإدارة المحلية والأمن وتبسط نفوذاً كبيراً على جهاز الحكم المدني، وذلك بالاعتماد على الأقليات الطائفية التي استند عليها الفرنسيون للإضعاف من المقاومة التي قامت ضد سلطة الانتداب.

لقد أدرك حافظ أسد في الثلث الأخير من القرن العشرين بأن الشق الحزبي-المدني هو الحلقة الأضعف بين الفئات المتصارعة على السلطة، فأعطى لمؤسساته نمطاً شكلياً يقتصر على قطاع محدود في أجهزة الإدارة والحكم، وجعل توازن النظام يقوم على مؤسسة عسكرية تبسط نفوذاً واسعاً، واعتمد في ذلك على العنصر الطائفي-العشائري-العائلي لأنه يعدُّ الأكثر ضماناً بالنسبة إلى تحقيق معادلة التوازن الصعبة داخل المؤسسة العسكرية.

وقد مثلت هذه السياسة تراجعاً كبيراً في مجال تطوير أنظمة الحكم والإدارة، فالأنظمة العائلية ذات النمط العائلي-العشائري تُعد بحد ذاتها عودة إلى الإرث الإقطاعي الذي قام حزب البعث على نبذه والتبرؤ منه.

والحقيقة هي أن المشكلات التي عانت منها الأحزاب السياسية السورية في الفترة المعاصرة لا تخرج عن إطار المشكلات التي اعترضت العمل السياسي في الفترة السابقة لحزب البعث، وتتمثل في: غياب الفكر السياسي الناضج، ونزوع المؤسسة العسكرية إلى الاستئثار بالسلطة، ومنح الامتيازات للأقليات الطائفية في مواجهة الأغلبية السنية من أبناء المجتمع، ولذلك فإن هذه الأحزاب قد فشلت في التوصل إلى موقف موحد تجاه القضايا الرئيسة، ولم تفلح جهودها في اعتراف المجتمع الدولي بقدرتها على توفير البديل السياسي والأمني، ومنع الانفلات الأمني والصراع الإثني والطائفي الذي سيؤثر سلباً على دول الجوار.

ونتيجة لتلك الإخفاقات المتتالية؛ فإن المعارضة الخارجية تعاني من انفصامها عن الحراك الثوري في الداخل، وذلك لأنها لم تنجح في الانعتاق من إرثها التاريخي وتطوير منطلقاتها الإيديولوجية، مما أدى إلى التعامل معها باعتبارها جزءاً من البنية السياسية التي قامت الثورة ضدها، فهي لم تقدم في العقود الخمسة الماضية نماذج جيدة من النزاهة والاحتراف، ولم تنجح في تسويق نفسها كبديل ناضج عن السلطة القمعية، وتؤكد شواهد الحراك الثوري بأن التيار العارم في الداخل يتعاطف أكثر مع المستقلين، ولا يقيم اعتباراً كبيراً للسياسيين القادمين من الخارج.

وتكمن المشكلة في أن ضعف أداء الأحزاب السياسية، وعجزها عن مواكبة الحراك الثوري، لا يقتصر على إبطاء مسيرة الثورة وعرقلة حركة التغيير فحسب؛ بل سيمتد تأثيره السلبي إلى مرحلة ما بعد انهيار النظام، خاصة وأن التناقضات التي سبقت قيام البعث قد بدأت تستيقظ من سباتها العميق، وتشكل في مجملها تحديات لا تملك الجمهورية السورية بدائل سياسية مدنية ناضجة في مواجهتها.

وليس من الإنصاف تحميل حزب البعث وحده المسؤولية تعطيل الحياة السياسية ووأدها، فقد كان حزب البعث منذ تأسيسه عام ١٩٤٧م واحداً من مجموعة أحزاب تتحمل وزر فشل الحكم المدني وتسلط العسكر عليه، مع الاعتراف بأن قيادات البعث كانت الأحرص على إدخال الجيش في أتون السياسية والوصول إلى الحكم عبر ظهور الدبابات بدلاً من صناديق الاقتراع.

ولا بد من التأكيد على أن المشاكل الكامنة في البنية السياسية للقطر السوري لا تقتصر على أخطاء فترة حكم الحزب الواحد، بل تعود جذورها إلى مرحلة نشوء الكيان الجمهوري، ولا بد من التعامل مع هذه الإشكاليات بصراحة وواقعية لا تشوبها المناورات السياسية أو المجاملات، مما يفرض على القوى الفاعلة أن تبادر إلى وضع أسس جديدة للعمل السياسي تضع في الاعتبار: التعقيدات الإقليمية، والتحولات الفكرية، والتطور السكاني، إذ إنه لم يعد من الممكن التغطية على فشل الأحزاب السياسية بتشكيل ائتلافات مصلحية، وإطلاق شعارات رنانة، وإصدار بيانات تخطب ود القوى الخارجية بدلاً من مخاطبة الفئة الشبابية الجديدة التي أوقدت جذوة الثورة واصطلت بنيرانها في سبيل تحقيق الحرية والكرامة.

عسكرة الثورة في سورية.. عنوان مضلل

حمل السلاح المشروع ضدّ استخدام السلاح في القمع غير المشروع

نبيل شبيب
nabil@chbib.de

يدور الحديث عن «عسكرة الثورة» في سورية.. وعن «وقف إطلاق النار».. و «هدنة يومية مؤقتة» .. وما شابه ذلك من كلمات تبدو وكأنها مصطلحات ثابتة التعريف، دخلت في نصوص بيانات رسمية لمجلس الأمن الدولي وسواه، أو في كثير من التصريحات السياسية، حتى تلك الصادرة عمّن يعدُّون أنفسهم «الساسة المعارضين» باسم شعب سورية.. وفي جميع هذه التعابير قدر كبير من التضليل عن حقيقة بسيطة فاجعة: إنّ ما توحي به هذه الكلمات مضلّل، إذ لا توجد حرب بين طرفين، بل حرب نظام استبدادي قمعي مدعوم خارجياً ضد شعب أعزل لا يجد حتى الآن دعماً فعالاً من خارج الوطن.. وإن وجد «تأييداً» كلامياً كثيراً.

من الذي سعى وما يزال يسعى من أجل تحويل «الصورة» المتداولة عن ثورة، من ثورة شعبية سلمية تاريخية بطولية، إلى «انتفاضة مسلّحة»؟..هذا مع التأكيد أنّ مشروعية حمل السلاح في مواجهة نظام استبدادي قمعي همجي فاجر – كما هو في حالة سورية – ثابتة من مختلف زوايا النظر الحقوقية دون استثناء.

مسؤولية الاستبداد القمعي:

انطلقت الثورة الشعبية في سورية في آذار/ مارس ٢٠١١م، واعتمدت على المظاهرات الشعبية السلمية بكل معنى الكلمة، وبدأت مواجهتها من اللحظة الأولى بالاعتقال والتعذيب والقتل، كما تشهد الحالات المبكرة لقتل الأطفال، مثل اغتيال حمزة الخطيب تعذيباً، وتسليم جثمانه الطاهر وعليه آثار التعذيب لأهله إرهاباً للآباء والأمهات والأطفال أن يمضوا قدماً في طلب الحرية والكرامة والعدالة.. ومضوا على الرغم من ذلك. لم تشهد الشهور الستة الأولى على الأقلّ سوى المظاهرات الشعبية دون سلاح ولا «من أحجار الأرض أو حتّى البيض»، مقابل الاعتقال العشوائي بالألوف والقتل الهادف بالعشرات.. يومياً، على الرغم من ذلك أدّى عجز ما يوصف بنظام الحكم عن كسر الإرادة الشعبية السلمية، فأصدر رئيسه بشار في نهاية إيلول/ سبتمبر ٢٠١١م مرسوماً آخر من مراسيمه، حمل رقم ١١٤، وتناول المرسوم الجديد ما سمّاه «التعبئة».

هنا نقف -لبيان ما تعنيه كلمة عسكرة الثورة من تضليل- وقفة قصيرة مع عملية تشويه المصطلحات التي تلعب دوراً كبيراً في «التضليل» بصدد حقيقة ما يجري في سورية، فالحديث عن سلام.. وحوار.. وأمن.. وعصابات.. وانتخابات.. وحقوق.. وشعب.. ومجلس الشعب.. وإصلاح.. إلى آخره، حديث يغيّب حقيقة معاني هذه الكلمات جميعاً وأمثالها، مهما تكرّر ذكرها. وبين أيدينا مثال كلمة (المرسوم) فهو في الجمهورية الأسدية عبارة عن أمر فردي لا مثيل لمشروعيته المزيفة من مشروعية ما قد يشابهه لفظاً في الدساتير المعتبرة، وقد أعطي منزلة قانون دون أي قيد، حتى القيود الدستورية المرتبطة بقوانين تصدر عادة عن مجلس نيابي منتخب، فالمرسوم الأسدي ليس إلاّ صورة من صور التعبير عن اغتصاب سلطة التشريع منذ اللحظة الأولى لنشأة «الجمهورية» الأسدية. ويسري شبيه ذلك على كلمة تعبئة، فلا علاقة لها بالمعنى الاصطلاحي للكلمة، عندما يكون استخدامها دستورياً، ومحدداً بصيغة حقوقية سليمة في الدول المعتبرة.

التعبئة مرتبطة عادة بحالة حرب، ولا توجد في سورية حالة حرب، ولا يوجد أي شيء يشير إلى العزم على «تحرير الجولان» مثلاً، أمّا حالة الثورة الشعبية، فبغض النظر عن استحالة تشبيهها بحالة حرب تهدد الشعب (فهو الثائر) والوطن (فهو المغتصب أسدياً) لم يلجأ أطفال الثورة ونساؤها وشبابها وشيوخها حتى تلك الفترة من الشهر السادس للثورة، التاسع من عام ٢٠١١م، إلى حمل السلاح، أو التهديد بحمله، أو الدعوة إلى ذلك.. فبقي السلاح عبارة عن «صدور عارية.. وحناجر هاتفة»، وحتى الشرفاء من الضباط والجنود الذين بدؤوا يرفضون إطلاق النار على المتظاهرين السلميين من أبناء شعبهم، وينفصلون عن الأجهزة القمعية المسلّحة، كانوا هم أنفسهم لا يكادون ينجون من القتل، فلم يكونوا يقومون بعمليات دفاعية ولا نوعية، حتى تلك اللحظة التي شهدت إصدار «المرسوم الأسدي بالتعبئة»، ولهذا يمكن التأكيد بصورة قاطعة، أن توقيته مع التفاصيل الواردة فيه، يكشف مباشرة عن نيات الاستبداد القمعي منذ ذلك الحين، فالمرسوم يعني أمراً واحداً هو توسيع نطاق الحرب التي يمارسها الاستبداد القمعي ضد الشعب الثائر، وتؤكّد ذلك عبارة وردت في نص المرسوم: (حدوث اضطرابات داخلية تهدد أمن الوطن) لتسويغ إعلان (حالة التعبئة) -المادة الثالثة- وهو ما يعني العزم على توسيع القمع إضافة إلى ما سبق من استخدام ميليشيات مسلّحة إجرامية ملحقة بالجيش، ولا تتردّد عن قصف المدنيين وقتل الشرفاء من العسكريين الرافضين القبول بالمشاركة في تلطيخ وجه الجيش نفسه بدماء شعبه.

والمرسوم مثال واحد من أمثلة عديدة لا ينفسح المجال لذكرها، للدفع باتجاه «إكراه الشعب على حمل السلاح» وقد جرى تنفيذ المرسوم على أوسع نطاق، فوصل إلى ما نشهده هذه الأيام من قصف متواصل في مختلف المدن السورية، ومن إبادة عوائل بكاملها ومن ذبح علني في الشوارع ومن تسوية أحياء سكنية كبرى بالأرض، على الرغم من ذلك «لم يحمل الشعب المدني المتظاهر السلاح» وما تزال الجماهير الغاضبة من المواطنين العزل تنزل إلى الشوارع تحت القصف دون سلاح، كما يشهد يوم الجمعة ٢٠١٢/٤/٦م في أثناء كتابة هذه السطور، بينما تحاول حمايتها «كتائب» شكّلها الجنود والضباط الشرفاء الذين حرّروا أنفسهم من قبضة القمع الأسدي المفروض على الجيش والشعب معاً، وهي «كتائب» لا تملك ما يكفي من السلاح أصلاً، وما تزال في حاجة إلى كثير من التوجيه، لتكون بالفعل قوّة حامية لشعب ثائر.

المخاوف من ظاهرة استخدام السلاح:

إن الذي نشر حالة من القلق في فترة دخول الثورة عامها الثاني هو المقارنة غير المتوازنة بين هتافات «سلمية سلمية» في شهرها الأول، وانتشار الدعوة إلى حمل السلاح في أوّل شهور عامها الثاني. ولم تستقرّ بعد النظرة العامة إلى مجرى الأحداث ومتغيراتها، هل هو انتكاسة وفق ما أراده نظام العصابات المسلّحة؛ ليحوّل الثورة إلى معركة بين طرفين مسلّحين غير متكافئين، أم أنّه تطوّر يعطي الثورة قوّة إضافية لتحقيق هدفها بوسائل إضافية مشروعة.

وهنا يجب عدم الاستغراق في محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات، ولا في محاولات «تبرير وتسويغ» في إطار جدل لا قيمة له ولا طائل من ورائه، إنّما يجب تحديد رؤية الوضع الآني كما هو، للتعامل معه في الاتجاه الصحيح، وهذا الاتجاه الصحيح لم يتبدّل: إسقاط الاستبداد بجذوره وفروعه، وتحرير إرادة الشعب تحريراً ناجزاً لإعادة بناء المجتمع والدولة.

إنّ دخول عنصر العمل المسلّح عبر الجيش الحر (الذي أصبح هو المسمّى المفضل بغض النظر عن الارتباطات التنظيمية المباشرة) ومختلف المسميات الأخرى، مع ازدياد التنسيق والتنظيم بشكل أفضل مما كان خلال لحظة نشأتها الأولى، يعطي مسار الثورة شكلاً جديداً، ومحاور جديدة للعمل الثوري، **مما يطرح عدداً من الأسئلة البالغة الأهمية، ومنها:**

١ هل تتحوّل قيادة الثورة من أيدي القائمين على فعاليات شعبية سلمية في أحياء المدن والأرياف، إلى أيدي القائمين على الجناح المسلّح وتوجيه عملياته العسكرية، أم يجب إيجاد صيغة جديدة تجمع بين ميزات هذا وذاك معاً؟.. والجواب: توجد جهود تبذل على نطاق واسع بين القادة الميدانيين للثورة الشعبية السلمية والقادة العسكريين للكتائب المسلّحة لتحقيق تنسيق يمنع من الازدواجية المحتملة في مثل هذه الحالات.

٢ هل يبقى مسار العمل المسلّح مقتصراً على الدفاع عن الفعاليات المدنية السلمية أم ينبغي أن يتحوّل في اتجاه ضربات وقائية تشلّ قدر الإمكان عصابات النظام المسلّحة قبل تعرّضها للفعاليات المدنية السلمية، وما الذي يحتاج إليه هذا الجناح المسلّح للثورة لأداء مهمته؟.. الجواب: لا يمكن تقدير ذلك إلا من جانب المسؤولين عن الكتائب المسلّحة، فهم أعلم بحقيقة العصابات المسلّحة التابعة للنظام الأسدي القمعي، وبالطرق المجدية لشلّ قدرتها على مواصلة توجيه الأسلحة الثقيلة إلى المواطنين العزل، كما أنّهم هم الأعلم بقدراتهم الذاتية لتحقيق هذا الهدف.

٣ ما الذي يجب صنعه «الآن» كيلا يخرج الجناح المسلّح «مستقبلاً» من مسار الثورة إلى موقع محاولة السيطرة على الثورة وحصيلتها، ومن مرحلة السعي للتنسيق والتنظيم والتوحّد تحت ضغط الحاجة، إلى مرحلة قد يصنعها «النصر» فتصبح مرحلة التشرذم والخلاف والنزاع؟.. الجواب: لا يمكن حالياً الوصول إلى أكثر من تعهدات، هي قائمة على أرض الواقع، علاوة على أنّ الثورة الشعبية السلمية نفسها عبّرت عن درجة من الوعي السياسي والبطولة المنقطعة النظير، لمنع أي انحراف من هذا القبيل، فمن خرج في سورية بالذات ثائراً بجسده وصوته، لإسقاط طاغوت عات كالطاغوت القائم منذ نصف قرن، المدجج بالسلاح من كلّ صنف، والمدعوم خارجياً من عدة جهات دولية.. هذا الصنف من الثوار لن يترك أحداً يتجرّأ على محاولة بذر بذرة طاغوت استبدادي بديل في قادم الأيام.

٤ بعد ما شهده العام الأوّل من الثورة من تجاذبات ونزاعات على مستوى العمل السياسي المعارض، بين داخل وخارج، ومنظم وغير منظم، وإسلامي وعلماني، ما السبيل الآن إلى عمل سياسي يواكب الوضع الجديد لمسار الثورة، بالارتفاع إلى مستواها المتألّق العالي، وليس عبر «جرّها» إلى مستوى ما كانت عليه قبل الثورة أو حتى مستوى «محاولة اللحاق بها» بعد انطلاقها؟.. الجواب: لئن لم يكن لذلك علاقة مباشرة بالعمل المسلّح رديفاً للعمل السلمي في الثورة الشعبية في سورية، فهو يكشف عن مسؤولية «الجناح الثالث» لها، أي ما يوصف بالمعارضة السياسية، وهنا يتحوّل مضمون السؤال إلى: كيف يظهر عمل سياسي «ثوري» الآن لا يقتصر على طرح الثورة طرحاً سياسياً على المستويات الشعبية والإقليمية والدولية فقط، بل يتمكن في الوقت نفسه من الحيلولة دون توظيف احتياجات الثوار المدنيين (الإغاثة) واحتياجات الثوار المسلّحين (السلاح) لتحقيق أغراض سياسية أنانية.. وليس أغراض الثورة؟..

الحرب الأهلية.. خطر مزعوم:

التحذير من نشوب «حرب أهلية» هو في مقدمة التحذيرات المتكررة على ألسنة من يقولون: نؤيّد الثورة، ثم لا يفعلون، أي لا يقدّمون للثورة ما تحتاج إليه فعلاً من «التأييد» العملي. وليس صحيحاً تفسير هذا التحذير بأنّ أصحابه لا يدركون حقيقة «شعب سورية الثائر» الآن وحقيقة أن ثورته وحّدت مكوّناته أكثر من أي وقت مضى على الرغم من الصورة السلبية التي تعطيها المعارضة السياسية التقليدية عن نفسها وليس عن الشعب الثائر، إنّما توجد أسباب أخرى لعدم التأييد الفعال، ويحتاج هذا الامتناع البعيد عن قيم أخلاقية أو حقوقية إلى «مبرّرات» سياسية وإعلامية، فتصدر هذه التحذيرات وأمثالها في محافل دولية، أو تصدر ذرائع من قبيل انقسام المعارضة على نفسها، وما شابه ذلك.

لا ينفي ذلك وجود مخاوف ممّا بدا وصفه بفوضوية عسكرة الثورة، بعد أن أصبح تعبير «العسكرة» شائعاً لوصف الحالة الخاصة المشار إليها من مسار الثورة الشعبية في سورية حالياً.

ليست المشكلة في حمل السلاح في مواجهة مجرمين مسلّحين متسلّطين، وليست المشكلة في غلبة مفعول الوجدان لدى الضباط والجنود الأحرار على مفعول «الرعب» الذي تقوم عليه البنية الهيكلية للتسلّط بأسلوب العصابات، إنّما جوهر المشكلة كامن في أمرين: أوّلهما أنّ عملية التحرّك المشروع بقوة السلاح انطلقت من «قلب مسار الثورة»، وليس نتيجة تخطيط وتنظيم على امتداد فترة زمنية طويلة سابقة، فكان من المحتم عدم توافر (قوة مقاومة ثائرة نظامية موحدة توجيهاً ومسلّحة تسلّحاً فعالاً) بين ليلة وضحاها، والأمر الثاني قدرة توظيف عنوان «عسكرة الثورة» من جانب العصابات المتسلّطة لصناعة الذرائع لدى من يشاركون في «حصار الثورة» إقليمياً ودولياً. لقد أراد «العقل المدبّر الإجرامي» أن تتحقق عسكرة الثورة.. ولكن سعى سعياً حثيثاً كي تكون عسكرة فوضوية، ولأنّه يمتلك من القوّة الإجرامية ما يملك، ولأن القوى الإقليمية والدولية تساهم في تمكينه من مواصلة البطش وتصعيده، فقد قطع في تحقيق ما يريده شوطاً كبيراً، ولهذا أصبح في مقدمة «واجبات المرحلة الحالية» أن تتحوّل عسكرة الثورة، المشروعة في مواجهة الإجرام، إلى حالة مستقرّة و«نظامية»، على الرغم من الظروف والمعطيات المعيقة، كي تفعل مفعولها عبر مزيد من موجات تحرّر الضباط والجنود، ومزيد من تنسيق المهمة التي تناط بالذراع المسلّح المشروع للثورة الشعبية السلمية البطولية.

إذا كانت حصيلة استخدام العصابات المتسلّطة لقوّتها المسلّحة الإجرامية «موجعة» تثير الآلام والأحزان وتنشر المآسي بلا حساب، فإنّ هذا بالذات، هو ما يجعل استمرار الثورة حتى النصر محتماً، وإن ارتفع الثمن، فثمن العودة عنها – إن حصلت لا سمح الله – أفدح وأكبر.. إنّه «السحق الكامل» عبر مزيد من الإجرام.

سورية
تستصرخكم يا أيها المســـــــ

مجاهد مأمون ديرانية(*)
mujahed@al-ajyal.com

١ كانت الثورة السورية مفاجأة لكل الناس، فقد كُبِتَ الشعب السوريّ الأبيّ فسكت حتى ظن الناس أنه لا يثور، واشتد الطغيان في هذا البلد الطيب وكُبِّل بالقيود، وطال ليلُه حتى استيأس أهله من طلوع فجر جديد.

ثار الشعب التونسي أولاً على طاغيته وطاغوته، ثم ثار الشعب المصري على طاغيته وطاغوته، وثار الشعب الليبي والشعب اليمني، وتحركت من عقالها شعوبٌ أخرى هنا وهناك، فعلمنا أنّ شعبَ سورية الأبيَّ على الطريق، ولكنّ قوماً لم يعرفوه قالوا: إن الشعوب كلها تثور والشعب السوري لا يثور! لعلهم ظنوا أنه أقلّ من غيره رجولةً ونخوة أو أنه أصْبَرُ ممَّن سواه على القهر والهوان، أو لعلهم غَرّهم منه طولُ صبره حتى ظنّوه يصبر أبدَ الزمان. ولكن أحداً لم يعرف الشعبَ السوري أكثرَ من الشعب السوري نفسه، فقد قالوا عنه وقال عن نفسه، فأخطأ فيه قولُهم وصَحَّ في نفسه قولُ نفسه.

نعم، لقد طال على هذا الشعب ليلُه حتى كاد لا يَرى في آخر نفق اليأس شُعاعةَ أمل، وخَبَتْ شعلةُ حماسته حتى ظنّ الناس أنها لا تشتعل من جديد، ولكنّ الشعلة التي خَبَتْ استحالت جمرةً لم تطفئها ريحُ القهر العاتية على مرّ السنين، والجمرةُ عادت فاتّقدت

(*) باحث في الشؤون السورية.
http://shamquake.wordpress.com

ـــــــلمون !

نارَ غضب جامحة، والشعوب إذا انفجر غضبها صنعت الأعاجيب.

لمّا تحرك الرجال الأبطال لتغيير الواقع الكئيب على الأرض جاءهـــم التوفيق والنصر من الســـماء، فإن الله آلى على نفســـه أنه لا يغير ما بالنـــاس حتى يغيروا ما بأنفســـهم. وأيُّ تغيير في النفوس أكبرُ من التغيير الذي نراه اليوم في أهلنا في ديار الشام؟ أولئك الذين تشكلوا في رحم الخوف، ووُلدوا في زمن الخوف، ونشـــؤوا في بلد الخوف، طَعِموا الخوفَ مع الطعام وشـــربوا الخوف مع الشراب وتنفسوا الخوف مع الهواء، ثم انتفضوا ذات صباح وقالوا: لا خوف بعد اليوم... وما لبثوا أن صنعوا الأعاجيب التي أذهلوا بها الدنيا!

لا تســـتغربوا ممَّا ترون، فما شعب مصر عن شعب تونـــس ببعيـــد، ولا هما مختلفان عن شـــعب العراق أو ســـورية أو فلسطين... إنّ فرَّقَتْ بين هذه الشعوب اليومَ حدودٌ فقد طالما وحّدتها العقيدةُ وجمعها إرث الجدود، إرثٌ يأبـــى عليها أن تطأطئ الـــرأس ذلاً أو ترضى بأن تُسام خطّةَ خســـف وهوان. هذه الأمة قد تغفو أو تنام لكنها لا تموت، والدليل في صحف اليوم وفي صحائف الزمان.

٢ اعتادت قوى الاستعمار والظلم أن تقطّع الأمة المسلمة إلى أوصال تفرّقُ بعضَها عن بعض وتلتهمها واحدةً بعد واحدة، يصنعون بنا ما صنعه صاحب الثيران بالثيران! لكنّ ليس اليومُ كالأمس، ولن نســـمح بتكرار المأســـاة. لقـــد قرأنا قصة الثور الأبيـــض وأدركنا اللعبة، وها نحن نهتـــف اليوم في وجوههم: نحن جسد واحد ولن نســـمح بتقطيع الجسد إلى أوصال؛ لن تأكلوا ثورنا الأبيض بعد اليوم!

لســـنا ثيراناً تأكلونها واحداً واحداً والبقية تنظر وتنتظر، بل نحن بشر لنا شِرعة ولنا دين، وفي ديننا وشِرعتنا أننا جسد واحد، إذا أوذي عضوٌ فيه انتفضت سائرُ أعضائه بالنجدة كما يتداعى الجســـد كله للعضو المريض بالحُمّى والسهر، وصدق رســـولنا الكريم عليه أتم الصلاة والتســـليم. لقد خدعتم هذه الأمةَ وعزلتم بعضَها عن بعض في سالف الأيام، فكلما غضب بعضُنا وانتفـــض في وجه الظلم والاســـتعمار أكلتموه منفرداً والآخرون ينظرون. نجحتم فـــي خداعنا ونَجَوتم من غضبات الأمس البعيد، ولكنّا لن نُخدَع -بإذن الله- ولن تُسكتوا غَضْبة اليوم الجديد.

لن يتخلى المســـلمون عن إخوانهم في ســـورية هذه المرة. وليســـت القضيةُ قضيةً سورية حصراً، بل هي قضية إنسانية وقضية إســـلامية؛ لأن المسلم أخو المسلم لا يُسْلمه ولا يَخْذله؛ ولأن الإنســـان الســـويّ يأبى أن يعتصم بالســـكوت والسكون، وغيرُه من الناس الأبرياء يتعرضون للذبح والعذاب.

٣ إن من حق الأخ على أخيه أن يُنجده في ساعة الحاجة، وهذا الشعب السوري الأبي لم يحتَجّ من قبلُ ولم يمدّ إلى أحد يداً بطلب، بل لقد كان الســـبّاق أبداً إلى النجدة والمســـاعدة؛ من يوم بدأت نكبة فلســـطين وقف مع شـــعب فلسطين ففتح له القلوب والجيوب، وتطوع الآلاف من الســـوريين للجهاد على التراب الفلسطيني الغالي، منهم من أصيب ومنهم من استشهد، وعلى رأســـهم شيخ مجاهدي فلســـطين الشهـــيد عز الدين القسّـــام. ثم كان أهل ســـورية ردءاً لكل مسلم وكانوا لإخوانهم العرب والمسلمين نِعْمَ السّنَد ونعم المُعين على مر السنين.

يا أيها المســـلمون: اعلموا أن إخوانكم في الشـــام ليسوا أهلَ حاجة ولا يتسوّلون الإحســـان، وقد طالما أغاثوا إخوانهم المســـلمين في كل وقت وحين، ولكن النظام المجرم دمّر حياتهم فأحوجَهـــم إليكم، ولا ينبغي للأخ أن يتخلى عن أخيه القريب.

في سورية اليوم آلاف من الأسر انقطع عنها المال بسبب غياب المُعيل تحت التراب، وعشـــراتُ آلافٍ بســـبب غياب المعيل في المعتقلات، ومئاتُ آلافٍ بسبب التشرّد والقصف والحصار، فلا تنسوا إخوانكم ولا تنسوا أهليكم، بل ابسطوا إليهم أيديكم بما تستطيعون.

إنهـــم ماضون في ثورتهـــم بكم وبغيركم مـــن العباد، قد اعتمـــدوا على رب العبـــاد ووثقوا بنصر اللـــه لهم، وإنما هي فرصة بعثها اللـــه لكم لتُفيضوا عليهم ممَّـــا رزقكم الله، فلا تضيّعوا الفرصة ولا تفرّطوا بشـــرف الدنيا وشرف الآخرة. إن الثورة لا تســـتمر بغير وَقود، وإن إخوانكم في سورية يُوقدونها بالدم كما يوقَد الســـراج بالزيت، ولكنهم إن لم تمدّوهم بالمال نَفَدَ وَقودُهم وســـكنت ثورتهم وانتصر عليهم عدوكم وعدوهم، وأين ستذهبون من الله لو أن هذا حصل لا قدّر الله؟ لن يسامح الله قوماً خذلوا إخوانهم وهم على نصرهم قادرون.

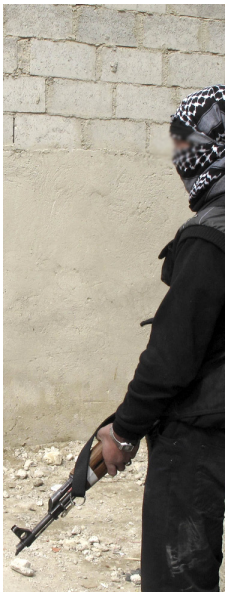

٤ يا أيها المســـلمون في كل مـــكان: إن كنتم تظنون أن إخوانكم في ســـورية يخوضون المعركة مع طاغية بلادهم وحَسْب لتحرير أنفسهم فقط فإنكم مخطئـــون، فإنهـــم يحاربون عدوهـــم وعدوكم معاً لتحرير أنفســـهم وإنقاذ الأمة كلها من مخطط كبير شـــرير. إنهم يخوضون الحرب في مواجهة عدوكم الذي تعرفون، والذي قارب أن يكمل مشروعه، وكاد يلفّ الأنشوطة على أعناقكم لولا ثورتهم المباركة. إن أهلكم في سورية يخوضون الحرب بالنيابة عن عامة المسلمين، ليس ليكسبوا هم وحدهم بل لتكسبوا أنتم أيضاً ويكسب أولادُكم وأولادهم على مَرّ السنين.

إنهم مـــا كادوا يثـــورون على نظـــام الاحتلال الأسدي في ســـورية حتى هَبّ لنجدته حلفاؤه هَبَّة واحدة، فنزعوا الغطاء وكشفوا الستر فإذا هم كلهم في الشر سواء، وإذا بهم عصابة طائفية بعضهم من بعض. كم حَذّرَ العقلاءُ وكم أطلقوا من نداءات ابتلعتها الرياح! منذ بضع وثلاثين ســـنة وضع ملالي إيران خطة القـــرن لاجتياح العالم الإســـلامي وابتلاعه، وبدؤوا يتحركون والمســـلمون نائمون لا يَعون ولا يدركون، فابتلعوا العراق واستولوا على لبنان واخترقوا ســـورية، وحاكوا مؤامراتهم وحركوا الفتنة في جزيرة العرب، في اليمن والســـعودية ودول الخليـــج، وباتوا قريبين من تكوين الإمبراطورية وتحقيق الحلم... وفجأة بعث الله عليهم من حيث لم يحتســـبوا عباداً له أولي بأس شـــديد. وأيُّ بأس أعظم من احتمـــال الأهوال التي يَلقَونها على يد نظام موغل في الإجرام تدعمه وتمدّه من ورائه دول وجماعات وجيوش ومنظمات؟

نعم، إن ثوار سورية يخوضون المعركة الكبرى عن المسلمين جميعاً، وهم يدفعون الثمن الأغلى ويضحّون التضحية الأعلى، يُقتَلـــون ويُعتقَلون ويعـــذَّب رجالهم وتُغتصَب نســـاؤهم ويُذبَّح أطفالهم وتُهدَّم بيوتهم وتُقصَف جوامعهم، وماذا يطلبون منكم يا أيها المسلمون؟ إن أيّ شـــيء تقدمونه -مقابل ما يقدمونه- قليل، ومع ذلك فإنهم لا يكاد يصلهم منكم هذا القليل.

ربما قلتم إن العالم مسؤول عن نجدة السوريين وإغاثتهم، وربما مَدّت أيديها بالمســـاعدة دولٌ ومنظمات، ولكنّ ليســـت مســـاعدة الغريب كمســـاعدة القريب. الأخ القريب يمنح أخاه الكثيـــرَ ولا يطلب قليلاً ولا كثيراً، والغريب يمنح القليلَ ويطلب الكثير. إن الجسد الواحد يُغيث العضوُ منه العضوَ ولا يَمُنّ ولا يطلب ثمناً، والأمة المســـلمة جسد واحد ولو تباعدت مساكنها وتباينت ألســـنتها وأعراقها، وليس ذلك لغيرها، فلا يستوي ما يقدمه المسلمون للمســـلمين وما تقدمه الدول الغريبة لهم. إن العلاقـــات بين الدول كالعلاقات بين الشـــركات؛ هل تتخيلون أن تقدّم شـــركةٌ لشـــركة هبةً مالية أو أن ترشدها إلى بعض أسرار الصنعة بلا مقابل؟ فكيف تقبلون أن تتخلوا عن إخوانكم وتتركوهم للغرباء يطوّقون أعناقهم بأغلال الاستغلال؟

مهما يكن دعم الدول والقوى الخارجية فإن الدعم الحقيقي يجب أن يكون من الأمة المســـلمة أولاً وآخِراً، حتى تصل الثورة إلى الاكتفاء الذاتي في حدوده الدنيا ولا تكون معركتها مرهونة بإرادات ورغبات غيرها ومحلاً للمساومات والتنازلات.

٥ إن النظام المجرم في سورية يحارب الناس ثلاثة أنواع من الحروب، وأنتم قادرون -يا أيها المسلمون- على أن تتجدوا إخوانكم فيهنّ أجمعين.

الحـــرب الأولى حـــرب علـــى الأرض: يقصـــف الأعداء المدنَ فيهدمون البيوت على ســـاكنيها، ويقتحمونها فيسرقون ويغتصبون ويذبحون ويحرقون. هذه الحرب لا ســـبيل لكم إلى المشـــاركة فيها إلا بالمال، ولا تســـتقلّوه، فإنهم بالمال يشترون الســـلاح الذي يدافعون به عن أنفسهم، وبالمال يشترون الدواء الذي يعالجون به جرحاهم، وبالمال يشـــترون الغذاء والكســـاء بعدما أتلف العدو ما يملكون من كساء وغذاء، وبالمال يتدبّرون المأوى بعدما هدم العدو الدار ونقض البناء.

الثانية هي الحرب الإعلامية. إن النظام السوري خبيث ماكر في هذا النوع من الحروب، وقد استطاع أن يقلب الحقائق وأن يَسْحر العرب حيناً من الدهر بأكذوبة الممانعة والمقاومة وغيرها من الأوهام، وهو قد سخّر لهذه الحرب جموعاً عظيمة من شبيعته وأوليائه، فهم يصرفون الليالي والأيام بإخفاء الجرائم وتشويه الحقائق ونشر الأكاذيب. هذه الجموع لا تغلبها إلا جموع مثلها في الهمة والعدد، تقلب السحر على الساحر وتكشف للناس حقيقة ما يروّجه النظام وعبيد النظام من أكاذيب وأوهام. إن كل مسلم في مشرق الأرض ومغربها مكلَّف بأن يفهم حقيقة النظام السوري ومبلغ ما ينطوي عليه من فجور وإجرام، وعلى من يَعْرف أن يُعَرّف من لا يعرف، فريضةَ عين لا تسقط إلا بالبلاغ والإعلام.

٦ الحرب الثالثة هي الحرب الافتراضية في عالم الإنترنت، في المواقع والمنتديات والصفحات، وقد جَنّد لها النظام السوري جيشاً طويلاً عريضاً من المحترفين والهواة، من عناصر الأمن ومن الأتباع والأشياع والعبيد، وهذه الحرب ميدانٌ مفتوح لكل كبير وصغير من المجاهدين والمجاهدات والمؤمنين والمؤمنات، لا تحتاج إلا إلى وقت وهمة وقليل من الخبرة والتدبير. فاخترقوا عوالمهم وخرّبوا مواقعهم وهاجموا صفحاتهم وأمطروهم بالتعليقات، فإنها الرصاص الذي يخترق القلوب ويُذهب الهمم ويحطّم الإرادات.

وبالمقابل ادعموا المجاهدين بالمدد الروحي والمعنوي وساعدوهم على البقاء والاستمرار. لقد تعرف العالم على الثورة السورية بفضل إعلامييها المتطوعين الذين نذر الواحد منهم وقتَه وجهده لجمع الأخبار وتوثيقها وإخراجها إلى العالم. أولئك المتطوعون يصورون المظاهرات ويوثّقون الجرائم والانتهاكات، وأكثرهم يعملون تحت الخطر، بل إن بعضهم يضحّي بحياته أو بحرّيته لكي يوصل الصور والأخبار. إنهم يصوّرون ويرفعون الأفلامَ وينتظرون أن يشاهدها الناس، وقليلاً ما يحصلون على تعليق إيجابي أو كلمات مشجّعة. لو كُتبَت لهم عشرُ تعليقات تحت المقاطع المصوَّرة التي يرفعونها على اليوتيوب فسوف تسرّهم كثيراً، وكلما انتشر المقطع وزادت مشاهداته سيشعرون بقيمة ما يصنعون.

الأمر نفسه يقال في صفحات الثورة الفسبوكية، فإنها تقدم للثورة خدمات جليلة وتنشر أخبارها على مدار دقائق وساعات اليوم، وإن القائمين عليها لَيبذلوا جهوداً هائلة ليقدّموا لنا عملاً مدهشاً بإمكانيات متواضعة، وكثيراً ما يعرّضون أنفسهم إلى الخطر ليقوموا بهذا العمل العظيم، والطريقة الوحيدة لإبقاء تلك الصفحات حية هي دعمها بكثرة الدخول إليها والتعليق عليها ونصرتها بالنشر وتسجيل الإعجاب.

إن ما يصنعه أولئك الجنود المجهولون الذين يصوّرون الأحداث وينشئون الصفحات وينشرون الأخبار لا يكاد يمكن تصوّره، ونحن لا نعرف أسماءهم لنشكرهم، لا نملك إلا أن ندعو الله لهم أن يثيبهم وأن يحسن جزاءهم، وأن نكافئهم على جهدهم وجهادهم بالتفاعل مع إنتاجهم ونشره، وإظهار الاهتمام به والتعليق عليه. فيا أيها المسلمون: لقد صار الاشتغال بالكمبيوتر في هذه الأيام عادة من عادات الحياة، وأنتم تعيشون في أمان فيما يخرج إخوانكم في سورية إلى التظاهر في عين الخطر فيعرّضون أنفسهم إلى القتل والاعتقال، فهل كثيرٌ عليكم أن تنصروهم وأنتم جالسون على مقاعدكم مرتاحين؟

يا أيها العرب ويا أيها المسلمون: إن هذه ساعةٌ من الساعات التي لا تتكرر كثيراً في أعمار الأمم، ساعةُ حاجة لشعب لم يحتَجْ قبل اليوم إلى أحد ولا طلب إعانة من أحد، بل كان هو المبادر بالإعانات والمُسارع إلى سدّ الحاجات. وما أحوجَه اليومَ إليكم إلاّ نظامٌ مجرم لن يلبث أن يبلغكم شررُ ناره لو أنه بقي وانتصر لا قدّر الله، فلا تفوّتوا عليكم فرصة المساعدة والبِرّ فتفوّتوا الخير الكثير.

إن سورية اليوم تُذبَح وإنها تستصرخ وتستنصر وتستغيث، فهل من سامع وهل من ناصر وهل من مُغيث؟ إن إخوانكم في الشام يموتون جماعات وفُرادى، إنهم يُقَتّلون بالليل ويُقَتّلون بالنهار، ويُقَتّل فيهم النساء والرجال ويُقَتّل الكبار والصغار، فلا تتخلّوا في هذه الساعة عنهم ولا تخذلوهم فتندموا في يوم لا ينفع فيه الندم؛ مُدّوا إليهم يدَ العون وأغيثوهم بما تستطيعون.

إنها إن تهلك اليومَ عصابتُهم فلن يُرفَع ذكر الله في أرض الشام أربعين سنة، وإن تفشل اليوم ثورتهم فسوف ينكسر السدّ ويُغرقكم الطوفان.

العلماء ودورهم في نصرة أهل الشـــام

د. محمد بن موسى العامري(*)

إن أرض الشـــام تكتســـب أهميتها من البركـــة الإلهية التي حباها الله به في مواضع من القرآن الكريم:

أ - ﴿ سُـبْحَانَ الّذي أَسْـرَى بِعَبْـدِه لَيْلاً مّـنَ الْمَسْـجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْـجِدِ الأَقْصَا الّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

ب - ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وبنو إســـرائيل أورثوا مشـــارق، ومغارب بلاد الشام.

ج - ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٧١].

وفيها نصوص نبوية متواترة تدل على هذه المكانة السامية.

أ - عَـــنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما -، قَالَ: قَالَ رســـول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَـــا؟ قَالَ: قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَـــامِنَا وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُـــوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»(١).

ب - عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُـــولِ اللَّهِ ﷺ نُؤَلِّفُ القُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ فَقَالَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ: «طُوبَى لِلشَّامِ»، فَقُلْنَا: لِأَيٍّ ذَلِكَ يَا رَسُـــولَ اللَّهِ؟ قَـــالَ: «لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِـــطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا»(٢).

ج - عَنِ ابْنِ حَوَالَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً جُنْدٌ بِالشَّـــامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ»، قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي يَا رَسُـــولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ،

(*) نائب رئيس هيئة علماء اليمن.

(١) رواه البخاري ٢/ ٣٣ برقم (١٠٣٧)

(٢) أخرجه أحمد ٣٥/ ٤٨٣، والترمذي ٥/ ٧٣٤، وابن حبان ١٦/ ٢٩٣، وغيرهم والحديث صححه الألباني في الصحيحة ٢/ ٥ رقم (٥٠٣).

فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِالشَّام، فَإِنَّهَا خِيرَةُ اللَّه مِنْ أَرْضِه، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِه، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّام وَأَهْلِه»[1].

هـ - عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّام فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[2].

وجاء في بعض الروايات هم بالشام.

وهي مهبط الأنبياء ومسرى رسول الله ﷺ، وفيها أرض المحشر، وفيها يتمحور الصراع العالمي، وينزل عيسى بن مريم في آخر الزمان بالشام فيجتمع معه المؤمنون لقتال الدجال، وهناك يقتله المسيح عليه السلام بباب لد.

هذه الأرض المباركة اليوم يعيش - في جانبها الغربي - الفلسطينيون تحت الوطأة اليهودية الغاصبة المستندة إلى المعسكر الصليبي الحاقد - ومن جانبها الشرقي - يعيش السوريون تحت وطأة النصيرية الباطنية المارقة المرتدة المستندة إلى المعسكر الصفوي الفارسي، وبين هذين القطبين العدوين للإسلام والمسلمين تكمن الكارثة الجاثمة على صدور أبناء الشام جند الله في أرضه وطلائع الطائفة المنصورة كما صح بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ.

فإذا تبين لنا أهمية بلاد الشام، وما تكتسبه من مكانة محورية في تاريخ الصراع بين الحق والباطل؛ فإن الأمة الإسلامية قد تحتم عليها اليوم أن تقوم بواجب الوقت وفريضة الزمان في نصرة الشام وأهله.

وإن ما يمارسه اليوم النظام الطائفي النصيري بأهلنا في بلاد الشام ليؤكد لنا مدى الحقد والعداوة التي يكنها هؤلاء الباطنيون نحو المسلمين في كل مكان، وزمان أسوة بأسلافهم في غابر الأزمان.

ولا ريب أن مسؤولية العلماء الربانيين تأتي في المقدمة؛ لما أناط الله بهم من البيان وإقامة الحجة على العباد، ولما يقع على عاتقهم من التبعات التي لا تعفي أحداً من فريضة القيام لله بنصرة دينه، وإعلاء كلمته، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، ونحن إذ نقدر ما قام به علماء الإسلام اليوم نحو إخوانهم في بلاد الشام جماعات وأفراداً إلا أن ذلك لم يسقط الواجب عنهم حتى يتحقق النصر بإذن الله لإخواننا المضطهدين المستضعفين المبغي عليهم من قبل جحافل النظام السوري المتسلط على رقاب العباد الذين يسومون الناس سوء العذاب، لا يرحمون شيخاً، ولا عجوزاً، ولا امرأة، ولا طفلاً، ولا يرعون حرمة لدماء أو أموال أو أعراض، شأنهم في ذلك شأن اليهود والمشركين في الإيغال في العداوة والبغضاء ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

وإذا كان من شيء نذكر به في دور العلماء وما يلزم، ويتوجب عليهم نحو هذه الكارثة الإنسانية التي تعصف ببلاد الشام فيمكن أن نجمله في الآتي:

أولاً: كشف وفضح المخططات الباطنية الرافضية لجميع أبناء الأمة الإسلامية؛ حتى يتبين لهم حقيقة هؤلاء الأعداء، وما يكنونه من مكر وخداع وتضليل للمسلمين، مع بيان تاريخ هؤلاء المخربين وما أقدموا عليه من نكاية بهذه الأمة، قديماً وحديثاً، وما يبيتونه من الدسائس والمؤامرات الجلية والخفية؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيٍّ عن بينة.

فالبيان والبلاغ المبين اليوم، لا مناص عنه ولا يجوز أبداً أن يكون في ذلك أدنى مواربة أو تستر على هؤلاء المجرمين، أو إيجاد أي مسوغ شرعي أو قانوني لما يقومون به من أعمالهم النكراء، وجرائمهم الشنعاء.

ثانياً: دعوة المسلمين كافة إلى نصرة إخوانهم في بلاد الشام بكل ما يقدرون عليه مادياً، ومعنوياً وتحميل الأنظمة العربية والإسلامية، مغبة السكوت على جرائم هذا النظام وخطر ذلك على الأمة بأسرها؛ إذ السكوت والتغاضي عن هذه المأساة يعدُّ بحد ذاته نوعاً من أنواع التواطؤ مع هذا النظام!، ومن متطلبات هذه النصرة:

١ - قطع العلاقات مع هذا النظام الإجرامي وطرد سفرائه كأقل واجب للتعبير عن رفض هذه الغطرسة الإجرامية.

٢ - استعمال جميع الوسائل القانونية التي تبرز أعمال هذا النظام، في المحافل كافة وممارسة جميع وسائل الضغط وإسقاط الشرعية عنه حتى يتهاوى هذا النظام، ويرحل غير مأسوف عليه، ويسقط كما سقطت أنظمة دكتاتورية قبله.

(١) أخرجه أحمد ٢٨/٢١٥، وأبو داود ٣/٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/٦٨٢ برقم (٣٦٥٩)

(٢) أخرجه الترمذي ٢ / ٣٠ وأحمد ٣ / ٤٣٦ وابن حبان ٢٣١٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ٧٦٠ برقم (٤٠٣).

٣ – الدعم المالي والإعلامي للمجاهدين في سبيل الله مع إيصال السلاح إليهم؛ ليدافعوا عن أنفسهم وهو حق كفلته لهم الشريعة الإسلامية، وسائر النظم والقوانين البشرية.

٤ – نشر قضيتهم إعلامياً، والتذكير بأبعاد هذا المخطط الفارسي المجوسي الذي يستهدف المنطقة بأسرها لا الشام فحسب؛ بل يتعدى ذلك إلى الخليج واليمن وسائر البلاد الإسلامية.

٥ – فتح المجال وإقامة الهيئات الشعبية في سائر البلدان لنجدة المظلومين، وجمع التبرعات لهم عن طريق هذه الهيئات، والمنظمات والجمعيات الخيرية للقيام بحملات الإغاثة للمنكوبين من اليتامى، والثكالى، والجرحى وسائر المتضررين.

ثالثاً: دعوة أبناء الشعب السوري إلى توحيد الصفوف وجمع الكلمة، وتضافر الجهود، وتوجيهها للتخلص من هذا النظام الجبروتي مع حثهم على الاعتصام بحبل الله جميعاً، وعدم التنازع عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فعلى الجميع من أبناء الشعب السوري مدنيين وعسكريين، أن يبذلوا قصارى جهدهم لإسقاط النظام السوري، وإلحاق الهزيمة به حتى يذهب إلى مزبلة التاريخ كما ذهب أسلافه.

رابعاً: إصدار بيان واضح من علماء الإسلام كافة يسقط الشرعية عن النظام السوري باعتباره نظاماً فاقداً لأي صفة شرعية أو قانونية، أو أخلاقية.

خامسا:– ضرورة التذكير بنصر الله وتأييده والصبر على منازلة هذا العدو الغاشم موقنين بأن نصر الله قريب، وأن مع العسر يسراً، فلن يغلب عسر يسرين، مع بعث الأمل في نفوس المؤمنين وتنشيط عزائمهم مذكرين بقوله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وبقوله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

سادساً: بيان أهمية بلاد الشام من جهة محورية الصراع بين الحق والباطل، وما يتعلق بذلك من الملاحم في آخر الزمان، وما قد يكون لهذه الأحداث من إرهاصات تبشر ببزوغ فجر الإسلام كما جاء في حديث أبي الدرداء إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَى فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ، بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ، فِيهَا مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ، خَيْرُ مَنَازِلِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ»[1].

وقد أكد لنا التاريخ ما وقع على أرض الشام من صراع بين المسلمين والصليبيين، وما قام به أهل الشام من رد هؤلاء الغزاة المعتدين، وكذلك ما وقع من التتار على أرضها وما فعلوه من دمار وخراب أدى بعد ذلك إلى انتصار جند الله عليهم.

فبلاد الشام إذاً ساحة للصراع الحضاري قديماً وحديثاً ومستقبلاً.

سابعاً: بيان خطورة التعاون مع هذا النظام من قبل الجيش أو الأمن أو بقية أفراد المجتمع السوري بأي شكل من الأشكال، وأن ذلك التعاون ممَّا حرمه الله لما فيه من التعاون على الإثم والعدوان، ومماألأة الظالمين ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، ﴿فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦].

والواجب على أهل القوة في سورية أن يقوموا بحماية أهاليهم، والذبِّ عن دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم، ونصرة دينهم.

ثامناً: حث المسلمين في كل مكان على نصرة إخوانهم المظلومين عملاً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، كل بما يقدر عليه، ومن ذلك إقامة المظاهرات، والمؤتمرات، والمسيرات التي تحرك القضية لدى الشعوب للتفاعل مع هذه الأحداث، والدعوة إلى التوبة إلى الله من جميع الذنوب، وتذكير المسلمين بإقامة الدين وتحكيم شريعة الله مع التذكير بأهمية الدعاء، والقنوت في الصلوات سائلين من الله تعالى أن يعجل بالفرج لإخواننا المظلومين في بلاد الشام، وفي سائر البلدان، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

---

(١) أخرجه أبو داود ٢/ ٢١٠، والحاكم٤/ ٤٨٦ وأحمد ٥/ ١٩٧، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/٧٧٥ برقم (٤٢٠٥).

الرضيع

طفلي الرضيع

خصائصة ـ صحته ـ تربيتة

مشروعنا
وظف مختلف
المتخصصين

مشروعنا:

- بناء علمي منهجي.
- تنويع في شكل المعلومات.
- توظيف المتخصصين بكافة مجالاتهم في مراحل المشروع.
- توسيع دائرة المشرفين في منتجات المشروع.
- تنويع بيئات المشاركين وتجاربهم.

www.albayan.co.uk

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ـ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ـ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ـ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

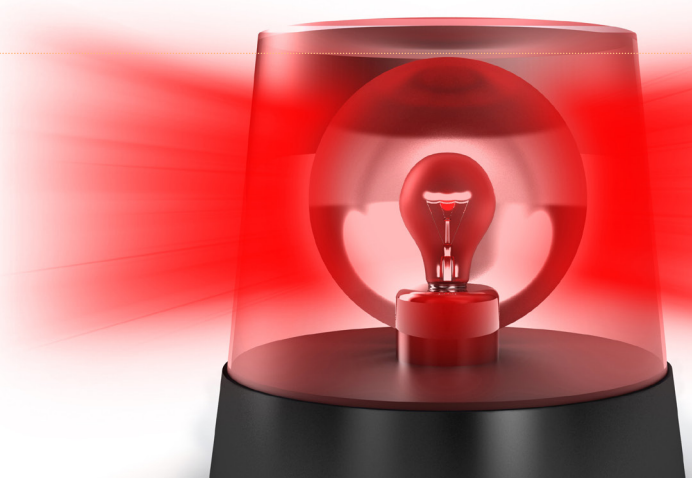

دور العلماء والدعاة في القضية السورية

فايز بن حسين الصلاح

إذا كان الناس يتناصرون فيما بينهم من أجل دين باطل أو دنيا زائفة، فإن المؤمنين يتناصرون فيما بينهم بأعظم عقد وعهد بينهم ألا وهو الإيمان بالله وحده، والاستسلام لدينه الحق، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] قال البغوي: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فِي الدِّينِ وَاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَالْعَوْنِ وَالنُّصْرَةِ»[١].

فالإيمان يثمر الولاء الذي يقتضي المحبة والنصرة، حتى يصبح المؤمنون كالبنيان كما قال رسولَ اللَّهِ ﷺ: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان يَشُدُّ بعضُه بعضاً»، وشَبَّكَ بين أصابعه[٢].

وقد عبر النبي ﷺ عن هذه اللحمة الإيمانية بقوله: «مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمَّى»[٣].

ومثل ذلك عقد الإسلام كما في الصحيحين عن عبد الله ابن عمر – رضي الله عنهما –: أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «المسلمُ أخو المسلم، لا يَظْلِمُهُ، ولا يُسْلِمُه»، وَقَوله: «لَا يُسلمهُ» أَي لَا يتْركهُ مَعَ مَا يُؤْذِيه، بل ينصره وَيدْفَع عَنهُ[٤].

ومن هنا فقد أكد النبي ﷺ النصرة للمسلم من كل وجه وبكل سبيل، وذلك عندما قال: «انْصُرْ أَخَاكَ ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسولَ الله أنصرُه إذا كان مظلوماً، أفرأيتَ إن كان ظالماً: كيف أنصُرُهُ؟ قال: تحجزُه أو تمنعُه عن الظلم، فإن ذلك نَصْرُهُ»[٥].

وذلك أن الناس في الجاهلية كانوا ينصر بعضهم بعضاً في الحق والباطل، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما –: قال: «اقتتل غلامان، غلام من المهاجرين، وغلام من الأنصار، فنادى المهاجرُ – أو المهاجرون –: يا لَلْمُهاجرين، ونادى الأنصاري: يا لَلأنصَار، فخرج النبيُّ ﷺ، فقال: ما هذا؟ أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ قالوا: لا، يا رسولَ الله إلا أن غلامين اقتتلا، فَكَسَعَ أحدُهما الآخر، فقال: لا بأس، ولْيَنْصُرِ الرجلُ أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فَلْيَنْهَهُ، فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره».

(١) تفسير البغوي – طيبة ٤/ ٧٢.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه.
(٣) رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما.
(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢/ ٤٨٤.
(٥) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك – رضي الله عنه.

وعندما تمنع أخاك من الظلم فإن فيه نصراً له من جهتين:

الأولى: أنه نصر له على هواه ونفعه بهذا المنع[1].

الثانية: أن الظلم سيؤدي به إلى القصاص منه فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصرة له[2].

وتتأكد النصرة للمسلمين إذا كانت من أجل الدين وردِّ الفتنة عنهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

والمسلم يقوم بذلك لوجه الله، يرجو رحمة الله، قال رسول الله ﷺ: «مَن نَفَّسَ عن مؤمن كُرْبة من كُرَب الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنه كُربة من كُرَب يوم القيامة، ومن يَسَّرَ على مُعْسِر، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخِرَة، وَمَن سَتَرَ مُسلماً سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرَة، واللهُ في عَونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عَونِ أَخيه»[3].

نصرة علماء السلف للدين وأهله:

لقد قام علماء السلف بواجبهم في الدفاع عن الدين وأهله وخاصة في أيام الفتن والمحن، فإذا صال أهل الضلال بكفرهم وبدعهم، صدوهم بالآيات البينات والحجج الواضحات بألسنتهم وأقلامهم، وإذا قامت سوق الجهاد رأيت الكثير منهم ينغمسون في الصفوف مجاهدين ولا يكون مع الخوالف والقَعَدة.

كانوا قد طهروا أنفسهم من خلق الخضوع للحكام والأغنياء، وكانت عفتهم هي رأس مالهم، فلذلك كانوا يصدعون بالحق لا يخافون في الله لومة لائم، لأن الله قد أخذ عليهم ميثاق البيان وعدم الكتمان كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

لقد كانوا ملوكاً على الملوك، واقفين لهم بالمرصاد، لا يقرونهم على باطل ولا منكر، ولا يسكتون لهم على مخالفة صريحة للدين، ولا يتساهلون معهم في حق الله، ولا يترضونهم فيما يسخط الله.

نصرة العلماء للقضية السورية:

لقد انقسم العلماء والدعاة وطلبة العلم بالنسبة إلى القضية السورية إلى ناطقين وساكتين، فالناطقون إما بحق وإما بباطل، والساكتون إما لخوف وإما لتخاذل.

فأما الناطقون بالحق: فهم الذين دافعوا عن الشعب المظلوم ضد النظام الظالم، لقد أفزعهم مافعله النظام المجرم من قتل وتعذيب وخطف واغتصاب، فصاحوا في وجه الظلم بأقلامهم وبألسنتهم، بخطبهم ومحاضراتهم وفتاويهم ومقالاتهم ولقاءاتهم، مبينين عقيدة النظام الفاسدة، داعين المسلمين للوقوف مع الشعب السوري بكل مايقدرون، داعين الشعب للصبر والثبات، قائلين لهم: إن النصر لآت، وإن تنصروا الله ينصركم.

وكان للبيانات والفتاوى الصادرة عن الروابط والاتحادات الإسلامية أكبر الأثر، لأنها جهد جماعي تحوي توقيعات كثير من أهل العلم، كرابطة علماء المسلمين، ورابطة أهل السنة، والاتحاد العالمي، والحملة العالمية لمقاومة العدوان وغيرها.

وأما الناطقون بالباطل فقسمان:

قسم وقف مع الظالم ضد المظلوم، ومع المجرم ضد الضحية، وهؤلاء هم علماء السوء الذين زينوا للمجرم إجرامه ووصفوا الثوار بالعمالة والإرهاب والإجرام، واتهموهم بتنفيذ مخطط كوني للنيل من دولة المقاومة والممانعة.

هؤلاء عملاء وليسوا بعلماء، ضيعوا الأمانة واتبعوا أهواءهم الذي أرداهم، وصدق فيهم قول ابن حزم – رحمه الله – الذي قال في أمثالهم: «ولا يغرَّنك الفُسَّاق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المُزيِّنون لأهل الشرِّ شرهم، الناصرون لهم على فسقهم»[4].

إنهم نبيحة النظام الذين فاقوا الشبيحة في إجرامهم، لقد فاقت نونهم شِينهم وشَيْنهم؛ لأن الشبيحة لم يطلبوا بالدين الدنيا، ولم يثيروا الفتنة بالفتيا.

صدق من وصفهم بالنبيحة، ولقد ضرب الله مثلاً لعلماء السوء مشبهاً لهم بالكلاب قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ – ١٧٧].

يقول مصطفى صادق الرافعي في «وحي القلم ٣/ ٤٤»: أتدري يا ولدي ما الفرق بين علماء الحق وعلماء السوء، وكلهم آخذ من نور واحد لا يختلف؟ إن أولئك في أخلاقهم كاللوح من البلور؛ يظهر النور

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣/ ٢٧٨.
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/ ٥٧٢.
(٣) أخرجه مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه–.
(٤) رسائل ابن حزم ٣/ ١٧٣.

نفســـه فيه ويظهر حقيقته البلورية؛ وهؤلاء بأخلاقهم كاللوح من الخشـــب يظهر النور حقيقته الخشـــبية لا غير! وعالم الســـوء يفكر في كتب الشـــريعة وحدها؛ فيســـهل عليه أن يتأول ويحتال ويغيـــر ويبدل ويظهر ويخفي؛ ولكن العالم الحق يفكر مع كتب الشـــريعة في صاحب الشـــريعة، فهو معه في كل حالة يســـأله ماذا يفعل وماذا يقول؟

والرجل الدينـــي لا تتحول أخلاقه ولا تتفاوت ولا يجـــيء كل يوم من حوادث اليوم، فهو بأخلاقه كلها، لا يكون مـــرة ببعضها ومرة ببعضها، ولـــن تراه مع ذوي الســـلطان وأهل الحكـــم والنعمة، كعالم الســـوء هذا الذي لو نطقت أفعاله لقالت لله بلســـانه: هم يعطوني الدراهم والدنانير فأين دراهمك أنت ودنانيرك؟».

والقســـم الثاني ممن نطق بالباطل الذي قرأ الواقع خطـــأ، فأخطأ مرة أخـــرى عندما حكم عليه بالشـــرع، وقال: إنها فتن بجـــب اجتنابها، فالزم بيتك وابك على خطيئتك، وكن كالســـلف في اجتناب الفتن، ثم إن هـــذه الطريقة في التغييـــر مبتدعة وقد اتفق علماؤنا على تحريم المظاهـــرات، فهؤلاء بهذا الكلام خذلوا إخوانهـــم ولم يقرؤوا الواقـــع قراءة صحيحة، والرد عليهم ليس هنا موضعه.

وأما الســـاكتون لخوف فالله حســـيبهم، والعالم الجبان لامكان له بينهم لأنه عضو أشل.

وأما الســـاكتون لتخاذل فهؤلاء قيدتهم الأطماع، فشلت ألسنتهم، وما أصدق كلام الغزالي – رحمه الله – في أمثال هؤلاء عندما قـــال: «أما الآن فقد قيدت الأطماع ألســـن العلماء فسكتوا، وإن تكلموا لما تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففســـاد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفســـاد العلماء، وفســـاد العلماء باستيلاء حب الجاه والمال، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر»[1].

أيها الســـاكتون لقـــد تكلم الساســـة والفنانون واللاعبون والكفار والمؤمنون فمتى تتكلمون؟

لو كان الذي يذبح في سورية مجموعة من الكلاب لكان حقا عليكم أن تنكروا ولكن..

يا معشر القـــراء ياملحَ البلد
مايصلح الملح إذا الملح فسد

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٤٢.

توصيات:

يجب على الأمة أن تأخذ بسبل الرقي في المعالي من أجل دينها، وتتخذ الوســـائل النافعة في صد العـــدوان عن الدين وأهله، ثم دعوة الناس أجمعين إلى الدين الحق.

وإن للعلمـــاء دوراً كبيـــراً يحتاج إلى تفعيـــل كبير، ليكون علمهم نافعاً بصورة أوســـع وأثر أعمـــق، ومن أجل ذلك كانت هذه التوصيات:

١ السعي إلى توحيد جهود العلماء في مواجهة النوازل وبيان حكم الشرع فيها، والعمل على نشر ذلك عبر وسائل الإعلام.

٢ قيام العلماء بدورهم بصورة أشـــمل وأوســـع يساهم في الحيلولة دون انسياق المســـلمين وراء القضايا والأحداث التي يصنعها أعداء الاســـلام، ويطرحونها بقوة ويجرُّون المســـلمين إلى المناقشـــة والجدل حولها بصورة تحجب غيرها من قضايا المسلمين الأهم.

٣ يجـــب على العلماء تبصير النـــاس بحكم الله في أقداره، وبما يجب عليهم من محاسبة أنفسهم والعودة إلى الله بالتوبة النصوح.

٤ الصـــدع بكلمة الحق في وجه كل ظالم وباغ؛ ســـواء أكان حاكماً أم محكومـــاً حتى يرتدع عن ظلمه وكشـــف حال أهل الباطل، وكشـــف مخططات الأعداء وتحذير الأمة من الارتماء في أحضانهم.

٥ تصحيح عقيدة المســـلمين وســـلوكهم، وتجميع الأمة على عقيدة أهل السنة والجماعة، وتحذير الأمة من الشرك والكفر والبدع، وتعليم المسلمين أمور دينهم وتفقيههم.

٦ إحيـــاء روح الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى الأمة، وإيقاظها من غفلتها، لتعمل على تغيير واقعها والنهوض به واستشـــراف مســـتقبلها، وتنظيم العمل الجهادي وتوجيه المجاهدين فى كل مكان.

٧ ينبغي على العالم أن يسعى إلى الاستقلال بمفهومه العام الذي يرتكز على تجريد النية لله عن كل ما ســـواه، ومن ذلك الحكومات والشعوب، فلا يقدِّم العالم على رضا الله، رضا أحد كائناً من كان محبـــاً كان أم مبغضاً، وهو مع ذلك ليس بمعزل عن التواصل مع الحكام والمحكومين، وإنما يدعو الناس أجمعين

بدعوة المرسلين ويبتغي لهم رحمة أرحم الراحمين، وهذا لا يتعارض مع المشاركة في أعمال الدولة ومؤسساتها ومؤسسات المجتمع، بل قد يكون واجباً عينياً على بعض العلماء، حتى لا تخلو الدولة من العلماء الربانيين والدعاة المهتدين والرجال الصالحين.

٨ يجب على العلماء أن يتقدموا لسدِّ الثغرة، وأن يتولُّوا زمام المبادرة بأنفسهم، وأن يكونوا قريبين من الناس قبل الفتن وفي أثنائها، وألَّا ينتظروا أن تأتيهم الفرص وهم قاعدون.

٩ لا بدَّ من الاحتساب مِنْ قِبَل العلماء الراسخين على مَنْ يدّعون العلم وينتسبون إليه من غير أهله، وتبيين حالهم للناس، وعدم ترك المجال لهم ليقودوا الأمة ويتصدّروها، وإن من غِشِّ الأمة ترك الاحتساب على أولئك المتعالمين.يقول ابن القيم – رحمه الله – عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان شيخنا – رحمه الله – شديد الإنكار على هؤلاء، فسمعته يقول: قال لي بعض هؤلاء: أجُعلتَ محتسباً على الفتوى؟! فقلت له: أيكون على الخبازين والطبَّاخين محتسب ولا يكون على الفتوى محتسب؟!»[1].

١٠ إن أهل العلم بحاجة ماسة إلى أن يمدوا بينهم جسور المحبة والألفة والاجتماع والإخوة والمشورة، فإن كثيراً من الخير، وحظاً وافراً من الإصلاح يتحقق بذلك. ويتأكد هذا التواصل والتواصي في النوازل الكبار والأزمات الجسام.

١١ يجب تعزيز دور المؤسسات الخيرية، والهيئات والمنظمات الإسلامية الموثوقة، وينبغي على أهل العلم وطلبته التعاون معها مما يحقق الخير للأمة.

١٢ السعي إلى إيجاد جمعيات لأهل العلم وطلبته في كل بلد، ثم السعي لإيجاد تكتل عالمي يجمع علماء أهل السنة والجماعة، لتوحيد الخطاب الديني للأمة وخاصة أيام النوازل.

١٣ تفعيل العمل الجماعي في جميع نواحي الحياة، وتضييق دائرة التحزب والتعصب للأشخاص والجماعات، فلا بُدَّ من تضافر الجهود، وتراص الصفوف، ونبذ الاعتداد بالنفس، والاستبداد بالرأي، وتضخيم الذات.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٤/ ١٦٧.

١٤ تفعيل المراجعات الجادة في الجماعات الاسلامية وتوثيق الارتباط بينها وبين أهل العلم.

١٥ إعادة قراءة التاريخ الإسلامي والاستفادة منه، وخاصة الفتن والمحن التي مرت بالمسلمين لمعرفة أسبابها ونتائجها، وتلمس الوسائل الناجعة للتخلص منها.

١٦ الحرص على الاجتماع والائتلاف والبعد عن التفرق والاختلاف، فإن جزءاً كبيراً مما أصاب الأمة ويصيبها من الفتن والنكبات؛ إنما هو بسبب ما جرى في الأمة من التنازع والفرقة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا التفريق الذي حصل من علماء الأمة ومشايخها، وأمرائها وكبرائها؛ هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها»[2].

١٧ إشاعة الشورى بين المسلمين وخاصة بين أهل العلم، فلقد كان الرسول ﷺ أغنى الناس عن الشورى ومع ذلك قال الله له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ولقد بادر رسول الله ﷺ إلى الأخذ بذلك حتى قال أبو هريرة – رضي الله عنه – كما في الترمذي: «ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»، فواجب على ورثته أن يتأسوا به. قال بعض البلغاء: من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذُّ ربما زلَّ، والعقل الفرد ربما ضلَّ.

١٨ العمل على قيام حملات توعية علمية واسعة لتبصير الناس بطريقة التعامل الصحيح مع النصوص الشرعية، والاستدلال بها استدلالاً صحيحاً حتى لا توضع في غير موضعها، وتصدر عليها فتاوى قد تكون غير صحيحة بسبب انحراف موضع الاستدلال بالنص.

١٩ العمل الجماعي المؤسسي فإن معالجة ما تمرُّ به الأمة من أخطار، ومواجهة ما يعصف بها من أحداث أمر يفوق جهود الأشخاص، ويتجاوز طاقات الأفراد مهما كانت ألمعية عقولهم ورسوخ علومهم، وقد كان سلفنا يقولون في بعض ما يرد عليهم من مسائل العلم: هذه مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لجمع لها أهل بدر، فإذا كان هذا هديهم في المسائل الشخصية الفردية، فكيف بالنوازل المصيرية التي يتأثر بها واقع الأمة.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٤٢١.

الحملة الإسلامية للنصرة..
بداية صائبة للنصرة الإسلامية للثورة السورية

أحمد أبو دقة(*)

تتحدث معاناة الشعب السوري عن نفسها حينما يتم مقارنتها بحسب بيان مجلس الثورة في مدينة حمص الأخير والذي يقول إن ما يحدث في المدينة التي تمثل عاصمة الثورة هو تطهير عرقي بامتياز، ولم يكن يخيل إلى ذهن المرء أن يتحول نظام الدولة في سورية إلى عصابة طائفية تستبيح القتل والاغتصاب والسرقة وكل جريمة يمكن أن يتخيلها العقل البشري، فيقول من كتبوا البيان بكلمات تعبر عن ألم كبير إن ما يرتكب بحمص أفظع بكثير مما أرتكب في مدينة سيبرينيتشا البوسنية، حيث هجَّرت عصابات النظام السوري أكثر من نصف مليون حمصي من منازلهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل إنها أقدمت على إسكان جيرانهم من الطائفة النصيرية في منازلهم مستغلة بذلك غياب الضمير العالمي والإسلامي.

واستخدمت تلك العصابات أساليب الترويع مثل القتل والسرقة وهدم المنازل فوق رؤوس ساكنيها والحرق والاغتصاب وسيلة لترهيب السكان الأبرياء وإجبارهم على ترك منازلهم هرباً بحياتهم من الجحيم.

وقام النظام الأمني الذي تديره عصابات بشار الأسد على حد وصف البيان بتشكيل مجموعات متخصصة في سرقة المنازل التي هجرها أصحابها حتى لا يعود إليها السكان لاحقاً.

تنوعت معاناة اللاجئين في سورية في الداخل والخارج وتعمقت كثيراً؛ لذلك استنهض أهل الخير من علماء المسلمين ممثلين برابطة علماء المسلمين وهيئة الشام الإسلامية هممهم لتنظيم فعاليات مؤتمر «الحملة الإسلامية لدعم الثورة السورية» في مدينة اسطنبول التركية في الفترة «١٢/١٣/٠٤/١٤٣٣ هـ»، وكان الهدف منه تقديم مبادرات عملية لمساعدة الشعب السوري في الداخل والخارج، ووضع حلول للأزمات التي يمر بها المتضررون من الأزمة سواء أكانوا داخل الأراضي السورية أم خارجها من خلال وضع مبادرات يتم تبنيها لاحقاً، بالإضافة إلى جمع تبرعات مالية وعينية لمساعدة اللاجئين والجيش السوري الحر.

وفي ورقة موجزة قدمت على هامش المؤتمر الذي اختتم فعالياته الخميس١٤٣٣/٥/١٢هـ يقول الدكتور حسان محمد حسان وهو يشغل منصب سكرتير عام الرابطة الطبية للمغتربين السوريين: «إن القطاع الصحي يعاني قبل الثورة من بنية تحتية سيئة بسبب الإهمال وخصوصاً في القرى البعيدة عن مراكز المدن، ومع بداية الثورة أخذ النظام في التضييق على السكان المدنيين ورفضت مستشفيات الدولة علاج الجرحى، ومنع تزويدهم بالأدوية اللازمة».

ولم يتوقف النظام عند هذا الحد من الإجرام بل إنه عمد إلى استخدام الكثير من المستشفيات كمراكز اعتقال وتعذيب، ومن أساليب الابتزاز التي اتبعها النظام وذكرها الدكتور حسان في ورقته هو أنه عمد إلى تقديم العلاج المضاد للقزاز بواسطة

(*) مجلة البيان.

الرقـــم الوطني وهذا يعني أن يســـلم الجريح نفســـه للأجهزة الأمنية حتى يتم اعتقاله أو تصفيته.

وما يزيد الأمر سوءًا فيما تحدث عنه الطبيب السوري هو أن النظام أقدم على إقفال المستشـــفيات الخاصة التي تستقبل الجرحى وعمد إلى اعتقال أكثر من ٥٠ من الأطقم الطبية التي شاركت بالتطوع لمعالجة الجرحى.

ويذكر في تفاصيل ورقته أن اللاجئين الســـوريين في تركيا ولبنان والأردن يعانون بشكل مأساوي من نقص الرعاية الطبية بسبب قلة المستشفيات والأخصائيين، كما تحدث عن مقترحات يجب الأخذ بها من قبل القائمين على المؤتمر مثل إنشاء مشافي ميدانية في المدن السورية لمساعدة السكان، وأشار إلى أن تكلفة كل مشفى يصل إلى ٥٠ ألف دولار.

أما الشـــيخ الدكتور علاء الدين الزاكي الأســـتاذ في جامعة الخرطوم فقد افتتح جلســـات المؤتمر يـــوم الخميس بمبادرة دعا فيها علماء المسلمين إلى القيام بواجبهم في نصرة الثورة السورية، والوقوف في وجه المشروع الصفوي في المنطقة العربية.

واقتـــرح في مبادرته وضع آليات إســـتراتيجية للتعامل مع الأزمة، وتوفير الوســـائل التي تمكن من سد إحتياجات الثورة كما اقترح بعض الآليات التي تساعد في ذلك.

وقـــال الزاكي: «إنه لا بدَّ من الإشـــارة إلى أن طول الثورة الســـورية وتماديَ النظام في قمعها قد فتحا في جسد الشعب الســـوري ثغرات عظيمة، ولا بدَّ أن يتفق الجميع على ســـدها، وتضافرت عدة أسباب جعلت بالضرورة القيام بواجب سد هذه الثغرات، ومن ذلك إفراط النظام في قمعها مستفيداً من تأييد روسيا والصين باســـتخدام حق النقض في مجلس الأمن، ممَّا أكسب النظام تماسكاً على المستوى السياسي والدبلوماسي».

وتابع قائـــلا: «ترك الكثير من الثـــوار مصانعهم ومزارعهم وتوجهـــوا نحو الثـــورة، ممَّا أوجد كثيراً من التغيرات في جســـد الشعب الســـوري، وبالتالي ازدياد حاجة الســـوريين في الداخل للمستلزمات الطبية والغذائية والحاجة لعلاج الجرحى والمصابين، وتأهيل المستشفيات الميدانية وعلاج الآثار المستقبلية للثورة سواء أكان ذلك صحياً أم اجتماعياً أو غير ذلك.

كما حث الشيخ الزاكي على دفع المال للتبرع من أجل سورية وقـــال: «يقول القرطبي – رحمه اللـــه – واتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمســـلمين حاجة، تعين دفع زكاة المال إليهم. وبما أن الشـــعب الســـوري الثائر بعد ثورته ظهرت له حاجات عظيمة، فعجز هو عن ســـدها فلزم الأمة المسلمة بسدها تحقيقاً لإرادة

تنصير اللاجئين:

زيد الحماد مدير جمعية الكتاب والســـنة في الأردن يقول: إن كل يوم لدينا مآسي جديدة،: «في الساعة الثانية عشرة ليلاً اتصـــل بي أحدهم وتحدث إلي بلهجـــة أقرب إلى التوبيخ منها إلى طلب المســـاعدة، ذهبت إليه مسرعاً أحمل بعض الأغذية، وعندما وصلت إلى مســـتودع يفتقر إلى مقومات الحياة يعيش فيه مع عائلته أخذ يبكي.. فسألته ما الذي يبكيك.. ظننت في بادئ الأمر أنه يبكي لأن أبناءه قد ناموا جياعاً هذه الليلة، لكنه قال إنني حزين لأنني أزعجت مســـلماً في منتصف الليل؛ هذا الرجل له يومان لم يذق للأكل طعماً.

تبلغ الفاتورة الشـــهرية لإيجارات الوحدات الســـكنية التي يعيش فيها اللاجئون مليون ريال بحسب ما ذكر الحماد، ويقول أيضاً: ومـــا يأتي من تبرعات لأكثر مـــن ١٠٠ ألف لاجئ كلها طرود غذائية ولدينا منها الكثير؛ لكننا نريد تبرعات أخرى مثل حليب الأطفال وأمور خاصة بالنساء.. نريد أن يحصل اللاجئ على بعـــض المال، لا نريد أن نعطيه فقط الأرز والســـكر، لأن عائلته بحاجة لأمور أخرى.

ويتابـــع الحماد فـــي كلمته خلال جلســـات المؤتمر قائلاً: «الأعجب من ذلك أن أحد الإخوة الموظفين في الجمعية عندما ذهب للاجئ ســـوري ضرير ليقدم له المســـاعدة، فوجد عنده اثنين من المبشرين يعطونه فتات ما نقدم.. يقولان له: «أنت ابن المسيح، اليسوع هو المخلص قل: آمين». عندما خرجا سألنا هذا الرجل: ألا تعلم أنه لا يجـــوز لك أن تفعل ذلك؟ فأجاب إجابة شرعية قائلاً: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

كما لفـــت إلى قصة مؤلمـــة لفتاة تعرضت أمـــام والدتها للاغتصاب وتريد العلاج، ويقـــول الحماد هذه وغيرها الكثير يردن علاجاً نفسياً لكي يخرجن من أزمة نفسية صعبة.

بدوره تحدث الدكتور عدنان محمـــد أمامة رئيس جمعية غراس الخير في لبنان عن الموقف اللبناني من الثورة السورية، وقـــال: «إن لبنان يختلف عن غيره بعدة نواحي، فهناك ما يزيد عن ٢٠٠ كيلو متر يتقاسمها لبنان مع سورية في الحدود، لبنان وقـــع تحت النفوذ الســـوري لما يزيد عـــن ٢٧ عاماً ولا يختلف القمع والاضطهاد على ما جرى على اللبنانيون جميعاً باستثناء أزلام النظام، كل اللبنانيين تنفســـوا الصعداء حينما بدأت هذه الثورة المباركة، والكل يرجو أن تتكلل مساعي الإخوة في سورية بالنجاح.

وتحدث أمامة عن تباين واضح في المواقف مابين السنة والشيعة وكذلك ما بين السنة أنفسهم، فالشيعة مؤيدون للنظام ويراهنون على بقائه. أما أهل السنة فهم منقسمون ما بين مؤيد ومعارض. أما الحكومة اللبنانية فتحاول النأي بنفسها عن الثورة، ولا تريد أن تعترف بمأساة اللاجئين السوريين. وتحاول - بحسب رئيس جمعية غراس الخير - الجمعيات الخيرية تقديم المساعدة للسكان الأبرياء.

ومن المغرب شارك في المؤتمر الدكتور مولاي عمر حماد نائب رئيس حركة التوحيد والإصلاح في المغرب، الذي صرح خلاله قائلاً: «انخرطنا في دعم الثورة السورية المباركة، وأصدرنا جملة مواقف لدعم الثورة ونتابعها في كل وقت وحين، ومؤمنون بانتصار هذه الثورة، لا يمكن لهذا التاريخ أن يعود للوراء، لا يمكن لأحد مهما كانت الجهات الداعمة له أن يوقف إرادة الشعوب المدعومة بمدد من الله سبحانه وتعالى، نرى بأن هذه المرحلة قد هبَّت فيها رياح من الخيرات ستعم كل البلاد ولو بعد حين.

وأكد على ضرورة توحيد الجهود وتفعيل دور العلماء ومؤسساتهم؛ ليأخذوا دورهم البارز والفعال في الأمة بعد أن غيبوا لسنوات.

أما الشيخ رائد حليحل من لبنان فإنه يرى في مداخلة ألقاها على هامش فعاليات المؤتمر بأن الاجتماع يستلزم من الحضور الخروج بقرارات واضحة يكون لها ترجمة عملية، ويذكر أن هناك خطران يهددان الثورة السورية: الخطر الأول هو أن تبتز من قبل قوى دولية، حتى تأخذ من هذه الثورة أكثر مما تأخذه من ذلك النظام، مقابل أن تعطيها الأمان من هذا النظام والإطاحة به، والخطر الثاني وهو خطر دخول التكفيريين على الخط، هذا الأمر لا بد أن نحذر منه، فسورية اليوم تستهوي كل محب أو غيور للجهاد في سبيل الله، ولا نريد أن تتكرر مأساة العراق في سورية، لذلك أقول أغيثوا إخوانكم، مساعدتكم ليست مشروطة، لكن معونات غيركم مشروطة؛ لذلك تأخرت المساعدات العالمية، حيث إن الثورة السورية لم تعطها الثمن المقابل لتلك المساعدات.

وعلى الهاتف من العاصمة المصرية القاهرة شارك الدكتور عبد الرحمن البر عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين برسالة صوتية وجهها إلى الجيش السوري وعناصره وقال: «إن إجماع علماء المسلمين على أن الإكراه لا يكون عذراً، بمعنى لا يحل أن يقول أحد الجنود: إنني مكره على قتل إخواني، وإن لم أقتلهم فسوف يقتلوني.. إن الإكراه معفو عنه فيما دون قتل النفس». كما دعا إلى رصِّ الصفوف والتوحد من أجل دعم الثورة.

توصيات المؤتمر:

وفي نهاية اليوم الثاني تقدم المؤتمر بعدد من المبادرات العلمية والعملية تضمنت صياغة الرؤية الشرعية للثورة، وإنشاء مجلس إفتاء خاص بالثورة، لسد الفجوة التي ظهرت خلال الثورة، وتوجيه الشباب الثائر نحو التوسط والاعتدال، وكذلك توجيه المترددين والمؤيدين للنظام نحو الثورة.

وكذلك إنشاء جهاز للإرشاد الديني للجيش السوري الحر، كما طرح السيد بسام الصفدي مبادرة تحدث فيها عن ضرورة تكوين مؤسسات المجتمع المدني، وكذلك إنشاء مؤسسات إعلامية وإعداد كوادر فنية لإداراتها، بالإضافة إلى إنشاء جمعيات داعمة للثورة في البلاد الأجنبية.

كما تم طرح مبادرات إغاثية لمساعدة اللاجئين على تخطي محنتهم، وطرحت مبادرة كذلك لتشكيل لجنة من الحكماء لحل الخلافات التي قد تنشأ بين شرائح وأطراف الثورة السورية خاصة بعد إسقاط النظام.

واختتم المؤتمر بإلقاء الشيخ فايز الصلاح عضو المكتب العلمي لهيئة الشام الإسلامية لتوصيات المؤتمر والتي تضمنت بث روح النصرة الشرعية في الأمة، والتصدي للنوازل الحادثة وبيان الحكم الشرعي فيها من خلال فتاوى جماعية؛ لأنها أقرب إلى الحق والصواب من الفتاوى الفردية.

كما أوصى المجتمعون بضرورة إصدار فتاوى تحذر من المد الرافضي والإيراني وخطره على الأمة، وتوجيه خطاب للحكام والأغنياء والمؤسسات الخيرية، والهيئات والمنظمات الإسلامية، بإغاثة إخوانهم في بلاد الشام، والتعامل مع الهيئات والجمعيات الموثوقة، لحسن توزيع المساعدات للشعب السوري.

ودعت التوصيات إلى الحض على الجهاد المالي، الذي هو مقدمة للجهاد بالنفس، وبيان أن الزكاة الواجبة والمستحبة من أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله لنصرة إخوانه المسلمين.

ودعا المؤتمر إلى تشكيل لجنة إغاثة عليا في العالم الإسلامي تهتم بالواقع السوري ويكون لها في كل بلد فرع خاص بها. كما اتفق المجتمعون على بعث روح الجهاد في الأمة وكذلك الاعتناء بالجهاد الإعلامي لفضح السياسات الجائرة والعقائد الباطلة.

[المسلمون.. والعالم]

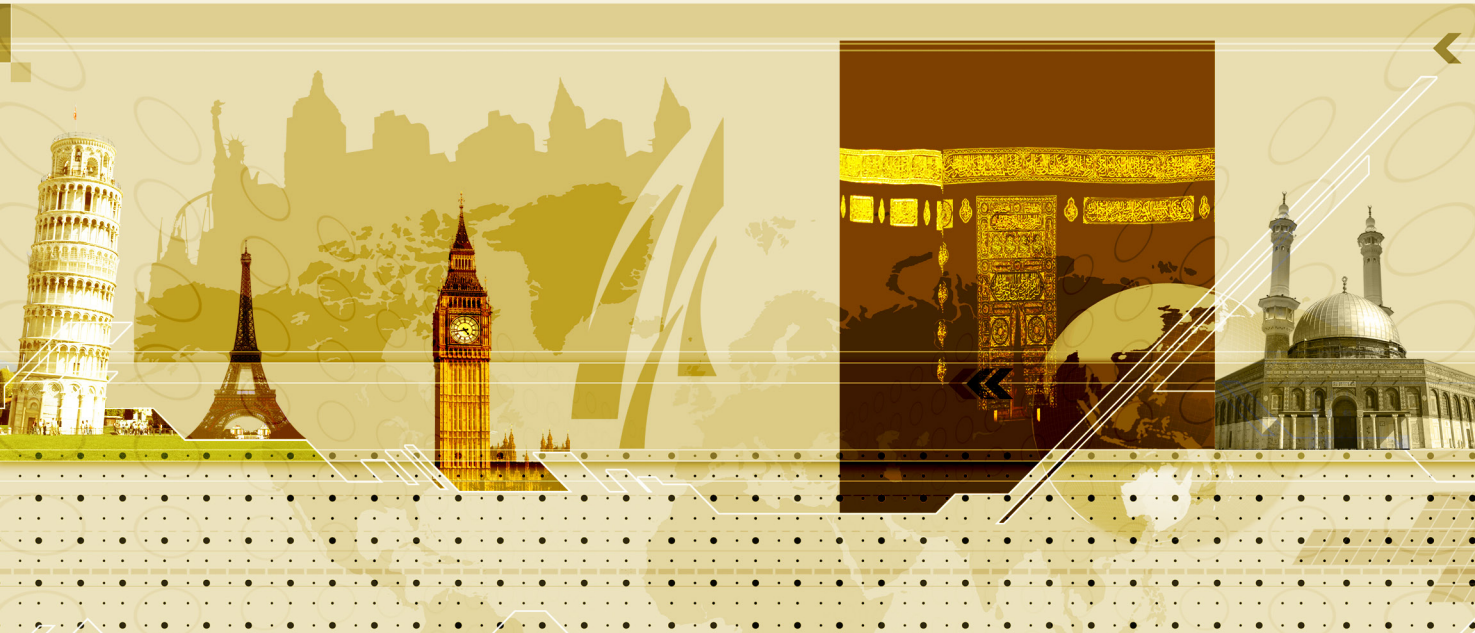

الانتخابات الرئاسية المصرية.. تمرين في نظرية المباريات
مصطفى شفيق علام

دوافع فيدرالية (برقة) من منظور ليبي
مجدي داود

المسلمون المنسيون في دار السلام...!
صلاح محمد أبو زيد

مرصد الأحداث
جلال سعد الشايب

الانتخابات الرئاسية المصرية..
تمـرين في نظـرية المـباريات

مصطفى شفيق علام(*)

مع اقتراب بدء ماراثون الانتخابات الرئاسية في مصر الثورة، رابع استحقاق سياسي في البلاد منذ الإطاحة بنظام مبارك، بعد استفتاء آذار «مارس»، وانتخابات مجلس الشعب ثم الشورى، تشهد الساحة السياسية المصرية مزيداً من الاحتقان والشد والجذب بين عدد من التيارات والقوى السياسية، ويبدو المشهد السياسي المصري ضبابياً بامتياز، تتنازعه تجاذبات الأطراف المتصارعة على إرث المنصب الأول في بلد لم يشهد، ربما طوال تاريخه السياسي، انتخابات يقرر من خلالها الشعب من يحكمه. وفي هذا الخضم تكثر التساؤلات، وربما التكهنات، بشأن مستقبل الدولة المصرية على ضوء الاستحقاق الرئاسي المنتظر، بعد عقود من الحكم الديكتاتوري المتدثر بلباس رث من الديمقراطية الزائفة أو ما يطلق عليه في الأدبيات السياسية «ديمقراطية الواجهة» Democratic Facade.

ولاعتبارات التحليل، يمكن تقسيم الأطراف المتصارعة على كرسي الحكم في مصر إلى ثلاثة أطياف رئيسة، تتمثل في القوى الإسلامية بتنويعاتها المختلفة، والقوى المدنية «غير الإسلامية» بمكوناتها المتباينة، ومتنفذي النخبة الحاكمة السابقة أو من يطلق عليهم في مصر مصطلح «الفلول». وإذا كان ثمة علاقة جدلية بين نوعية النخب الموجودة في مجتمع ما، وطبيعة النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي السائد في ذلك المجتمع، فإن التساؤل الرئيس في هذا الإطار يتعلق بماهية النخبة التي ستكون لها الغلبة في مصر ما بعد الانتخابات الرئاسية المقبلة؟

(*) كبير الباحثين بمركز المصري للدراسات والمعلومات.

الإسلاميون والليبراليون والفلول.. صراع الإرادات:

وينهض اقتراب النخبة Approach Elite في التحليل السياسي على وجود فئة مؤثرة داخل أي مجتمع، تسود تفضيلاتها في القضايا الأساسية للجماعة الوطنية، ويمكن اعتماد نظرية المباريات Game Theory كإطار تحليلي لدراسة الصراع النخبوي الدائر على منصب الرئاسة في مصر بين أطراف الصراع الثلاثة؛ الإسلاميين والقوى المدنية والفلول. والمباريات؛ هي شكل من أشكال الصراع، يتَبع كل طرف من أطرافه إستراتيجيات تتسم بالعقلانية والرشد، بهدف تحقيق أكبر مكاسب ممكنة، وتجنب أكبر خسارة ممكنة.

وإذا كان الفلول يدفعون باتجاه بقاء الأوضاع السياسية والمجتمعية في مصر على ما هي عليه، ويرفضون التغيير بكافة أشكاله، حفاظاً على مكتسباتهم ونفوذهم وهيمنتهم على المجتمع، والتي استمرت على مدى عقود، فإن القوى المدنية «الحداثية»، والتي تضم طيفاً من الليبراليين واليساريين، تسعى إلى الوصول لنمط الدولة الحديثة Modern State بصيغتها الغربية «العلمانية» التي تفصل الدين عن المجال العام، في حين يسعى الإسلاميون إلى الوصول بالدولة إلى الحالة الإسلامية «المثالية» من وجهة نظرهم، والقائمة على نموذج الدولة العصرية «الرشيدة» التي تحتكم إلى الإسلام شريعة وشعيرة وطريقة حكم، بما يحفظ على الشعب المصري هويته وعقيدته وخصوصيته القيمية والحضارية.

وعليه فإن صراعاً متبايناً للإرادات تدور رحاه بين الأطراف الثلاثة الرئيسة في مصر، وربما يطمح كل طرف منها إلى فرض إرادته على الجميع عبر بوابة الرئاسة، التي تعدُّ أكبر منصب تنفيذي سياسي في البلاد، حتى في ظل الدستور الجديد المزمع كتابته من خلال لجنة خاصة قبل عرضه على الشعب للاستفتاء، والمتوقع له أن يحفظ للرئيس الجديد صلاحيات كبيرة، حتى لو أقر نظاماً مختلطاً، مابين الرئاسي والبرلماني، لكبح جماح السلطات المطلقة للرئيس في ظل الدستور السابق.

وإذا كان الإسلاميون يمتلكون الرصيد الأكبر من الجماهيرية في الشارع المصري، والذي عبرت عنه نتائج الاستحقاقات السياسية السابقة ما بعد الثورة، بدءاً بالاستفتاء على التعديلات الدستورية، وصولاً إلى انتخابات مجلسي الشعب والشورى، فإن القوى المدنية من الليبراليين واليساريين يمتلكون نفوذاً طاغياً في المنافذ الإعلامية المختلفة، من صحف وقنوات فضائية وغيرها، في حين يمتلك فلول النظام المصري السابق تغلغلاً لا يخفى في كثير من مفاصل الدولة المصرية؛ خاصة الأمنية والاقتصادية والإعلامية، الأمر الذي يجعل المباراة الدائرة على منصب الرئاسة ونتائجها المرتقبة من الأهمية بمكان، ليس على مستوى واقع ومستقبل الدولة المصرية فحسب، بل على مستوى التوازن الإستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط ككل.

ما بين الصفرية واللاصفرية:

ومن الناحية النظرية، ثمة وجهان اثنان لنظرية المباريات، وفقاً لنوعية الصراع الدائر بين اللاعبين وطبيعته والنتائج المترتبة عليه وآثاره على الأطراف المتبارية، أحدهما؛ الوجه الصفري Zero-Sum Game والآخر؛ الوجه غير الصفري Non Zero-Sum Game فالمباريات الصفرية، هي تلك التي تتعادل فيها مكاسب طرف ما مع خسائر الطرف الآخر والعكس بالعكس، بحيث يكون أي مكسب لأي طرف هو خسارة للطرف الآخر بما يجعل المحصلة النهائية للمباراة هي الصفر، وعادة ما يتعلق هذا النوع من المباريات بالطراع الدائم غير القابل للتوفيق بين أطرافه. أما المباريات غير الصفرية، فإنها تعني أن طرفي الصراع قد يخسران معاً كما يكسبان معاً، بمعنى أن المحصلة النهائية للمباراة ليست صفراً، حيث تتوزع فيها المكاسب والخسائر بين الأطراف المتبارية، وفقاً لقوة كل طرف وإستراتيجيته في إدارة المباراة Win-Win Strategy، وهذا النوع من المباريات يفترض وجود مساحة من التنسيق والتعاون والمجال المشترك بين أطرافه، ومن ثم فالصراع في هذه الحالة ليس أبدياً أو دائماً، وذلك على النقيض من الوجه الصفري للمباريات.

ومع تسليمنا بأن كل طرف من الأطراف المتصارعة في مصر ليس كياناً واحداً، فالإسلاميون ليسوا كتلة واحدة، كما أن القوى المدنية أيضاً ليست نسيجاً واحداً، ونفس الأمر ينطبق على فلول النظام السابق الذين تفرقهم الأهواء والمصالح أكثر مما تجمعهم السياسة، ومن ثم فإن تحليل الصراع الدائر على السلطة الرئاسية في مصر، وفقاً لنظرية المباريات، يتخذ شكلاً أفقياً Horizontal وآخر رأسياً Vertical، فالشكل الأفقي يقتضي توحد مكونات كل طرف من الأطراف الثلاثة للعب كفريق واحد أمام باقي الخصوم، في حين يقتضي الشكل الرأسي وجود حالة من الصراع بين المكونات الداخلية لكل طرف، بما يؤثر على أدائه أمام خصومه من الأطراف الأخرى.

ولعل المرحلة الأولى من مراحل السباق الرئاسي، والتي تتعلق بمرحلة الترشح وجمع التوكيلات واستيفاء الشروط اللازمة لخوض الانتخابات، قد كشفت عن حالة من الصراع الرأسي بين مكونات الأطراف الثلاثة الرئيسة المتبارية على منصب الرئاسة في مصر، بما يجعل الرهان على مدى تأثير تلك الصراعات «البينية» In Between لكل طرف على أدائه في المباراة الرئاسية أمام خصومه، أمراً لا يمكن إغفاله في التحليل الأخير.

فقد تبارى كل طرف من أطراف الصراع في تقديم أكثر من مرشح، يستوي في ذلك الإسلاميون والمدنيون والفلول، وكثرت الأسماء المطروحة على الساحة، والتي يحمل كل واحد منها لقب «المرشح المحتمل» لرئاسة الجمهورية، ولا أعني هنا ذلك السيل من المواطنين الذين تدفقوا على مقر اللجنة العليا لانتخابات الرئاسة، وسحبوا استمارات الترشح للمنصب، والذين يقدر عددهم بالمئات، ولن يستطيعوا في غالب الأحوال استيفاء شروط الترشح، ولكن من أقصدهم هنا هم الأسماء البارزة ذات الثقل على المستوى السياسي والمجتمعي، والتي تستطيع، أو استطاعت بالفعل، استيفاء الشروط المطلوبة وجمع التوكيلات من النواب والمواطنين على حدٍ سواء، بانتظار باقي الإجراءات القانونية اللازمة؛ ليتحولوا بعدها من مرشحين «محتملين» إلى مرشحين «حقيقيين».

وفي هذا الإطار، نتساءل: هل يستطيع المكون الأقوى بين كل طرف التأثير على باقي المكونات التي تتواءم معه في الطيف السياسي للخروج في نهاية الأمر بمرشح واحد يمثل الطرف ككل في المباراة النهائية، في إطار تجميع الجهود وتوحيد الصفوف أمام الخصوم، خاصة في حالة الأطراف التي يوجد بين مكوناتها درجة من التوافق والمساحات المشتركة للتفاهم، بمعنى؛ هل يستطيع كل من الإسلاميين والمدنيين والفلول اختيار مرشح واحد عن كل طرف منهم، يمثله في السباق، ويلعب تحت لوائه في المباراة النهائية؟

الإجابة عن تساؤل كهذا، قد تبدو حاسمة في تحديد النخبة التي سيكون لها الظفر في الانتخابات الرئاسية المرتقبة، فالإسلاميون على شعبيتهم الجماهيرية، قد يقعون في فخ تفتيت الأصوات إذا ما اتخذت المباراة الرأسية الدائرة بين مكوناتهم شكل المباراة الصفرية، بما يؤثر في النتيجة النهائية للمباراة الرئاسية، والتي قد تطيح بهم خارج السباق أو تدفعهم إلى خوض جولة إعادة قد لا تكون مأمونة العواقب، وخاصة في ظل التغير الحاصل في المزاج العام بعد الانتخابات

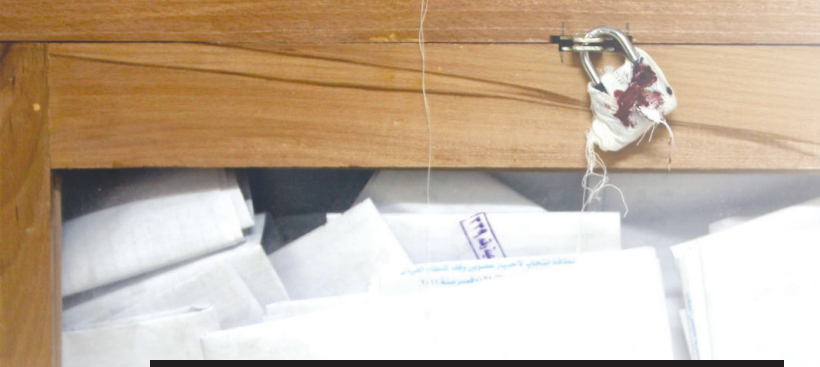

البرلمانية، والتي جعلت كثيراً من المواطنين يعيدون النظر بشأن اختياراتهم السابقة، خاصة مع استمرار الأوضاع الاقتصادية والأمنية والأزمات المعيشية في البلاد على تدنيها يوماً بعد يوم. في حين أن التيارات المدنية وفلول النظام السابق، والذين لا يجمعهم سوى رفض هيمنة الإسلاميين، على قلة تأثيرهم الجماهيري في الشارع، قد يشكلون رقماً صعباً في المعادلة الانتخابية القادمة، إذا ما اتفق كل طرف منهما على تقديم مرشح واحد يمثله في المباراة الرئاسية، بل إن ذلك الرقم الصعب قد يبدو أكثر صعوبة وتأثيراً وقلباً للموازين، إذا ما تحالف الطرفان ليقدما مرشحاً واحداً يمثلهما معاً ضد المرشحين الإسلاميين، خاصة إذا زاد عددهم وتفتتت أصوات مؤيديهم فيما بينهم.

وفي تقديري، فإنه إذا استطاع الإسلاميون إدارة المباراة الرأسية فيما بينهم بشكل غير صفري، بما يمكنهم من تقديم مرشح واحد عنهم، كطيف عريض، فإنهم سيكونون أكثر قدرة على إنهاء مباراة الرئاسة لصالحهم، ربما دون الحاجة إلى خوض جولة الإعادة، خاصة في حالة استمرار تشرذم التيارات المدنية ومتنفذي النظام السابق من الفلول، وهو أمر يبدو متوقعاً بشكل كبير، وفقاً لطبيعة العلاقات البينية الصراعية لمكوناتهم الداخلية من جهة، وقياساً على ما شهدته فعاليات انتخابات مجلسي الشعب والشورى من جهة أخرى. أما إذا ما اتخذت مباراة الإسلاميين فيما بينهم الشكل الصفري، ودفع كل مكون منهم بمرشحه الخاص، فإن ذلك قد يقودهم إلى خسارة ربما لا يتوقعونها في ظل اتكالهم بشكل مبالغ فيه على رصيدهم الشعبي الكبير بين جموع المواطنين، وقدرتهم على الحشد والتعبئة، خاصة إذا ما جرت جولة الإعادة بين مرشح إسلامي وآخر له رصيد شعبي، أو قدرة على التعبئة والتأثير في المواطنين لمواقف وطنية سابقة تحسب له في تاريخه السياسي أو العسكري.

الكرة في ملعب الإسلاميين:

لقد كشفت الاستحقاقات السياسية التي شهدتها الدولة المصرية منذ ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ عن صعود نخب كانت مهمشة وتهاوي أخرى كانت في الواجهة لسنوات، وإذا كان الإسلاميون قد يبدون هم الأوفر حظاً في انتخابات الرئاسة من الناحية النظرية البحتة، فإن الكرة الآن في ملعبهم، إذا ما تحدثنا بمنطق المباريات، ليجعلوا من النظرية تطبيقاً ومن المتوقع حاصلاً، وعلى الإسلاميين، إذا ما أرادوا لمشروعهم السياسي- العقدي أن يرى النور وأن يكون محلاً للتطبيق في مصر، أن ينأوا بأنفسهم عن منطق الشخصنة، بشقيها الفردي والجماعي، وليعلوا من اعتبارات المصلحة العامة والعمل الجماعي على أي اعتبارات أخرى ضيقة.

وأخيراً، فقد مضى ذلك الزمن الذي كان ينسب فيه النجاح لفرد أو لجماعة، فالنجاح الحقيقي هو نجاح الكل لا الجزء، الدولة لا الحزب أو الشخص، ففي كرة القدم يقال إن منتخب الدولة قد فاز بالبطولة، بغض النظر عن شخوص اللاعبين والمدربين ومحرزي الأهداف. فإن استطاع الإسلاميون حشد جهودهم لصالح المرشح الأفضل والأنسب لمقتضيات المرحلة، فسيذكر لهم التاريخ أنهم كانوا على قدر المسؤولية، وتحولوا بمصر من موقع الدولة الطرفية الهامشية إلى موقع الدولة القلب المحورية، لتكون أنموذجاً يحتذى بين الدول العربية والإسلامية، أما إذا استمر منطق الولاء قبل الكفاءة، والعنوان قبل المضمون، فإنه ليس من المستبعد أن تشهد البلاد حكم مبارك آخر، قد يختلف معه اسماً ورسماً، لكنه يتطابق معه فكراً ونهجاً.

تُرى! أي نخبة سيكون لها اليد الطولى في مصر ما بعد الانتخابات الرئاسية المقبلة؟ المباراة لا تزال في الملعب، والطرف الذي سيستطيع أن يجمع شتاته في الربع ساعة الأخيرة من المباراة، سيكون بلا شك هو الأقدر على حسم النتيجة لصالحه، ربما دون اللجوء إلى وقت إضافي، أو ضربات ترجيح من نقطة الجزاء، المهم أن يفوز المشروع لا الشخص والدولة لا الجماعة أو الحزب.

دوافع فيدرالية (برقة) من منظور ليبي

مجـــــــــــــدي داود
Mdaoud_88@hotmail.com

أعلن عدد من زعماء القبائل والسياسيين في شرق ليبيا يوم الثلاثاء الموافق ٦ مارس، إقامة إقليم فيدرالي اتحادي في منطقة برقة بشرق ليبيا، وقرر نحو ٣ آلاف شخص من أهل برقة "تأسيس مجلس إقليم برقة الانتقالي برئاسة الشيخ أحمد الزبير أحمد الشريف السنوسي لإدارة شؤون الإقليم والدفاع عن حقوق سكانه في ظل مؤسسات السلطة الانتقالية المؤقتة القائمة حالياً واعتبارها رمزاً لوحدة البلاد، وممثلها الشرعي في المحافل الدولية"، وتم اختيار الشيخ أحمد الزبير الشريف السنوسي رئيساً للمجلس.

وأعلن المشاركون في المؤتمر أن نظام الاتحاد الفيدرالي هو خيار الإقليم كشكل للدولة الليبية الموحدة في ظل دولة مدنية دستورية شريعتها الإسلام من قرآن وسنة، معتمدين في ذلك على دستور الاستقلال الصادر عام ١٩٥١م، مع إضافة التعديلات وفقاً لما تقتضيه ظروف ليبيا الراهنة، ورفضوا الاعتراف بشرعية التعديل الذي تم في عام ١٩٦٣م، كما جددوا رفض الإعلان الدستوري، وتوزيع مقاعد المؤتمر الوطني، وقانون الانتخابات، وكافة القوانين والقرارات التي تتعارض مع صفة السلطة القائمة كسلطة انتقالية، مؤكدين في الوقت ذاته على تمسكهم بقيم ومبادئ ثورة ١٧ فبراير، ويشمل إقليم برقة الشطر الشرقي من ليبيا المجاور لمصر، وتعدُّ مدينة بنغازي التي انطلقت منها شرارة الثورة الليبية أحد أهم مدن الإقليم.

هذه الخطوة أقدمت عليها القبائل الليبية في برقة، هي بادرة خطيرة، فمنذ أن قامت الثورة الليبية وكل المراقبين يحذرون من أي خطوة نحو التقسيم، وعندما اندلع النزاع المسلح بعد أن أجرم القذافي وقصف الشعب بالطائرات، خرج الكثير من الدعوات بضرورة تأكيد القبائل الليبية على وحدة ليبيا أرضاً وشعباً، تحت قيادة واحدة، خصوصاً وأن المؤامرات على الدول العربية مستمرة، ولا يزال أعداؤنا يحاولون بكل ما لديهم من إمكانيات بث الفتنة والفرقة في البلاد، لتقسيمها ليسهل لهم السيطرة السياسية والاقتصادية عليها، ويسرقوا ثرواتها ومقدراتها، وتعدُّ ليبيا بما لديها من ثروة نفطية كبيرة هدفاً للأعداء، ويخشى الكثيرون أن تكون هذه الخطوة من جانب بعض قبائل برقة، خطوة حقيقية نحو الانفصال في ليبيا، وهو

الأمر الذي إن نجح لا قدر الله سيكون بداية لتقسيم عدد آخر من الدول العربية، وبدلاً من أن تكون ثورة ليبيا والثورات العربية ربيعاً، ستكون خريفاً مقيتاً على الأمة كلها، وفي هذا التحقيق نحاول معرفة الأسباب الحقيقية وراء هذه الخطوة، وتأثيرها على وحدة الشعب الليبي، وإمكانية تقسيم ليبيا، وكذلك إمكانية نجاح النظام الفيدرالي مع الشعب الليبي، وأخيراً الأسلوب الأنجع للتعامل مع هذا الوضع وحل المشكلة مع تجنب الصراع العسكري، في ظل انتشار السلاح مع الميليشيات والقبائل التي أطاحت بنظام القذافي.

الأسباب والدوافع:

في تصريح لراديو «سوا» أكد أحمد الزبيري السنوسي أن إعلان إقليم برقة يرجع إلى ضعف أداء المجلس الوطني الانتقالي الليبي، ووصف السنوسي رئيس المجلس الانتقالي المستشار مصطفى عبد الجليل بأنه ديكتاتور، وكانت مدينة بنغازي قد شهدت من قبل تظاهرات واحتجاجات ضد المجلس الانتقالي، وقام مجهولون بإشعال النيران في مقر المجلس بالمدينة احتجاجاً على سوء تمثيل المدينة بالمجلس، وما ترتب على ذلك من تجاهل المدينة والمدن الأخرى التي تقع شرق ليبيا.

ويرى الدكتور محمد السنوسي منسق لجنة إدارة الأزمة الليبية وممثل المجلس الانتقالي، أن "السبب الذي دفع أهالي برقة إلى هذا الاتجاه هو الخوف من تهميش المنطقة، وكذلك البحث عن اللامركزية، فليبيا مساحتها كبيرة جداً، فبعض المدن في برقة تبعد عن طرابلس أكثر من ١٨٠٠ كم، وكذلك الرغبة في توزيع الثروات بالتساوي بين المناطق، وإحداث طفرة وإعمار في كل المناطق الليبية وخاصة "برقة"، وأشار إلى أن "هناك تباطؤ قاتل للمجلس الانتقالي في اتخاذ عدة قرارات، وتأخيره معالجة بعض القضايا المهمة والملحة، هو أحد الأسباب غير المباشرة التي دفعت أهالي برقة لإعلان الفيدرالية".

ونفى السنوسي أن تكون هناك أيادٍ خارجية وراء هذه الخطوة، وقال –في تصريحات خاصة–: "ليس هناك أياد خارجية وراء هذه الخطوة إطلاقاً، كثير من الناس والإعلام والصحافة تعدُّ هذه الخطوة تقسيما للبلاد، وهذا غير صحيح، حتى إن السيد أحمد الزبير السنوسي رئيس الفيدرالية المعلن الآن أكد أن إقليم برقة سيكون ضمن دولة ليبية موحدة، وأنا أعتبر هذا نوعاً من الحراك السياسي، ضد المركزية ورفض تهميش إقليم برقة، أو أي إقليم في ليبيا".

أما الناشط السياسي الليبي ناصر الهواري مؤسس المرصد الليبي لحقوق الإنسانَّ ومنسق الجالية في الإسكندرية، فأكد –في تصريحات خاصة– أن هناك عدة أسباب دفعت بعض أهالي برقة لإعلان الفيدرالية منها "المركزية الإدارية، طيلة أربعين سنة من قبل نظام القذافي، أعطت انطباعاً لدى البعض بضرورة اعتماد أسلوب إداري يقلل من حدة المركزية الموجودة في العاصمة، ورغبة بعض من لديهم نيات انفصالية وأحلام بتولي زمام الأمور في البلاد، في الانفصال التدريجي بالشرق الليبي مستخدمين معاناة الناس من المركزية في الترويج لمشروعهم، وكذلك بعد المجلس الوطني الذي يتولى مقاليد الأمور عن نبض الشارع ، وعدم الاستجابة الفورية لكثير من المطالب الملحة للناس كان من ضمن الأسباب الرئيسة".

إلا أن ثمة سبب آخر ربما يكون أحد الأسباب المهمة التي دفعت هؤلاء لإعلان برقة إقليماً فيدرالياً، وهو أن الإقليم يتمتع بأهمية حيوية لليبيا، فهو يحوي نحو ٨٠ ٪ من احتياطيات النفط والغاز في البلاد، كما أن موقعه استراتيجي بسبب امتداده الواسع على الساحل الليبي، والذي يقع نحو ٦٠ ٪ منه في هذا الإقليم، في حين أن سكان الإقليم يمثلون ٢٥ ٪ فقط من إجمالي سكان ليبيا، وهو فارق كبير جداً بين عدد السكان وكم الثروات بالنسبة إلى بقية البلاد.

أثرها على وحدة الشعب والأرض:

شدد أحمد السنوسي رئيس مجلس برقة على أن المجلس الأعلى لبرقة يحترم جميع المؤسسات الحكومية والوزارات السيادية والجيش الوطني الواحد، معرباً عن رغبته في أن تكون هناك حرية في اتخاذ القرار فيما يخص مصلحة المواطن الذي عانى الكثير من سوء الإدارة في طرابلس، وأنهم يريدون إقليماً فيدرالياً في إطار الدولة الليبية.

في المقابل اعدَّ رئيس المجلس الوطني الانتقالي الليبي المستشار مصطفى عبد الجليل أن الفيدرالية خطوة نحو

تقسيم ليبيا، ووصف ما جاء في بيان مؤتمر دعاة الفيدرالية بأنه "بداية مؤامرة على ليبيا والليبيين"، ودعا الليبيين إلى الالتفاف حول المجلس الوطني الانتقالي الليبي صاحب الشرعية المحلية والدولية كممثل شرعي ووحيد للشعب الليبي.

أما الدكتور محمد السنوسي فقد نفى أن تكون هذه الخطوة بداية الانفصال أو تقسيم الدولة الليبية، وقال "لا يمكن، فهذا غير وارد مطلقاً، الشعب الليبي كله على ديانة ولغة واحدة، بل إن ٩٧ ٪ من الشعب الليبي على مذهب واحد وهو مذهب المالكية، حتى إن بعض القبائل الليبية القديمة مثل الأمازيغ والطوارق، ينسجمون انسجاماً شبه كامل مع الليبيين، ومن جانب آخر فإن فساد النظام السابق الذي لم يقم ببناء ليبيا في أي من المجالات، فلا يوجد اقتصاد ولا تعليم ولا صحة ولا سياحة، ولا توجد مؤسسات، فليبيا دولة بدون دستور وبدون مؤسسات، فهذه كلها إرث النظام السابق، وهو إرث ثقيل جداً، ويوجد عدد كبير جداً من سكان برقة يرفضون الدعوة إلى الفيدرالية، ولكن الكل يجمع على اللامركزية ويبحث عنها، والذين دعوا إلى الفيدرالية لا يريدون يقيناً تقسيم ليبيا إلى دويلات".

ويتفق معه ناصر الهواري، حيث يرى أن "تأثيرها ضعيف لأن الشارع الليبي عانى طلية سنة من الحرب والدمار، ووقف ضد كل مساعي القذافي لتقسيم ليبيا في أثناء الثورة، والكثير يستعد ويطمح لدولة ديمقراطية، ويرى في الانتخابات القادمة فرصة حقيقية لبناء الدولة، وهذا ما يفقده الفيدرالية أي قوة وينزع منها لباس الشرعية؛ لأنها قفز على الشرعية القائمة ومحاولة لتقويض الدولة وإضعافها، بل وإظهارها بمظهر العاجز".

الفيدرالية ستفشل:

وتوقع محمد السنوسي منسق لجنة إدارة الأزمة الليبية وممثل المجلس الانتقالي فشل الفيدرالية في ليبيا وقال "أعتقد أنه لا يمكن نجاح الفيدرالية في ليبيا، لأن الكثير من سكان وأهالي برقة يرفضون هذا التوجه، ولكن هذا الحراك سيدفع بقوة نحو اللامركزية، بحيث سيعمل الجميع ويتجهون نحو اللامركزية، بحيث يتم تقسيم ليبيا إلى ما بين ١٠-١٥ محافظة، وتتمتع كل محافظة باستقلالية كبيرة، وتتاح لها إمكانيات البناء وتسن قوانين تخصها، وتكون المحافظات متساوية في الميزانية العامة للدولة"

كما يرى ناصر الهواري أن الفيدرالية ستفشل في ليبيا، ويتساءل "كيف ينجح مع شعب تعداده ستة ملايين، ولا توجد به أقاليم منفصلة، ودينه واحد ولغته واحدة، لا توجد أي مقومات تستند عليه هذه الدعوة أو يمكن أن تساعد في نجاحها".

الحل المناسب:

أكد المستشار مصطفى عبد الجليل أن الحكومة الانتقالية تسعى جاهدة إلى تأسيس دولة لا مركزية قوامها أكثر من ٥٠ مجلساً محلياً في كل ليبيا.. موضحاً أن الميزانية التي يتدارسها المجلس حالياً ستوفر كل الإمكانيات لكل هذه المجالس من أجل مستقبل مشرق يسوده الوئام والازدهار والمساواة بين جميع الليبيين.

ومن جانبه قال محمد السنوسي: "إن هناك مشاكل كان يجب على المجلس الانتقالي حلها بشكل أسرع، والقيام بوضع إستراتيجية عامة وشاملة لحل الكثير من القضايا بنظرة واسعة وسريعة، ولكن الإرث الذي تركه النظام السابق ثقيل جداً، وللعلم فإن رئيس المجلس الانتقالي مصطفى عبد الجليل من إقليم برقة، ولهذا فإننا إذا أردنا الحل، فيجب العمل نحو اللامركزية، ووضع استراتيجية عامة وشاملة لإحداث تطور وإعمار في جميع المناطق بالتساوي، وإحداث طفرة كبيرة في البنية التحتية والصحة والتعليم والزراعة، وعدم تهميش أي مدينة أو محافظة أو منطقة، وأيضاً سن قوانين لاختيار جمعية تأسيسية لها دراية بكل أطياف وثقافات المناطق الليبية، ووضع كل هذه الأمور في الدستور بحيث لا يستطيع أحد أن يتجاوزها".

أما ناصر الهواري فأكد أن "الأسلوب الأنجع هو تعريف الناس بمخاطر الفيدرالية، واعتماد أسلوب اللامركزية الإدارية، والتواصل مع الناس وحل مشاكلهم، ومنها عدد مقاعد المؤتمر الوطني القادم، فقد أحدث توزيع المقاعد لغطاً في الشارع ولدى النخب، لذلك فالتشخيص ومداواة الجرح هما ما تحتاجه ليبيا".

جوال

الكبير

للإشتراك
ارسل رسالة فارغة

STC الاتصالات السعودية ٨٨٠٠٤

موبايلي mobily ٦٣٦٣٩٣

zain ٧٠٤٠٤٧

رسائلنا تحكي أهدافنا

المسلمون المنسيون في دار السلام...!

صلاح محمد أبو زيد

كان دخول الإسلام إلى مملكة (فطاني) على أيدي التجار من العرب والفرس، منذ بدايات القرن الخامس الهجري. لكن الوجود الحقيقي للإسلام بدأ عندما أعلن السلطان إسماعيل شاه إسلامه عام ٧٥١ هـ - ١٤٥٧م وأطلق على مملكته اسم دار السلام تعبيراً عن حبه للإسلام.

أضخم تمثال لبوذا:

بحلول القرن الثامن للهجرة تحول جنوب تايلاند إلى مملكة إسلامية مستقلة، تضم فطاني وناراثيوات ويالا وساتون وسونكلا، ثم كونت مع الولايات الماليزية تيرينجانو وكده وكاليمنتان وبرليس سلطنة الملايو المسلمة التي بلغ من تقدُّمها أنها استطاعت تصنيع المدافع العملاقة بعد أن حصلت على تقنية تصنيعها من بعض البريطانيين، ولعقود طويلة ظلت العلاقة بين فطاني وجارتها «سيام» تايلاند علاقة توتر وحروب أدت في نهاية المطاف إلى اعتقال تانكو عبد القادر قمر الدين آخر ملوك فطاني المسلمين وسيطرة تايلاند على فطاني بشكل كامل عام ١٣٢١ هـ - ١٩٠٢ م. وفي الاتفاقية التي وُقِّعَت بين بريطانيا وسيام آنذاك قسمت سلطنة الملايو المسلمة بين الدولتين فخضعت فطاني ويالا وساتون وسونغلا وناراثيوات لسيام، في حين خضعت أقاليم كده وكاليمنتان وبرليس وتيرينغانو لبريطانيا، الأمر الذي أنهى تماماً كل المعالم السياسية والجغرافية لتلك السلطنة العظيمة.

ومنذ ذلك الحين سعت الحكومة إلى تغيير التركيبة السكانية لتلك الولايات المسلمة من خلال توطين آلاف البوذيين فيها وتمليكهم أخصب الأراضي، كما انتشرت المعابد البوذية في كل أنحاء الجنوب، وأقامت الحكومة أضخم تمثال لبوذا في ولاية ناراثيوات (أقل الولايات المسلمة من حيث الكثافة البوذية)، وعندما رفض خمسة طلاب مسلمين أمراً من الجنود التايلنديين بالسجود للتمثال تم قتلهم بطريقة وحشية، وقد أدت الحادثة التي وقعت في عام ١٩٧٥م إلى مظاهرات كبيرة نظمها المسلمون لأكثر من أربعين يوماً مطالبين بمحاكمة الجناة إلا أن الحكومة رفضت الاستجابة لهم، كذلك تَعرَّض المسلمون لسياسات قاسية حرمتهم كثيراً من حقوقهم فتم منعهم من التعليم بلغتهم المالاوية وفُرضت عليهم اللغة السيامية، كما قامت الحكومة بفرض مناهج تعليمية تخدم مصالحها، وقامت بإغلاق الكتاتيب التي تعلِّم القرآن والقراءة والكتابة، وعلى الطلاب الذين يريدون الانتساب إلى مدارس الحكومة أن يغيروا أسماءهم العربية أو المالاوية إلى أسماء سيامية أو بوذية، كما حرَّمت ارتداء الحجاب على النساء المسلمات، إضافة إلى تشجيع البعثات التنصيرية للعمل بالجنوب، ناهيك عن الدس الرخيص في الكتب الإسلامية.

◄ فرضت السلطات على الأطفال دراسة البوذية بشكل كامل في مدارسها فلجؤوا إلى نظام «البون دوك» الذي حافظ على الهوية الدينية والحضارية لمسلمي فطاني.

◄ يضم جنوب تايلاند أكثر من ٢١٨٠ مسجداً، ويُعدُّ مسجد كروسي العريق شاهداً حيّاً على معاناة المسلمين وجهادهم.

وردًّاً على محاولات التذويب القسري للمسلمين ومحو هويتهم فإن إقبالهم على المدارس الدينية التي تعرف باسم «بون دوك» أو «الفندق» قد زاد بدرجة كبيرة، وهي أشبه بالكتاتيب، ولكن نظام الدراسة بها يشبه إلى حد كبير نظام المدارس الداخلية؛ حيث يقيم الطلاب فيها لعدة سنوات ولا يدرسون سوى القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الشرعية إضافة إلى اللغة المالاوية، وقد ظلت هذه المدارس بعيدة عن دائرة الضوء إلى أن بدأت بعض الأوساط الغربية تشير إلى خطورتها لأنها تعتمد الأسلوب الطالباني في التعليم، إلا أن «كريساك شونهارن» – وهو سيناتور في مجلس الشيوخ التايلندي – أشار إلى أن تايلاند لم تكن نزيهة في تعاملها مع المسلمين وهو ما أدى إلى انصرافهم إلى مدارسهم الدينية الخاصة، وعلى ما يثار حول هذا النظام التعليمي من شكوك وريبة فإنه يمكن القول: إنه قد حافظ إلى حدٍّ كبير على الهوية الإسلامية في جزر الملايو عموماً، ولكن ثمة مشكلة مزمنة تواجه خريجي تلك المدارس؛ وهي: أنهم لا يستطيعون الالتحاق بالجامعة لاستكمال تعليمهم فيضطرون للسفر إلى الدول العربية والإسلامية على نفقتهم الخاصة أو من خلال بعض البعثات المجانية، وهم بعد ذلك قد لا يجدون فرصة عمل مناسبة فيضيع مجهودهم سدىً ودون فائدة تذكر.

المسجد شاهداً:

تشير الإحصائيات الرسمية إلى أن مسلمي تايلاند يشكلون ٥ ٪ من عدد السكان البالغ ٦٥ مليون نسمة، وثمة أقوال أخرى تؤكد على أن عددهم ربما يصل إلى ١٠ ٪ من عدد السكان، ويتركز حوالي ٨٠ ٪ من المسلمين في أقاليم فطاني وناراثيوات وساتون ويالا وسونغلا بجنوب البلاد ذي الهوية الإسلامية الذي يضم أكثر من ٢١٨٠ مسجداً، ويعدُّ إقليم فطاني أو باتاني pattani – كما تشير إليه المصادر التايلاندية الرسمية في محاولة لمحو اسمه التاريخي – هو قلب المسلمين النابض في الجنوب بما له من تاريخ عريق؛ حيث كان مركز المملكة الإسلامية لقرون طويلة، والآن يشكل المسلمون به أغلبية تقدَّر بـ ٨٨ ٪ من عدد سكانه البالغ حوالي ٦٠٠,٠٠٠ نسمة، وهم من أصول مالاوية، وعاصمته مدينة فطاني، وتحيط به الأقاليم المسلمة من الشمال والجنوب والغرب. أما من ناحية الشرق فيُطِل على خليج تايلاند، وتمتاز فطاني بباقة من المساجد العريقة التي تؤكد على هويتها الإسلامية، وعلى رأسها مسجد وادي حسين «تالوك مانوك» الذي يقف شاهداً على براعة الفن الإسلامي، ويصل عمره إلى حوالي ٣٧٠ سنة، وهو مشيَّد بطريق تعشيق الخشب ولا يوجد فيه مسمار واحد من الصلب، وعلى جانب المسجد تقوم المئذنة؛ وهي عبارة عن برج مربع من الخشب في جوانبه عدة نوافذ.

ويمثل مسجد كروسي التاريخي بسقفه غير المكتمل وأعمدته المستديرة المصنوعة من القرميد الأحمر واحداً من أقدم مساجد تايلاند، ويرجع تاريخه إلى أواخر القرن السادس عشر الميلادي، ويمتاز بزخارفه وبديع صنعته، ومن الطريف أن البوذيين يتداولون أسطورة تزعم أن ثمة لعنة تمنع اكتمال عمارة هذا المسجد الذي يُعَد من الآثار الإسلامية القليلة التي صمدت في وجه محاولات الحكومة لمحو الهوية الإسلامية للجنوب.

مطالب عادلة:

يعتمد مسلمو الجنوب في حياتهم على صيد الأسماك والتجارة البحرية وزراعة المطاط حيث حالت الأوضاع السياسية المتوترة لفترات طويلة دون انخراطهم في الوظائف الحكومية، ومعظم المشاريع الكبيرة يمتلكها البوذيون ولا يمثل المسلمون إلا العمالة الرخيصة فيها، ونتيجة لهذه الأوضاع السيئة فقد تكونت بالجنوب حركات انفصالية قوية من أبرزها جبهة التحرير الوطني وجبهة المسلمين لتحرير فطاني والمنظمة المتحدة لتحرير فطاني، وبعضها ينادي بالاستقلال التام عن تايلاند، بعضها الآخر ينادي بالانضمام إلى ماليزيا، وبعيداً عن هذه الحركات الانفصالية فإن مطالب المسلمين تتلخص في تعيين حاكم مسلم على أقاليم الجنوب المسلمة، وأن يكون ٨٠٪ من موظفي الحكومة بفطاني مسلمين، وأن تكون اللغة الملايوية هي لغة التعليم بالمدارس واللغة الرسمية لأهل فطاني مع تطبيق الشريعة الإسلامية، ولكن تجاهل السلطة المركزية في بانكوك لهذه المطالب يؤدي إلى موجات متلاحقة من العنف والاحتجاجات، ومن أشهرها حادثة تكباي التي وقعت في رمضان ١٤٢٧ هـ، وراح ضحيتها ٨٦ مسلماً ماتوا اختناقاً أو برصاص الجيش التايلاندي الذي استخدم العنف لقمع مظاهرة سلمية من أجل الاحتجاج على اعتقال بعض الشباب المسلمين، وقبل تكباي ببضعة أشهر كان مسجد كروسي التاريخي مسرحاً لحادثة دموية أخرى، عندما هاجمت مجموعة من الشباب بعض مراكز الشرطة، ثم فرت إلى المسجد، فقامت قوات الأمن باقتحامه لتقتل ما بين ٣٢ و٣٨ من المعتصمين بداخله، ولا تزال آثار الرصاص على الجدران شاهدة على ما سمته لجنة التحقيق في الحادث بالقوة المفرطة من قِبل الجيش، وجاءت سياسة رئيس الوزراء السابق « تاكسين شيناواترا « لتزيد الأوضاع سوءاً، حيث استثمر الرجل أجواء الحرب ضد الإرهاب فأعلن تطبيق قانون الطوارئ في الولايات الجنوبية، ووضعها تحت إشراف وزارة الداخلية بالكامل سنة ٢٠٠٥م، وحين قدم زعماء المسلمين في تايلاند خطة للمصالحة إلى وزير الداخلية تتضمن دعوة الحكومة لانتهاج حلول سليمة وعادلة لأزمة مسلمي الجنوب، تبدأ بعدم التوسع في المشروعات السياحية المرتبطة بالرذيلة وتجارة الجنس وأندية الليل والتي تثير حفيظة المسلمين وغضبهم، وإنشاء آلية مركزية لتقليل التوترات بين الدولة والسكان المحليين، مع التزام الحكومة بالقصاص من مرتكبي جرائم العنف سواء أكانوا من مسؤولي الدولة أم من المتمردين المشتبه بهم، كان الردّ قاسياً حيث قامت الحكومة بحملة قمع جديدة تحت شعار ارتباط بعض الجماعات الإسلامية في الجنوب بالتنظيمات الإرهابية الدولية، ونتيجة لذلك تصاعدت أعمال العنف ما أدى إلى مصرع حوالي ٣٥٠٠ فرد نصفهم من المسلمين، وبعد الإطاحة بشيناواترا اعتذرت الحكومة الجديدة برئاسة سورايود شولانوت رسمياً عن ممارساتها بحق مسلمي تايلاند، ولكن شيئاً لم يتغير على أرض الواقع، حيث أشار تقرير لمنظمة العفو الدولية إلى أن ثمة تصاعداً في عمليات التعذيب بمراكز الاعتقال والسجون في الجنوب، وهى أماكن لا يسمح لمنظمات حقوق الإنسان بزيارتها.

وعلى الرغم من إعلان حكومة «آبهيسيت فيجاجيفا» التي جاءت إلى الحكم في ديسمبر ٢٠٠٨م عن نيتها تحسين أوضاع مسلمي الجنوب فإن ما حدث هو العكس تماماً، فتم تجديد العمل بقانون الطوارئ في الجنوب، وارتفع عدد قوات الجيش والشرطة فيه إلى أكثر من ٣٠ ألفاً بحجة فرض الأمن والاستقرار على المنطقة بالقوة، ولا يتوقع الكثيرون تحسناً جذرياً في أحوال مسلمي فطاني في عهد حكومة السيدة «ينغلوك شيناواترا» التي وصلت إلي سدة الحكم في أغسطس ٢٠١١ م (ينغلوك أول امرأة تترأس الوزارة في تايلاند وهي أيضاً شقيقة رئيس الوزراء السابق «تاكسين شيناواترا الذي أذاق المسلمين أشكالاً من القهر!!)..

وقد أشار عبد الرشيد هامي نائب عميد أكاديمية الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة ناراديواس راجنكرين التايلاندية خلال ملتقى لرابطة خريجي الأزهر بالقاهرة إلى ما يتعرض له مسلمو تايلاند من تضييق وانتهاكات، وألمح إلى الدور الكبير الذي يقوم به اليهود في تأجيج الصراع وتحريض الحكومة على المسلمين، مضيفاً: أن الحكومة تقوم بفرض ضرائب فادحة على الفلاحين والمزارعين بالجنوب لكسر شوكتهم وهو ما ينذر بمزيد من التدهور ما لم تتدخل الدول الإسلامية، وبالذات ماليزيا وإندونيسيا بالتنسيق مع منظمة المؤتمر الإسلامي والهيئات الدولية الأخرى المهتمة بحقوق الإنسان لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لمسلمي تايلاند.

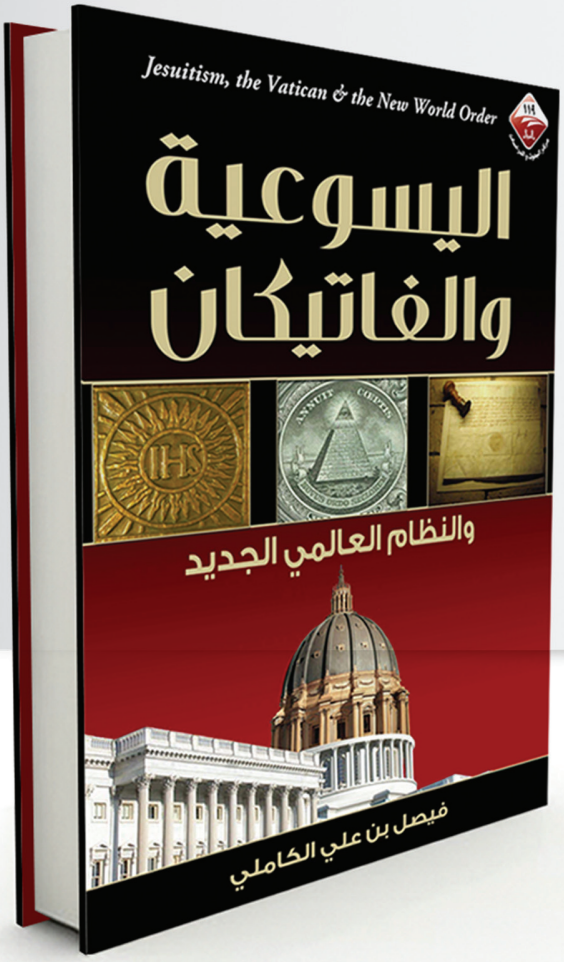

اليسوعية والفاتيكان

و النظام العالمي الجديد.

جديدنا

اكتشف السر بعد خمسمائة عام من نذور الكتمان !

- **ما أخطرُ الجماعات السرية على الإطلاق ؟ ولم لا نعلم عنها شيئاً ؟**
- **ماذا تعرف عن ((أصحاب الأيكة)) الجدد ؟**
- **هل الماسونية حقاً صناعة يهودية ؟ فمن تخدم إذن ؟**
- **لم لا تتغير سياسة أمريكا بتغير الزعماء ؟ ومن هو الموجه الحقيقي لهذه السياسة؟**
- **ما حقيقة التحالف البابوي ـ الصهيوني ؟ وماذا يراد للقدس ؟**

وثائق سرية وحقائق مزعجة تقرؤها لأول مرة بالعربية في كتاب

((اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد))!

Badr: 0508948947

مجلة البيان

الرياض: ـ هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ - ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

مرصد الأخبار

جـــلال ســعـــد الـــشـــايـــب(*)
galal_elshayp@hotmail.com

يهود أمريكا يؤيدون أوباما في الانتخابات القادمة

كشـــف المســـح الذي أجراه المعهد العام للأبحاث الدينية أن ٦٢٪ من الناخبين اليهود قالوا: إنهم يودون إعادة انتخاب أوباما مقابل ٣٠٪ يفضلون فوز مرشـــح ينتمي إلى الحزب الجمهـــوري في الانتخابات المقرر إجراؤها في نوفمبر.

وأوضح الاســـتطلاع أن ٥١٪ من الناخبين اليهود يرون أن الاقتصاد يحتل الأولوية الأولى في انتخابات ٢٠١٢م، وقال ٤٪: إن «إسرائيل» هي القضية الأهم، في حين يقول ٢٪: إن إيران التي يشتبه الغرب في أن برنامجها النووي ستار لصنع أسلحة نووية هي القضية الأولى.

[جريدة الأهرام ٢٠١٢/٤/٤م]

الجزائر ترفض طلباً أمريكياً بمحاربة القاعدة من أراضيها

نقلت صحيفة «النهار الجديد» الجزائرية عن مصادر أمنية رفيعة المستوى قولها: إن الجزائر رفضت طلباً أمريكياً بمســـاعدتها في القضاء على تنظيم القاعدة، وذلك من خلال الســـماح لأجهزة أمنية القيام بإجراء مســـح جويّ لأماكن تواجد الأســـلحة والعبوات الناســـفة التي هي بحوزة التنظيم.

وجاء الرفض بعد مشـــاورات كبيرة لمختلف الأجهزة الأمنية؛ وأرجع بعضهم ذلك لأنَّه يشكِّل خطـــراً على الأمن الجزائري ويمسّ بالســـيادة الوطنيـــة، حيث يمنـــح الطلب الحـــق للخبراء الأمريكيـــين وضع قواعـــد وشـــبكات مُرَاقبة ومَحطّات استقبال وتوجيه أنظمة المراقبة داخل الأراضـــي الجزائرية خاصة فـــي الأماكن التي يوجد بها جيوب لليورانيـــوم مثل منطقة جبال تيريرين قرب الحدود مع النيجر.

[العربية ٢٠١٢/٢/٢١م]

أوروبيون يبحثون عن عمل في أفريقيا

توجـــه آلاف العاطلـــين الأوروبيين صوب أفريقيـــا وأميركا الجنوبية بحثاً عن فرص عمل حيث مواطن الثراء الموعود، وذلك بحسب – صحيفة ذي إندبندنت أون صنداي البريطانية –.

وقالت الصحيفـــة إن أنغولا الواقعة في جنوب غرب القارة الأفريقية، باتت اليوم قبلة العاطلين عن العمل في أوروبا، وذلك بعـــد أن وافقت القنصلية الأنغوليـــة الكائنة في البرتغال على أكثر من ٢٠ ألف طلب للهجرة في المتوسط سنوياً.

وفي إســـبانيا؛ هاجر نحـــو ٣٠ ألف إســـباني تقريباً إلى الأرجنتين خلال الفترة من يونيـــو ٢٠٠٩ إلى نوفمبر ٢٠١٠م، وغادر ٦٤٠٠ إسباني إلى تشيلي و٦٨٠٠ إلى أورغواي.

وفي إيطاليا؛ دفعت المشـــكلات الاقتصادية نحو ٦٠٠ ألف من أبنائها الحاصلين على تعليم عال إلى الســـفر خارج البلاد خلال العقد الماضي، حيث توجه معظمهم إلى أميركا الشمالية والجنوبية.

وفـــي المقابل في الهنـــد؛ فقد عـــاد آلاف المغتربين الهنود المقيمين في أوروبا إلى بلادهم، ويرجع ذلك إلى النمو السريع لاقتصاد الهنـــد. ويتوقع البعض أن يعود نحو ٣٠٠ ألف هندي يعملون في الخارج إلى بلدهم بحلول عام ٢٠١٥.

[صحيفة ذي إندبندنت أون صنداي البريطانية ٢٠١٢/٣/١٨م]

(*) نرحب بمقترحاتكم البنَّاءة في باب مرصد الأحداث على بريد الكاتب.

الصبغة الدينية في الانتخابات الأمريكية

أشارت صحيفة أميركية إلى ما وصفته ببروز العامل الديني بشكل غير مسبوق في الحملات الدعائية لانتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة لعام ٢٠١٢م، وقالت: إن ثمة تجاذبات بين التيارات المختلفة بشأن ما قد يرمز إلى الدين في الانتخابات.

وأضافت الصحيفة أن الديمقراطيين كالجمهوريين أضفوا صبغة دينية على حملاتهم الانتخابية، مشيرة إلى أن أوباما اقتبس آية من إنجيل لوقا تتعلق بضرورة الإنفاق من رزق الله الذي أعطاه لعباده.

ويشير خبراء إلى أن الانتخابات الرئاسية الأميركية شهدت ظاهرة لم تحدث من قبل، وتتمثل في بروز الصبغة الدينية فيها.

وقال أستاذ العلوم السياسية في جامعة أوكلاهوما بمدينة نورمان الأميركية ألين هيرتزك: إن التيارات الدينية باتت أكثر انتشاراً وتأثيراً من أي وقت مضى في تشكيل النقاش العام بين الناس. [عن صحيفة كريستيان ساينس مونيتور ٢/٤/٢٠١٢م]

معلمة شيعية تجبر طفلاً على تقبيل قدميها لأن اسمه «عمر خطاب»!!

نشرت وكالة أنباء الشرق الأوسط أن وزير التربية والتعليم البحريني أمر بفتح تحقيق عاجل في واقعة إجبار معلمة شيعية لطفل «٤ سنوات» على تقبيل قدميها لمدة ٥ أشهر متواصلة، وذلك فقط لأن اسمه «عمر خطاب».

وأشار الوزير إلى أن الإدارة عاقبت المعلمة بخصم خمسة أيام من راتبها، مؤكداً أن الهجمة الطائفية غريبة على أهل البحرين.

ويشار إلى أنه تم اكتشاف الأمر بعد خمسة أشهر متواصلة من تقبيل قدم المدرسة؛ وذلك عندما ذهب الطفل عمر إلى أمه، وقال لها إني أحبك وطبع قبلة على قدميها؛ واستفسرت منه لماذا تفعل ذلك؟، فقال «هذا ما أفعله مع معلمتي».

[شبكة سني نيوز الإخبارية ٢٨/٣/٢٠١٢م]

الغاز لإسرائيل بين تركيا ومصر!!

في الوقت الذي تقوم مصر بتصدير الغاز الطبيعي -المستخرج من أراضيها- إلى إسرائيل؛ صرح وزير الطاقة والموارد الطبيعية التركي «تانر يلدز» بأنه وبدون اعتذار؛ لا يمكن مرور الغاز الإسرائيلي عبر تركيا، وذلك بعد أن ربط خطة عملية نقل الغاز الطبيعي المستخرج من قِبَل الشطر الجنوبي من «قبرص وإسرائيل» من منطقة البحر المتوسط إلى أوروبا عبر تركيا بالاعتذار السياسي من جانب إسرائيل.

[واشنطن بوست الأمريكية ٤/٣/٢٠١٢م]

مطالبة باكستانية لأمريكا بالاعتذار!

بعد مرور ما يقرب من خمسة أشهر كاملة؛ تذكر البرلمان الباكستاني أن يطالب الولايات المتحدة بالاعتذار عن الغارة التي شنتها طائرات ومروحيات أمريكية قادمة من أفغانستان في ٢٦ نوفمبر ٢٠١١م وأسفرت عن مقتل ٢٤ جندياً باكستانياً في معسكرهم قرب الحدود بين البلدين.

وقد افتتح البرلمان الباكستاني نقاشاً من شأنه أن ينتهي بالمصادقة على قرار يستند إلى توصيات لجنة نواب وصفت الغارة الأمريكية بأنّها «انتهاك فاضح لسيادة باكستان ووحدة أراضيها» وهي إدانة تستعيد العبارات ذاتها التي استعملتها الحكومة منذ وقت طويل. [صحيفة الخليج ٢١/٣/٢٠١٢م]

القوى النووية في العالم [الرسمية، وغير الرسمية]

انطلق سباق التسلح النووي في العالم منذ الحرب العالمية الثانية، حتى بلغ ذروته ليهدد العالم وأمنه؛ فارتفعت أصوات للحد منه، ووقعت معاهدات واتفاقات من أجل ذلك، وفيما يلي ذكر لأهم القوى النووية العالمية الرسمية وغيرها ومخزوناتها من السلاح النووي:

أولاً: القوى النووية الرسمية:

الولايات المتحدة: استخدمت الولايات المتحدة الأسلحة النووية في كل من هيروشيما ونكازاكي اليابانيتين في أغسطس ١٩٤٥م عند نهاية الحرب العالمية الثانية، لتصبح البلد الوحيد الذي استخدم سلاحاً نووياً على الإطلاق.

وبموجب معاهدة جديدة تحل محل معاهدة خفض الأسلحة الإستراتيجية (ستارت) من المقرر أن تخفض الولايات المتحدة وروسيا عدد الرؤوس النووية المنتشرة إلى ١٥٥٠، بواقع ٣٠٪ أقل من الحد الأقصى الذي كان مفروضا في ٢٠٠٢م بموجب معاهدة موسكو التي التزم بها الجانبان.

روسيا: بدأ البرنامج النووي السوفييتي خلال الحرب العالمية الثانية، وبلغ أوجه في تجربة للقنبلة الذرية عام ١٩٤٩م، وبحلول أكتوبر ٢٠١٠م كان قد تم خفض الترسانة النووية الإستراتيجية لروسيا إلى نحو ٢٦٦٠ رأساً حربياً.

وورثت روسيا مجمعاً هائلاً لإنتاج الأسلحة النووية ومخزونات كبيرة من المواد الانشطارية المستخدمة في صنع الأسلحة، وتقدر مبادرة الخطر النووي أن روسيا لديها حالياً نحو ٧٧٠ طناً متريا من اليورانيوم العالي التخصيب المستخدم في صنع الأسلحة، ونحو ١٢٨ طناً متريا من البلوتونيوم الذي له استخدامات عسكرية.

فرنسا: فجرت فرنسا أولى قنابلها النووية في فبراير١٩٦٠م، ونفذت آخر تجاربها النووية في يناير ١٩٩٦م، وهي تجارب أجريت في مواقع بمنطقة الصحراء الكبرى الجزائرية، وفي جزر مرجانية بالمحيط الهادئ.

بريطانيا: يتكون المخزون النووي البريطاني الحالي من أقل من ١٨٠ رأساً إستراتيجياً يمكن نشرها على متن أربع غواصات تعمل بالطاقة النووية ومزودة بصواريخ باليستية من طراز فانجارد.

الصين: بدأ البرنامج النووي الصيني عام ١٩٥٥م، ومنذ ذلك الحين أجرت بكين ٤٥ تجربة نووية، بما في ذلك تجارب على الأسلحة النووية الحرارية وقنبلة نيوترونية.

وتتكتم الصين على المعلومات الخاصة بترسانتها النووية، لكن وزارة الدفاع الأميركية تقول إن الصين لديها ما بين ١٣٠ و١٩٥ صاروخاً باليستياً له قدرات نووية.

ثانياً: دول أخرى معروف امتلاكها لأسلحة نووية:

كوريا الشمالية: وعدت كوريا الشمالية بالتخلي عن برنامجها النووي عام ٢٠٠٥م، لكنها تراجعت لاحقاً عن الاتفاق وأجرت تجارب نووية في أكتوبر ٢٠٠٦م، ومايو ٢٠٠٩م.

وقد بدأت المحادثات السداسية بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية واليابان والصين وروسيا والولايات المتحدة عام ٢٠٠٣م لنزع السلاح النووي من شبه الجزيرة الكورية، وجرى تعليق المحادثات في أبريل ٢٠٠٩م بعد أن أطلقت بيونغ يانغ صاروخاً باليستياً.

الهند: عكفت الهند على برنامج نووي عام ١٩٦٨م وبلغ أوجه في مايو ١٩٧٤م عندما قامت بتفجير "نووي سلمي"، وبعد خمس تجارب نووية في مايو ١٩٩٨م، أعلنت الهند رسمياً نفسها دولة تملك سلاحاً نووياً.

وحتى ٢٠١٠م، كانت الهند قد أنتجت ما بين ٦٠ و٨٠ سلاحاً نووياً، منها أكثر من ٥٠ سلاحاً يعمل، وذكرت تقديرات في ٢٠١٠م أن مخزون الهند من اليورانيوم العالي التخصيب ما بين ٠,٢ و٠,٥ طن، ومخزونها من البلوتونيوم بدرجة نقاء تستخدم في صنع الأسلحة ما بين ٠,٣ و٠,٧ طن.

باكستان: في منتصف السبعينيات من القرن الماضي سلكت باكستان مسار تخصيب اليورانيوم حتى تكون لها مقدرة على إنتاج أسلحة نووية بموجب توجيهات من العالم النووي عبد القدير خان، وبحلول منتصف الثمانينيات كانت لدى باكستان منشأة سرية لتخصيب اليورانيوم، وأجرت باكستان تجارب نووية في مايو ١٩٩٨م، وأعلنت عقب الهند أنها دولة تملك سلاحاً نووياً.

وتظهر تقديرات من اللجنة الدولية للمواد الانشطارية في ٢٠١١م أن باكستان أصبح لها مخزون من نحو ٢,٧٥ طن من اليورانيوم العالي التخصيب، وقدرت المخابرات الأميركية في ٢٠١١م أن عدد الأسلحة المنتشرة ما بين ٩٠ و١١٠.

ثالثاً: دول أخرى لها أنشطة نووية غير معلنة:

إسرائيل: معروف أن إسرائيل تملك ترسانة نووية لا بأس بها، لكنها لا تؤكد ولا تنفي هذا بموجب سياسة "الغموض الإستراتيجي" لردع أعدائها في منطقة الشرق الأوسط.

وإسرائيل -شأنها شأن الهند وباكستان وكوريا الشمالية- ليست موقعة على معاهدة حظر الانتشار النووي، لكنها على خلاف الدول الأخرى لم تعلن قط تنفيذ تجارب نووية.

ولدى إسرائيل مفاعلان نوويان هما: ديمونة في صحراء النقب، ويفترض أنها أنتجت فيه ترسانتها النووية، ومفاعل أبحاث يخضع لتفتيش الوكالة الدولية للطاقة الذرية قرب تل أبيب.

واستناداً إلى تقديرات للقدرة على إنتاج البلوتونيوم في ديمونة، يعتقد أن إسرائيل أنتجت -حتى الثمانينيات فقط- ما يكفي من المواد الانشطارية لما بين ١٠٠ و٣٠٠ رأس نووي.

إيران: إيران طرف موقع على معاهدة حظر الانتشار النووي منذ عام ١٩٧٠م، ولم يعلن عنها باعتبارها دولة تملك سلاحاً نووياً، ولديها برنامج لتخصيب اليورانيوم تقول إن الغرض منه هو إنتاج الطاقة السلمية.

وتخضع إيران لعقوبات من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لتعليق تخصيب اليورانيوم، وكشف تقرير من الوكالة الدولية للطاقة الذرية عام ٢٠١١م معلومات تشير إلى أنشطة أبحاث في إيران حول الحصول على التكنولوجيا اللازمة لجمع أسلحة نووية.

[بتصرف من: رويترز - الجزيرة- bbc - cnn]

أعلنت منظمة إسرائيلية تعنى بالدفاع عن حقوق الإنسان أن عدد المدنيين الفلسطينيين الذين قتلوا برصاص الجيش الإسرائيلي شهد زيادة كبيرة عام ٢٠١١م، ففي العام الماضي، قتلت قوات الأمن الإسرائيلية ١١٥ فلسطينياً، وكان معظمهم (١٠٥) من قطاع غزة بينهم ٣٧ مدنياً؛ طبقاً لما جاء في التقرير السنوي لمنظمة بتسالیم.

وفي عام ٢٠١٠م، قتل ثمانون فلسطينياً بينهم ٦٨ من قطاع غزة، وفق المنظمة التي تحدثت عن مقتل ١٨ مدنياً من القطاع.

[الجزيرة عن الفرنسية ٢٠١٢/٣/٢١م]

قال مدير الوكالة اليهودية المعنية بهجرة اليهود إلى إسرائيل، ناتان شارانسكي؛ إن الوكالة تواجه تحدياً كبيراً في استمالة اليهود للهجرة إلى إسرائيل، في وقت يعيش فيه أغلب اليهود في المجتمعات الحرة.

وأشارت صحيفة واشنطن تايمز إلى أن ملايين اليهود فروا من أوروبا والعالم العربي بعد إعلان قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م، وقالت إن نحو مليون يهودي هاجروا إلى إسرائيل خلال تسعينيات القرن الماضي.

غير أن تلك الأرقام تراجعت إلى ٧٠٪ خلال العقد التالي، وذلك بسبب تضاؤل عدد اليهود الذين يعيشون في المجتمعات المهددة، حيث هاجر العام الماضي إلى إسرائيل ١٧٥٠٠، وهو ما يعدُّ الأقل عدداً في تاريخ البلاد.

[واشنطن تايمز٢٠١٢/٣/٩م]

نقلت صحيفة واشنطن الأمريكية؛ عن معهد الدراسات الدولية في تقرير لها، أن ٧٢ ٪ من أسلحة الجيش النظامي السوري يتم استيرادها من روسيا، على الرغم من حظر الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية تجارة الأسلحة أو تزويد النظام السوري لاستخدامها ضد شعبه.

وبهذا فإن مستوردات سورية من الأسلحة الروسية في الأعوام الخمس ٢٠٠٧م -٢٠١١م ترتفع بمعدلات تتجاوز ست أضعاف مستورداتها في الأعوام الخمس السابقة.

[صحيفة واشنطن بوست الأمريكية ٢٠١٢/٣/١٩م]

أظهر استطلاع للرأي أجرته شبكة «أيه بي سي نيوز» وصحيفة «واشنطن بوست» أنَّ ٦٠٪ من الأمريكيين يرون أنَّ الحرب في أفغانستان لا تستحق الخسائر التي تتسبّب بها فيما تؤيد نسبة مماثلة تقريباً انسحاباً مبكراً للقوات الأمريكية من هذا البلد.

ووفقاً للاستطلاع فإنَّ عدد المشككين في جدوى الحرب هو عملياً ضعف بنسبة الـ٣٥٪ من الذين يعدون أنَّ المجهود العسكري المبذول منذ عشر سنوات يبرر النفقات والخسائر البشرية.

وأيَّد ٥٤٪ انسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان، حتى لو لم يكن الجيش الأفغاني مهيئاً بعدُ لتولِّي المسؤوليات الأمنية. ويؤيد هذا الموقف ٦٠٪ من الديمقراطيين والمستقلين و٤٠٪ من الجمهوريين، فيما يرَى ٣٠٪ من الأمريكيين أنَّ معظم الأفغان يؤيدون الإستراتيجية الأمريكية الحالية في بلادهم.

[تليفزيون فرنسا٢٤، ٢٠١٢/٣/١٢م]

تشير الإحصائيات إلى أن الشرق الأوسط يحتوي على ٤١٪ من احتياطيات الغاز المتوقعة وتبلغ ٢٥٨٥ تريليون قدم مكعب.. في حين يقدر حجم احتياطي الغاز الطبيعي المؤكد في العالم بنحو ١٨٧,١ تريليون متر مكعب.

كما يشير تقرير لهيئة المسح الجيولوجي الأمريكية إلى أن منطقة الحوض الشرقي للمتوسط -والممتدة من حدود غزة جنوباً إلى سواحل تركيا شمالاً- تحتوي على ٢٣٣ تريليون قدم مكعب من الغاز في الحقول المنتشرة على سواحل إسرائيل ولبنان وغزة وشمال مصر وجنوب تركيا وحول جزيرة قبرص.

وعلى صعيد الإنتاج، فيبلغ حجم الإنتاج العالمي من الغاز الطبيعي ٣,١٩ تريليون متر مكعب عام ٢٠١٠م، مسجلاً زيادة قدرها ٧,٣٪ من مستويات عام ٢٠٠٩م، وتزايد الإنتاج بنسبة ٤٤٪ خلال الفترة بين ١٩٩٠م - ٢٠١٠م، ويغطي الغاز في الوقت الراهن ٢٣٪ من استهلاك العالم من الطاقة.

[مواقع ٢٠١٢/٣م]

الأقلية الإسلامية في هندوراس

د. أحمد محمود السيد
mr.ah54@hotmail.com

الموقع:

هندوراس إحدى دول أمريكا الوسطى، يحدها من الشمال البحر الكاريبي، ومن الغرب جواتيمالا والسلفادور، وجبهة ضيقة على المحيط الهادي، وجنوباً جمهورية نيكاراجوا احتلتها إسبانيا سنة ١٥٠٢م ومكث الاحتلال الإسباني فيها حتى سنة ١٨٣٨م ثم حصلت على استقلالها، وعاصمة البلاد «تيجوسي جاليا» أهم مدنها سان بدرو مدنها «البروجرسو».

السكان:

عدد السكان ٨ مليون نسمة أغلبهم من عناصر المستيزو» وهم خليط من البيض والهنود وإلى جانبهم عناصر زنجية أفريقية جاء بهم المستعمر الإسباني كرقيق للعمل في زراعة الموز. ولغة البلد هي الإسبانية، والزراعة الحرفة الأساسية للسكان البلاد،، وتشتهر هندوراس بزراعة البن، وإنتاج المعادن الثمينة، وهذا كان سبب استعمار إسبانيا لها لتعدين الذهب والفضة،

التركيبة السكانية:

المستيزو (٩٠ ٪) - الهنود الحمر (٧ ٪) - الزنوج (٢٪) - البيض (١ ٪).

الأديان:

رومان كاثوليك (٩٧ ٪) - بروتستانت (٥ و ٢ ٪) - مسلمون وأديان اخرى (٥ و٠٪).

تاريخ الإسلام والمسلمين:

قام الرجل الأبيض الغربي بأضخم جريمة إبادة جماعية تحلل منها الضمير العالمي، وسكت عنها المؤرخ الأوروبي، ومسحها تماماً من ذاكرة التاريخ، وكأنها لم تقع؛ حتى إنه لايوجد مرجع غربي حاول أن يفسر لغز اختفاء «البحارة العرب المسلمين» الذين أجبرتهم محاكم التفتيش بالرحيل مع «كولومبس» الذي تخلص منهم بقتلهم وإبادتهم إبادة جماعية وهم في طريقهم نحو هندوراس وهايتي وكوبا، وقدم البعض منهم طعاماً لكلاب الحراسة التي اصطحبها معه من إسبانيا؛ ولكيلا يتسنى للمورسكيين العائدين أن يخبروا إخوتهم في إسبانيا عن العالم الجديد، ويكونوا دليلاً لهم للهروب من محاكم التفتيش.

توجد بهندوراس حالياً أقلية مسلمة معاصرة.. استطاعت ان تنشر الإسلام بين سكان هندوراس.. حتى بلغ عدد المسلمين أكثر من ثلاثة آلاف نسمة.. وهذا العدد على الرغم من قلته الواضحة إلاّ أنه يُعدُّ انجازاً إيجابياً حيث كانت أعداد المسلمين هناك منذ عشر سنوات لا تزيد عن مئة مسلم فقط من الذين هاجروا إليها من الدول العربية.

واقع المسلمين ومشكلاتهم:

بدأ تنظيم المجتمع الإسلامي في هندوراس منذ عدة سنوات.. بإنشاء جمعية هندوراس الإسلامية التى أعدت مشروعاً لإنشاء أول مركز إسلامي في العاصمة «تجيو سجاليا» يضم مسجداً جامعاً ومدرسة إسلامية وقاعات للندوات والمحاضرات ومكتبة إسلامية.. كما أسست الجمعية صندوقاً للوقف الإسلامي؛ للإنفاق من عائده على المشروعات الإسلامية وفي مقدمتها مشروع إنشاء المركز الإسلامي في العاصمة.. وقد أشارت بعض التقارير الإسلامية.. أن المسلمين في هندوراس يحتاجون إلى دعم مالى لإنشاء مؤسساتهم الإسلامية.

ويوجد في هندوراس ثلاثة نوادي إسلامية مؤجرة حتى تتمكن الأقلية المسلمة من أداء شعائر دينها بصورة جماعية.. وتوجد هذه النوادي في العاصمة وبعض المدن الأخرى.. وقد بدأت الجمعية الإسلامية في هندوراس إجراء اتصالات مع المؤسسات الإسلامية في جواتيمالا والسلفادور ونيكاراجوا.. لتنسيق العمل الإسلامي في هذه المنطقة من العالم.. وإنشاء أول مجلس إسلامي أعلى في أمريكا الوسطى.

ومن أهم الإنجازات التى حققها المسلمون في هندوراس.. حصولهم على موافقة السلطات بمنح المسلمين كل يوم جمعة اجازة من أعمالهم لتأدية صلاة الجمعة.. وإنشاء مدرسة إسلامية لتحفيظ القرآن الكريم، ويقوم بالتدريس في هذه المدرسة والتي توجد بالعاصمة بعض المتطوعين من أبناء الأقلية المسلمة في هندوراس.

وتقوم جمعية هندوراس الإسلامية بدور مهم في التعريف بالإسلام ونشر هدايات الدين الإسلامي الحنيف.. والعمل على جذب الأفارقة لاعتناق الإسلام باعتبار أن أجدادهم من المسلمين الذين أجبروا على التخلى عن عقيدتهم.. كما تسعى الجمعية إلى نشر الوثائق الإسلامية التى عثر عليها هناك مؤخراً وترجمتها إلى اللغتين الأسبانية والإنجليزية.

إن المسلمين في هندوراس متعطشون للنهل من المعارف الإسلامية الصحيحة.. وفي حاجة إلى الدعم من المؤسسات الإسلامية العالمية حتى يتمكنوا من إبراز هويتهم العقائدية وإقامة المساجد والمدارس الإسلامية.

المراجع والمصادر:

- موقع هدي الإسلام.
- Fact book.
- موقع الإسلام في كل مكان.

بقايا امرأة تعيش هناك

مؤمنة معالي(*)
M2menah@hotmail.com

تَجْلِسُ في مخدعها المتهالك، تنظر إلى زواياه بعين الحسرة، بعد أن قُلِبَ بفعل فاعل رأساً على عقب، وسؤال خاطف راودها لبضع أجزاءٍ من الثانية؛ وهي تتلمس قطعة قماش ملقاة إلى جوار السرير، كانت فيما مضى قميصاً، قبل أن تُمزق، ألهذه الدرجة من الغباء هم؟ أيظنون أنهم يحرقون أجمل نبض لأرواحنا بتمزيقهم لما تبقى لنا من آثارها؟!

تُشيح عينها الدامعة وتحاول ألّا تستنشق ما علق بالقميص من ذكرى رائحة، تتأمل رمشي طفل ممدد إلى جانبها، يحتضن علاقة مفاتيح، حالماً أن يحظى صباح الغد بالخروج مع والده ويأمل قياده للسيارة، وأن يعود ببعض الحلوى، بين الفينة والأخرى ينشج الطفل، لقد بكى كثيراً.. ولا زالت عليه آثار الضرب ظاهرة.. كان يوماً قاسياً بحق طفولته.

لنسمات النوم قانونها الخاص، يجفو فيه عيون المقهور والفَرِح على حدٍّ سواء، على الرغم من حاجة الاثنين إليه، تطول الساعات وتمتد حتى يُخيل لروحٍ جافاها النوم أنها قد أمضت عاماً أو يزيد في انتظار شعاعات نهار علّها تحمل الفرج، وهي في الحقيقة لم تقضِ من الليل إلا ساعة واحدة، أصوات رصاص، بكاء، وقرقعة أمعاء اشتاقت لرغيف خبز يابس حاف، لتسد صياح معدة خاوية، خوفٌ وانتظار لغيبة قد تطول، وقد تنتهي بعدم الوصول.

ما زالت تتأمل طفلها الممدد، تخاطب براءته، تتلمس ثغراً مُزهراً لا يُتقن سوى نداء أبيه وأمه، وطلب الحليب الذي ما عاد يجيب إليه نداءً.. ما الذي تريده الأيام منا يا ولدي؟ أو دعني أقول: ما الذي يريده منا من حرقوا زهرة أيامنا وتركوها خاوية على عروشها، وسرقوا منا سعادة لحظات وتركوا لنا مرارة ذكريات!

هل يا تُرى ستتذكر ما سجلته عيناك اليوم من إجرام بحق طفولتك عندما تكبر؟ لا أتمنى ذلك..

أصبح صوت رصاص القناص موسيقى في حينا، وسقوط الشهداء والجرحى أمر طبيعي جداً، والاختطاف نزهة الشباب القسرية هنا، يذهبون ومن الطبيعي جداً ألّا يعودوا مرة أخرى، رائحة الموت، قدحة بارود، جرح متعفن، هذه الروائح السائدة هنا.

بدون سابق إنذار، فُتح الباب.. لقد عادوا.. لم يكتفوا بما أخذوه.. لماذا كل هذا العتاد الذي تدجج به هؤلاء؟ لعل طفلي يحمل خنجراً أو بقايا رصاصة قد يكون وجدها وهو يلعب في نواحي الدار..

عشرات الأقدام تقترب منها، استيقظ الطفل فزعاً على صرخات لا يفهم منها سوى الشتائم، يكفي ما فعلتموه بنا قبل قليل، ماذا تريدون منا؛ أين أخذتم زوجي؟ قبضة غليظة مزقت بعض خصل شعرها.. جرَّتها نحو المدخل أو قل نحو المجهول، نداء الأمومة دوى في المكان وهي تتوسل لهم أن يسمحوا لها بتأمين طفلها.. صرخات الطفل تمتزج بالرجاء، كأنهم يعيشون في صحراء قاحلة، هُنا يفر المرء من أخيه، والجار من جاره، ولا يجرؤ أحد على أن ينظر من طرف ستارة النافذة ليرى سبب مصدر هذه الاستغاثات، أو قد يكون سببها قد أصبح بدهياً جداً.. يبدو أن صوت الطفل أزعج أحدهم، رفع إصبع كفه وثناه..

ليأتي الآخر مسرعاً.. يبحث حوله.. يجرُّ بقايا القميص، يكمم بها فاه الطفل المفجوع، يشد العقد كما يشد وثاق المعتقلين، ليقف بعدها إلى جوار مصدر الصوت الذي بات يخفت شيئاً فشيئاً ليشرب سيجاره، على وقع صوت أم ثكلى ترجوه أن يمنح طفلها الحياة، يبتسم.. وكأنه يتابع مشهداً كوميدياً.. هيا بنا.. يذهبون بها نحو ظلمة المجهول.. أين زوجي؟ هل مات طفلي؟ إلى أين يذهبون بي.. ما تعرفه فقط هي أنها تعيش في.. حي (بابا عمرو).

(*) كاتبة صحفية.

الجيش الصهيوني يُعدُّ العدة لمواجهة قادمة في قطاع غزة

د. عدنان أبو عامر(*)
adnanaa74@hotmail.com

زعمت أوساط عسكرية صهيونية أنه على الرغم من إعلان حركة حماس العلني عن التزامها بالمحافظة على الهدوء إزاء «إسرائيل»، إلا أنها تواصل تفعيل عملياتها بقنوات مختلفة، وأنها تفضّل العمل حالياً بصورة منخفضة، لعدم إغضاب مصر، كما أن جولة المواجهة الأخيرة مع الجهاد الإسلامي، تزيد من فرصة انضمام حماس في المرة التالية لإطلاق الصواريخ.

ولئن تجنّبت حماس التدخّل المباشر خلال دورات النزاع الأخيرة، لكنها عملت بأساليب متنوّعة دون ترك بصمات أصابع واضحة، من خلال مواصلة المبادرة لتنفيذ عمليات، وتورط عناصرها في الفترة الأخيرة بإطلاق صواريخ مضادة للدبابات وقذائف هاون على قوات الجيش والمستوطنات المتواجدة على حدود القطاع، فيما تدير كتائب القسام عدة فصائل صغيرة جداً، تحصل منها على أموال وتوجيهات للعمليات.

وهو ما يعني أن حماس لم تتخل عن طريق العمليات المسلحة ضد «إسرائيل»، لكنها تدرك أن هذه اللغة لم تعد مقبولة حالياً في الساحة الدولية، ولا تنسجم مع روح العصر، وهي لا ترغب بمنح «إسرائيل» سبباً لدخول القطاع مرة أخرى، ومع ذلك فإن المواجهة الأخيرة تقيّد حرية مناورتها، وتجبرها على العمل في الجولة القادمة، إذا اندلعت.

ومن المفترض أن تطلق حماس مجموعة ثقيلة جداً من الصواريخ في المرة القادمة لإثبات قدراتها، على الرغم من أنها تدرك جيداً أن قرار إطلاق صواريخ «فجر» على تل أبيب قد يكلّفها اقتحاماً عسكرياً جديداً للقطاع.

(*) كاتب فلسطيني.

العمليات المسلحة

لكن محافل أمنية واستخبارية حمَّلت الحكومة الحالية عدم القدرة على معالجة التوتر الأمني في مناطق الجنوب، وما أسمته القرار البائس بالامتناع عن إسقاط سلطة حماس، على الرغم من أن الظروف على الصعيد الدولي مثالية، لكن ما أسفر عن ذلك هو الإثقال على عملية عسكرية موجهة إلى مملكة العنف في غزة؛ لأنها قد تفضي لتورط مسلح مع مصر، وتصرف الانتباه عما يجري في سورية، ومكافحة إيران، مما سيضطر «اسرائيل» في الظروف الراهنة لاستيعاب عمليات مسلحة، ويكون ردها معتدلاً، دون أن يحقق ردعاً عن استمرار العمليات.

وهو ما قد يشير إلى أن الثنائي «نتنياهو وباراك» قد سلما بهذا الوضع، وعلى الأكثر يرد سلاح الجو بين الفينة والأخرى بقصف لا معنى له، ولا يؤثر في أحد لهدف ذي أهمية ثانوية، مؤكدة ان «إسرائيل» لم تخرج من الجولة الأخيرة، ويدها العليا؛ لأنها بدأت بعملية اغتيال مركز نفذتها لمنع عملية تفجيرية مخطط لها، وهذه المرة كان نظام القبة الحديدية مستعداً للرد على من أطلقوا مئات القذائف الصاروخية، لكنها أثبتت محدوديتها، وعجز «اسرائيل» المتواصل.

وإذا استطاعت القبة الحديدية ان تمنح الجبهة الداخلية حماية خلال عملية عسكرية يجب ان تكون قصيرة لإسقاط نظام حماس في غزة، وهي عملية يجعلها الوضع الدولي الحالي إشكالية جداً؛ لكنها لا تستطيع ان تمنع حرب استنزاف، أو تشويش مطلق على الحياة في المنطقة المعرضة للقصف، كما لا تستطيع القبة الحديدية وقف طوفان الصواريخ، ولا يجدر أن نخمن ما الذي سينفد قبل: مجموع الصواريخ الرخيصة التي يملكها المسلحون في غزة، أم الصواريخ الباهظة الثمن جداً المخصصة لاعتراضها؟

كما أن الخسائر التي أصابت المسلحين في الجولة الأخيرة لم تردعهم، ويمكن ان يكونوا مستعدين بحسب حساباتهم لدفع هذا الثمن بإصابة الحياة في مناطق واسعة من الدولة بالشلل، وقد برهنوا أنه على الرغم من القبة الحديدية سيكون من الواجب عليها أن تدفع ثمناً باهظاً عن كل عملية اغتيال مركز، مما جعل «إسرائيل» تبدو في حالة «انكماش» وفي نقطة حرجة.

وعلى الرغم من أنها أعلنت غير مرة أنه يجب على حماس، أن تضمن الهدوء، فإذا لم تفعل، ستصاب هي وسلطتها، لكنها لا تزال تتحدث بهذه اللغة، وتخلت عن موقفها بالفعل، فيما حماس التي تتمكن من إطلاق الصواريخ على إسرائيل فضلاً عن أنها لا تصاب، أخذت تصبح بالتدريج الجهة المعتدلة.

المواجهة البرية

في ذات الوقت، زعمت مصادر مطلعة في قيادة الجيش أن حماس تحاول جر الجيش للدخول إلى قطاع غزة، لأنها تعلم أنه لا يملك أي قدرات عسكرية تميزه عن مقاتليها في القتال البري، زاعمة أن تكتيكات الحركة في الفترة الحالية هي إطلاق الصواريخ، لمحاولة جر الجيش لدخول غزة، بحيث تكبدنا خسائر غالية جداً على الأرض، لأنه عندما يقتحم جندي يحمل سلاحاً من نوع «إم١٦» مبنى ما، ويجد أمامه أحد المسلحين يحمل سلاحاً من نوع «كلاشينكوف»، فهما بالتأكيد متساويان في قدراتهما، وبالتالي فإن الميزة المتوفرة لجنود الجيش في الأجواء غير متوفرة على الأرض.

كما أن حماس تريد جرنا إلى الميدان، لأن الجيش لا يملك أي ميزة تميزه على الأرض، مما سيوقع عدد كبيراً من القتلى في صفوف الجنود، وسيتساءل حينها الجمهور عن سبب القتلى الكبير في صفوفنا، وبالتالي سيكونون قد نجحوا في خلق عنصر توازن في الرعب.

لكن المحلل السياسي البارز «عوفر شيلح» يزعم أن الحرب ضد المنظمات الفلسطينية شكلت نجاحاً عسكرياً، «اذا ما تعاطينا معها بالتوازن السليم»، وتدل على قدرة الجيش على التغير والتنظيم والتعلم، وتصديه لما قال إنها مسائل تكنوقراطية تكتيكية للعملية العسكرية في المناطق المدنية المكتظة لمخيمات اللاجئين، ووحداته الميدانية تجيد عملها بشكل عام على الفور، وابتكار أساليب كاقتحام الحيطان من بيت الى بيت، مما أتاح عبوراً آمناً نسبياً ضد نار القناصة والعمليات الانتحارية، أو استخدام فريق المفاوضات لدى هيئة الأركان المخصص بالأصل للمساومة على الرهائن، لتفكيك أوضاع تمترس دون حاجة لنار كثيفة.

وليس بالضرورة أن تقضي أي عملية عسكرية على العمليات المسلحة الفلسطينية دفعة واحدة، لكن بالضرورة هناك ميل هبوط واضح، والسيطرة على الأرض عادت لأيدي الجيش، وهذه ملاحظة عن جودة أدائه، ونجاح إلى حملات موضعية منهاجية مع منطق بعيد المدى.

وبالتالي فإن تحولاً جرى على طبيعة الأعمال المسلحة الفلسطينية، فبدلاً من الانتحاريين الذين شكلوا أساساً للعمليات انطلاقاً من الضفة الغربية، أصبحت اليوم موجات إطلاق الصواريخ من قطاع غزة باتجاه جنوب «إسرائيل»، وفي مواجهتها، يبدو أنه لا مناص من تنفيذ عملية عسكرية واسعة على غرار عملية «السور الواقي»، لأن العمليات التي جرى تنفيذها مثل «الرصاص المصبوب» لم تستطيع القضاء على قواعد المنظمات في غزة.

ولذلك تجري الاستعدادات والتدريبات العسكرية لتنفيذ هذه العملية حال تم إقرارها، زاعمة قدرة الجيش على تنفيذ هذه العملية الواسعة، حتى لو كان العديد من الجنود بعيدين عن المواجهات المباشرة مع المسلحين.

"المقدس والمدنس"
بين الإسلام والنصرانية

د. غازي التوبة(*)

ظنَّ كثير من الدارسين أن الإسلام أسسَ لمفاهيم جديدة في مجال الألوهية والربوبية فقط، لكن الحقيقة أن الإسلام خالف الديانات السابقة في مفاهيم أخرى كثيرة ومنها: الطهارة والنجاسة، والنظرة إلى الشهوات، والنظرة إلى الجسد إلخ...، وسأتحدث -الآن- وألقي الضوء على "المقدس والمدنس" عند الإسلام والنصرانية.

تحتل ثنائية "المقدس والمدنس" مساحة كبيرة عند النصرانية، وتقوم عليها معظم تعليماتها، ويمكن أن نبرز منها الأفكار التالية:

الأولى: أن الإنسان يولد ومعه الخطيئة، التي ورثها من أبيه آدم عليه السلام، عندما عصى ربه وأكل من الشجرة التي نهاه عنها، وعليه أن يكفر عن هذه الخطيئة، وقد جاء التكفير بأن عرّض الله ابنه وهو المسيح عليه السلام للصلب والقتل، من أجل أن يحرر بني آدم من وزر هذه الخطيئة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

الثانية: أن الدنيا دنس، وأن كل ما فيها من أموال وقصور ومقتنيات دنس، وأن الآخرة هي المقدس، وهي القيمة الوحيدة التي يجب أن يوجه العبد قلبه وهمته إليها، ليصبح في ملكوت الله.

(*)باحث وصحفي.

الثالثة: أن الشـــهوات دنس بـــكل أنواعها من نســـاء وزواج وطعـــام وشـــراب دنس إلـــخ...، وقد اعتبرت النصرانية أن المـــرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور. وبحســـبها أنها امرأة كانت للرجل باباً من أبواب جهنم، وقد قال ترتوليان أحد أقطاب النصرانية الأول مبينـــاً نظرية النصرانية في المرأة: "إنهـــا مدخل الشـــيطان إلى نفس الإنســـان، وإنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الملعونة ناقضة لقانون الله، ومشوهة لصورة الله أي: الرجل"، وقال [خريسوستوم فـــم الذهب] الذي يعد من كبار أولياء النصرانية في شأن المرأة: "هي شر لابد منه".

واعتبـــرت النصرانية أن العلاقة الجنســـية بين الرجل والمرأة نجساً في نفسها، يجب أن تُتجنب، ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رســـمي مشروع، ولذلك أصبحت حياة العزوبة مقياســـاً لسمو الأخلاق وعلو شأنها كما صارت الحياة العائلية علماً على انحطاط الأخـــلاق ومهانة الطبـــاع. وجعلوا يعـــدون العزوبة وتجنب الـــزواج من أمارات التقـــوى والورع ومكارم الأخـــلاق، وأصبـــح من المحتوم لمن يريـــد أن يعيش عيشة نزيهة ألا يتزوج أصلاً.

الرابعـــة: اعتبرت النصرانية الجسد دنساً وهو الذي يسجن الروح، لذلك يجب تعذيبه وقتله من أجل أن تنطلق الروح.

وجهت النصرانية -بناء على الأفكار الســـابقة- أتباعها نحو عدة تصرفات:

أولها: الدعوة إلى الرهبانية، فاعتبرتها الوسيلة الأساسية للتخلص من أدران الدنيا والشهوات، لذلك انتشـــرت أديرة الرهبان في أوروبا بشكل واسع في العصور الوسطى.

وثانيها: تعذيب الجســـد من أجل إطلاق الروح وتخليصهـــا من محاصرة الجســـد، ويكون التعذيب بطرق متعددة، منها: الجوع، عدم النوم، حمل الأثقال، عدم الاغتسال، اعتزال الناس لفترة طويلة إلخ...

مـــن الجلي أن الإنســـان الأوروبي كانت تلاحقه مفاهيـــم الخطيئة فـــي العصور الوســـطى، وكانت

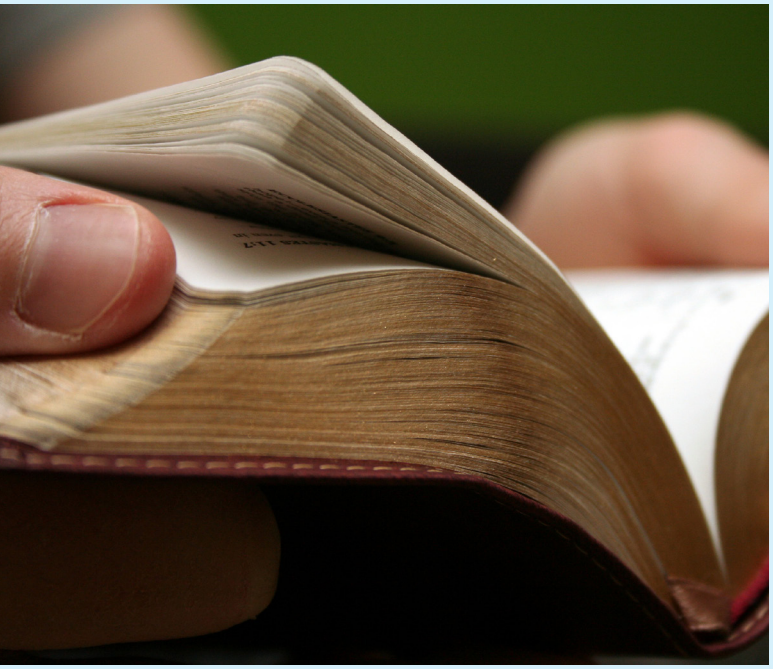

تحكمـــه ثنائية "المقدس والمدنّـــس"، وكان المجتمع ينظر إلى أن الدنيا والمرأة والجســـد والجنس والشهوات كلها مدنس، وكان ينظر إلى الآخرة والروح وحياة الرهبنة وقتل الجســـد هـــي المقدس، فماذا كانت نتيجة ذلك الموقف المنافي للفطرة فـــي التعامل مع كل تلك الأمور؟ كانـــت النتيجة قيام الثورة على تلك القيـــم والمفاهيم المخالفة للفطرة عن طريق الثورة الفرنسية، ولم يتوقف الموقف عند الثورة عليها، بل تعداه إلى التجرؤ على الدين وطرده مـــن حياة الناس ومحاصرته في الأديرة، واعتبـــاره معادياً للعقل، ومرادفاً للخرافة والأوهام. والســـؤال الأهم: هل عادت المجتمعات الأوروبية إلى الفطرة في ثورتها؟ لا للأسف بل إنها انتقلت من الانحراف السابق القائـــم على ثنائية "المقدس والمدنس" إلى انحراف آخر: هو "تدنيس المقدس، وتقديس المدنـــس"، أما "تدنيس المقدس" فيعني ترذيل وتسفيه وتســـفيل كل ما يتعلق بالمقدسات من مثل الله والآخرة والروح والقيم الدينية إلخ...، أما "تقديس المدنس" فيعني إعلاء وتعظيم وتزيين كل ما يتعلق بالمدنسات: من مثل الدنيا والجســـد والمرأة والشهوات إلخ... وسأوضح ذلك في المنظومتين الأيديولوجيتين اللتين ســـادتا في القرن العشـــرين وهما: الشيوعية والرأســـمالية، وفي أكبر كتلتين سياسيتين هما: الاتحاد السوفياتي والعالم الحر.

١ الاتحاد السوفييتي والشيوعية:

لقد جسد الاتحاد السوفييتي الشيوعي ثنائية الأزمة التي انتهت إليها أوروبا وهو "تدنيس المقدس وتقديس المدنس" خير تجسيد ، فأصبح الإلحاد هو الأصل الذي يقوم عليه، وأصبح يعلن أن الدين خرافة وأوهام، وأنه أفيون الشعوب، وأنه ليس هناك عالم غيب، وأن الملائكة والشياطين والجنة والنار أوهام من اختراع الأغنياء لاستغلال الفقراء... إلخ. ومن الجدير بالذكر أن المجتمعات البشرية لم تعرف مجتمعاً قام على الإلحاد، صحيح أنها عرفت بعض الملحدين، لكنها لم تعرف مجتمعاً خالياً من الإقرار بوجود إله، بغض النظر عمن هو الإله، فقد يكون كوكباً أو شجرة أو شخصاً أو جبلاً... إلخ. ولم تعرف مجتمعاً خالياً من دور العبادة، وربما كان المجتمع الأول الذي قام على الإلحاد في التاريخ هو المجتمع الشيوعي في الاتحاد السوفياتي، وهذا تعبير صارخ عن الشق الأول من الثنائية وهو "تدنيس المقدس" أن يصل مجتمع إلى هذا الوضع من الإلحاد والتنكر لركن أساسي وكبير من أسس الفطرة وهو ركن (التعبد).

أما في مجال "تقديس المدنس" وهي الدنيا والمرأة والشهوات إلخ...، فإن الشيوعية قد اعتبرت أن الحياة مادة وليس وراء المادة شيء، واعتبرت على لسان «إنجلز» أن ستر العورة طريقة صريحة لامتلاك النساء، واعتبرت كذلك أن ولادة الحجاب جاءت مترافقة مع ولادة الملكية الفردية، لذلك سينتهي الحجاب عند انتهاء الملكية الفردية، وستعود العلاقات الجنسية مشاعة كما كانت في المجتمع القديم: كل النساء لكل الرجال.

٢ العالم الحر والرأسمالية:

فإنه يقوم على نفس الأسس المادية التي يقوم عليها المعسكر الشيوعي في مجال "تدنيس المقدس"، فهو يتنكر للغيوب من: إله وملائكة وآخرة وروح إلخ...، ويستهزئ بها، ويردّل الإيمان بها، ويسفّل كل القيم المتعلقة بها ويعدّها خرافة وأوهاماً وشعوذة إلخ.. أما في مجال (تقديس المدنس) فإن هذا المعسكر يعلي ويعظّم بل ويؤلّه كل مفردات المدنس من: الدنيا والجسد والمرأة والشهوة إلخ...، ومما يؤكد ذلك حجم الإنفاق على الجنس في الإنترنت، والصورة التي تستغل بها المرأة في الدعاية والإعلان، وحجم العري الذي يسود المجتمع الغربي، والتشريع للشذوذ الجنسي بشقيه: اللواط والسحاق، وقبوله حتى في الكنائس.

من الواضح أن الغرب كان يعيش في القرون الوسطى على ثنائية "المقدس والمدنس"، وكانت مفردات المدنس واسعة وتشمل الدنيا والجسد والزواج والمرأة والشهوات إلخ.. لذلك انفجرت أوروبا وثارت لأن هذه الثنائية تردّل وتدنّس وتسفّل كثيراً من الأمور الفطرية التي لابد للإنسان أن يعطيها حقها، ولكن أوروبا -عندما ثارت- لم تحل تلك الأزمة بشكل سوي، ولم تأخذ الفطرة وضعها الصحيح، بل إنها انتقلت من أزمة إلى أخرى، وانتقلت من ثنائية خاطئة إلى أخرى أكثر خطأ، وانتقلت من ثنائية "المقدس والمدنس" إلى ثنائية "تدنيس المقدس وتقديس المدنس"، ومما يؤكد ما نقوله هو الانفجار الذي شهده الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩٠، وانتهى بإزاحة الشيوعية لأنها تقوم على أسس معادية للفطرة، وهو ما نتوقعه للمعسكر الرأسمالي، لأن انتصارالفطرة أمر حتمي.

والآن بعد أن رأينا المفاهيم التي قامت عليها اليهودية والنصرانية في مجال المقدس والمدنس، فما موقف الإسلام من الدنيا والجسد والمرأة والشهوات إلخ..؟ جاءت تعاليم الإسلام ملبية للفطرة، وجاءت مفاهيمه مخالفة لكل المفاهيم السابقة في مجال الدنيا والجسد والنجاسة إلخ...، ونحن سنستعرض هذه المفاهيم واحداً تلو الآخر، وهي:

١- عدَّ الإسلام أن الدنيا هدف في حد ذاتها، وطلب أن يسأل العبد ربَّه أن يؤتيه الحسنات فيها فقال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

٢- عدَّ الإسلام إعمار الأرض هدفاً من أهداف خلق الإنسان، فقال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، وقال الرسول ﷺ: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل". (رواه أحمد)

٣- وعدَّ الإسلام الجسد قيمة؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

لذلك رفض الإسلام أية صورة من صور تعذيب الجسد التي كانت موجودة في الأديان السابقة، واتضح ذلك في بعض

أحاديثه عليه الصلاة والسلام، فقد ذكر ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبوإسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه" (رواه البخاري)

وجاء في حديث آخر عن أنس أنه قال: دخل النبي ﷺ إلى المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا الحبل لزينب، فإذا فترت تعلقت، فقال النبي ﷺ: «حلّوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد». (متفق عليه).

وجاء في حديث ثالث في رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، فلا أنام وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». (رواه البخاري)

٤- عدَّ الإسلام قضاء الشهوات عبادة فقال الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أبو ذر رضي الله عنه: "في بضع أحدكم صدقة"، قالوا: يا رسول الله. أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر فيها؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر». (رواه مسلم).

٥- وعدَّ الإسلام المؤمن لا ينجس فقد ذكر أبو هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ لقيه في بعض طرق المدينة، وهو جنب، فانخنس فذهب فاغتسل، ثم جاء فقال: «أين كنت يا أبا هريرة؟» فقال: كنت جنباً، فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة. فقال: «سبحان الله! إن المؤمن لا ينجس» (ورواه الجماعة).

٦- لا يعدُّ الإسلام الحائض نجسة لذلك أباح مؤاكلتها ومجالستها والاجتماع معها في البيوت، لحديث أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي الرسول ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فقال الرسول ﷺ: "اصنعوا كل شيء إلا النكاح" (رواه الجماعة إلا البخاري).

ماذا كانت نتيجة تلك التعاليم الموافقة للفطرة؟ كانت نتيجة ذلك أمرين:

الأول: إعمار شامل وواسع لكل مجالات المجتمع في شؤون الاقتصاد والزراعة والثقافة والتربية والفنون والعلوم إلخ.. وهو إعمار لم تعرفه أية حضارة أخرى بهذا الشمول والاتساع.

الثاني: لم تعرف الأمة الإسلامية أزمة وجود كما عرفتها أوروبا نتيجة التصادم مع الفطرة مرتين، الأولى: في العصور الوسطى، والتي فجرت الثورة الفرنسية، والثانية: في العصور الحديثة والتي فجرت الاتحاد السوفييتي، بل عرفت الأمة الإسلامية أمراض وجود، وهو ما يمكن أن تعالجها من خلال مرجعيتها الإسلامية، على خلاف المسألة الأولى، وهي أزمة الوجود في الحضارة الغربية التي يقتضي علاجها بإيجاد حل لها من خارج مرجعيتها الثقافية.

الخلاصة: احتل مفهوما "المقدس والمدنس" في الأديان السابقة على الإسلام من نصرانية ويهودية وغيرهما مساحة واسعة، وعدَّت تلك الأديان كثيراً من الأمور الفطرية دنساً مثل الدنيا والمرأة والشهوة إلخ...، كما وعدَّت المقدس فقط هو الله والآخرة والروح إلخ...، مما جعل أوروبا تثور على هذه الثنائية في القرن الثامن عشر، لكنها لم تصحح هذا الخطأ الفطري، بل انتقلت أوروبا إلى ثنائية أخرى لا تقل خطأً عن السابقة وقامت على "تدنيس المقدس وتقديس المدنس"، أما الإسلام فقد نجا من تلك الانحرافات، واعترف بفطرية الشهوات والجنس والمرأة إلخ...، لذلك أنشأ حضارة شاملة واسعة لم تعرفها البشرية في أية حضارة أخرى من جهة، ولم تعرف الأمة الإسلامية أزمة وجود كما عرفها الغرب بل عرفت أمراض وجود كانت تعالجها من خلال مرجعيتها الثقافية، وهي: الإسلام.

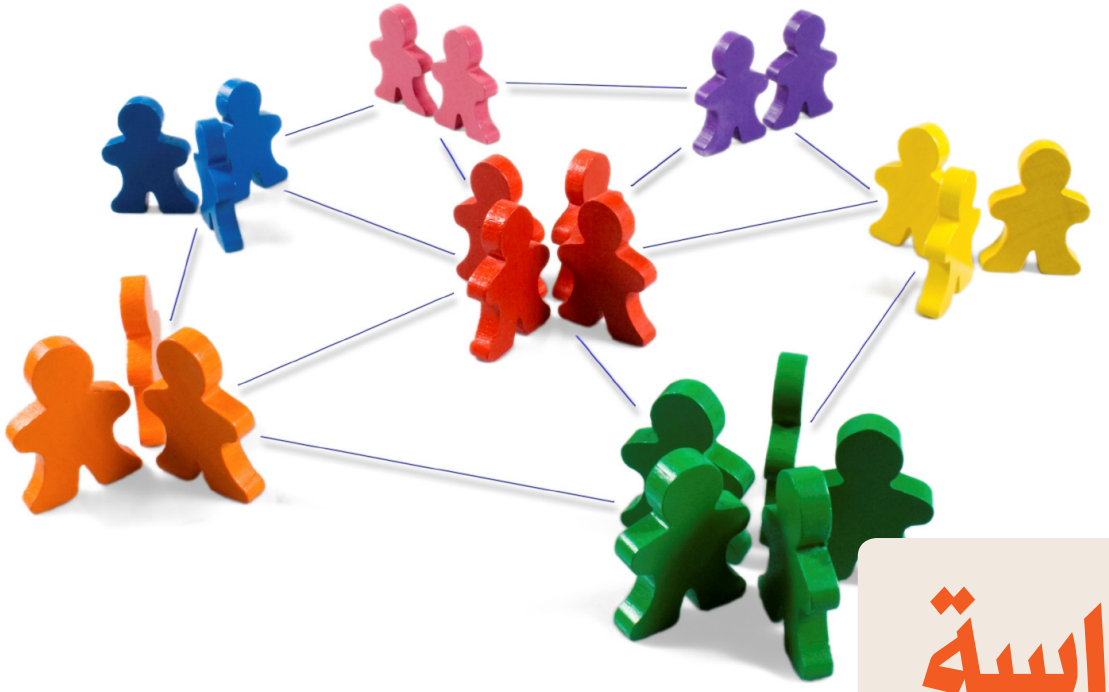

دراسة الأفكار

مدخل منهاجي

طـــــارق عـــثـــمـــان(*)

تمهيد:

في ظل الحقبة العولمية الراهنة، يعز على أمة من الأمم أن تفرض حولها ســـياج، يمنع تسلل الثقافات المغايرة لها إلى فضائها الثقافي الخاص. ومن ثم يقع عليها عبء المحافظة على نسقها الثقافي صافٍ من مدخلات الثقافات الأخرى، والتي قد تصيب بناءه بالعطـــب؛ إذ بالدخول على فضاء ثقافي لأمة ما ليس منه تهتز أســـس هويتها وتتعرض للذوبان كلما ذادت نسبة هذه المدخلات إليها.

وبحســـب قانـــون العولمة فـــإن الأمة المالكة لأســـباب التقدم الحضـــاري المادي والمعرفي،هـــي وحدها تتمكن من توظيف الأدوات العولمية، لتعميم ثقافتها وقيمها على باقـــي الأمم المغايرة لها، إيماناً منها بأن الحفاظ على التقدم الحضاري مرهون بمدى ثبات قيمها ومدى تعميمها على باقي الأمم، ومن ثم تســـعى بكل ســـبيل لتسييد تلكم القيـــم الحضارية والتي تمثـــل أفقها الثقافي على الفضـــاء الثقافي العام لكل الأمم ليتشكل عالَم ذو بعد واحد؛ أي عالَم يتبنى قيماً ثقافية واحدة.

(*) باحث بالمركز العربي للدراسات الإنسانية بالقاهرة.

وبالنظر إلى الراهن نجد أن الأمة المتقدمة حضارياً هي الولايات المتحدة الأميركية ومن خلفها أوروبا ومن ثم فإنها تسعى لتسييد نسقها الثقافي على العالم إذ يدعم ذلك هيمنتها السياسية ويُبقي على وضعية "القطب الواحد للنظام الدولي الراهن".

إذاً بحكم الواقع فالفكر الغربي تسلل للفضاء الثقافي العربي/ الإسلامي منذ لحظة الاحتكاك الأولى من خلال "الحملة الفرنسية" على مصر؛ لتستمر عملية التسلل الفكري مع السياسات الإصلاحية لمحمد علي وبعدها يصير للفكر الغربي حاضنة معرفية تمثلت في تيار ثقافي بُهرَ بالثقافة الغربية وراح ينهل منها ويحث الأمة على ورود ما ورد من معين الثقافة الغربية ظناً منه أن في ذلك دواءً لمرض التخلف الحضاري المبتلى به الشرق... ومع العولمة ازداد الأمر تعقيداً إذ لم يعد مصطلح "التسلل" كافياً للتعبير عن معدل حضور الفكر الغربي في الفضاء الثقافي العربي؛ إذ يحضر بصورة صلبة تتمظهر في تيارات فكرية عربية صا غت مدارس فلسفية ولها مشاريع فكرية ففي المغرب العربي هناك "الجابري" و"العروي" وفي المشرق "حسن حنفي" و"نصر أبو زيد" والقائمة تطول.

وفي هذا السياق برز سؤال "التعامل مع التراث الإسلامي" والمنهج العلمي المستحضر من حقول العلوم الأنثروبيولوجية المناسب للتعامل معه، فراح الجابري يشغل "القطيعة المعرفية" لبشلار، والعروي يوظف "التاريخية الماركسية " وحسن حنفي يستعير "الاغتراب" من ماركوز وهكذا.

ولكن غاب سؤال المنهج عن التعامل مع الفكر الغربي نفسه، بل تم اعتبار الأخير هو غاية التقدم المعرفي، والعلوم الإنسانية ومناهجها هي آخر ما وصل إليه العقل، ومن ثم ما علينا إلا استعارتها من البيئة الثقافية الغربية، وإعمالها في الفكر الإسلامي لتحديثه وجعل ذلك شرطاً للنهضة العربية والإسلامية.

وفي هذا السياق نود أن نرسم خطاً منهجياً يعين على دراسة المذاهب الفكرية الغربية بوصفها وافداً فكرياً على ثقافتنا الخاصة. وجد له موطئ قدم في البيئة الثقافية العربية باستخدام الأدوات المنهجية العلمية التي تكسب التعاطي مع الفكر الغربي رصانة معرفية بدل الطرائق المعيارية التي تحكم على فكر ما بأنه مخالف لثقافتنا ومن ثم هو خطأ ينبغي التحذير منه؛ إذ إن هذا الأسلوب غير ناجع في حفظ الهوية المعرفية للأمة بقدر ما هو تأجيل للمواجهة مع الفكر الغربي. فبرسم خطوط منهجية في دراسة المذاهب الفكرية يمهد السبيل لنقدها نقداً علمياً يضعها في قدرها اللائق بها وسياقها الملائم لها.

أولاً: القراءة المعجمية: مقاربة غير وافية:

يتوجه القصد عند محاولة الاقتراب من مذهب فكري ما أول ما يتوجه إلى المعاجم الفكرية والموسوعات الفلسفية التي تتناول تلك المذاهب بالتعريف والوصف ويمكن التمثيل عليها بـ:

– الموسوعة الفلسفية لأندريه لالاند، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا وموسوعة الفلسفة لعبد الرحمن بدوي وموسوعات المعارف كالبريطانية والأمريكية.

ويتسم التناول المعجمي دوماً بالاختزال والتبسيط تبعاً لمنهجية وضعها في الأساس؛ إذ تقضي الإحاطة بتجاوز التفصيل،مما يجعل المقاربة المعجمية غير وافية لتحقيق وعي ناجز عن حقيقة الموضوع المبتغى درسه.

ولكن الاختزال ليس وحده سبب كون الاقتراب المعجمي غير وافٍ؛ إذ هناك سببٌ ثانٍ يرجع هذه المرة لطبيعة المادة الفكرية نفسها؛ فالمذاهب الفكرية في مستوى النظر والعمل ليست مجرد دوال لفظية يمكن مقاربتها على أرض المعجم، ولكنها تتشكل نتيجة لتفاعلات تاريخية، وحراك مجتمعي فالليبرالية والشيوعية والديمقراطية وغيرها من الأفكار التي وجدت لها موطن قدم على أرض الواقع بتمثلها سياسياً واقتصادياً، أو تلك التي ظلت حبيسة في سياج النظر والتجريد الفكري كالمدارس الفلسفية: المثالية والمادية والحداثية أو البنيوية والتفكيكية وما بعد الحداثية... لا يمكن تحصيل وعي ناجز عنها وفهمها حق الفهم بالاعتماد على التناول المعجمي المجرد لها كألفاظ ومصطلحات.

فالأفكار التي نالت حظ التمثل الواقعي تتحقق بوصفها واقعاً وممارسة قبل أن تستقر كمصطلح له مفهوم مصكوك في المعاجم والقواميس، ومن ثم لا ينبغي الاقتصار على القراءة المعجمية لها التي تلت كونها واقعاً متمثلاً على الأرض.

ثانياً: المقاربة السوسيوتاريخية: شرط لتحقيق الوعي:

إذا كانت المقاربة المعجمية غير وافية فما السبيل نحو تحقيق الوعي بفكر ما ؟ أجادل بكون المنهج السوسيوتاريخي (اجتماعي وتاريخي) هو خير من يؤدي تلك المهمة، ويرتكز هذا المنهج على قاعدة تقول: إن المذاهب الفكرية وخصوصاً التطبيقي منها ليست مجرد فكرة لمعت في ذهن الفيلسوف فجأة ثم بنى أسسها في ذهنه ومن بعدها عمد إلى الواقع سعياً في تمثيلها وتطبيقها، ولكن في الحقيقة أن ذاك الفكر لم يتشـــكل إلا بعد أن عملت على ذلك مجموعة من الشـــروط المجتمعية والتغيرات التاريخية؛ حيث يتسم الواقع بمحددات معينة تتطور هذه المحددات مع الوقت فتكون سبباً مباشراً لبلورة هذا الفكر وتشكله في آن معاً، ومن ثم يكون هذا الفكر رهين تلك الشروط المجتمعية ونتيجة لها.

من هنا ينحبس الفكر في ســـجن "الخصوصية المجتمعية" فهو نتجَ من بيئة معينة توفرت فيها شروط تبلوره، ومع تطور تلك الشروط عبر التاريخ يتطور ذاك الفكر تبعاً لتلك التغيرات. ومن هنا لا يمكن استنبات هذا الفكر في بيئة مغايرة لم تتوفر فيها تلك الشروط المجتمعية التي كانت سبباً في تبلور هذا الفكر، وبذلك يبين الخلل المنهجي الذي يقع فيه مفكرو العرب؛ إذ يسعون لنقل الفكر الغربي والأدوات المعرفية التي أنتجها حقل العلوم الإنسانية الغربي إلى البيئة الثقافية الإسلامية التي لم تتوفر فيها الشروط المجتمعية التي أنضجت تلك الأفكار والمناهج في السياق الغربي.

ومن ثم لكي نفهم فكراً ما ينبغي أن ننظر في الشروط المجتمعية التي عملت على تشكله في السياق التاريخي لتلك الشروط.

ثالثاً الليبرالية: مثال تطبيقي:

أسلفنا القول إن إبقاء أمة من الأمم على ريادتها الحضارية يحتاج إلـــى تثبيت قيمهـــا وتعميمها على باقـــي الحضارات المغايرة. وفي هذا الســـبيل نجد الغرب يســـعى راهناً لتعميم قيمه والمتمثلة في "القيم الليبرالية" والتي تشكل أفقه الثقافي على باقي الأمم مستثمراً ما أتاحته الحقبة العولمية من آليات الاختراق في الأنســـاق الحضارية المغايـــرة، ولا يكتفي بتلك الوسائل الناعمة وإنما يسعى أحياناً لإنجاز هدفه، مستخدماً طرقاً أشد صلابة وخشونة.

والليبراليـــة كأنموذج فكـــري تحظى بدرجـــة عالية من التـــداول في الأفق الثقافي العربـــي، ولها بعض التمثلات في البلاد العربية وقد ازداد زخم هذا الحضور بعد موجة الثورات التي اجتاحت المنطقة العربيـــة. وعلى الرغم من هذه الحالة من "الرواج الفكري" لمصطلح الليبرالية إلا أن العقل العربي لم يحصل وعياً ناجزاً عن هذا المصطلح بعد.

ونود أن نطبق هذا الإطار المنهاجي على الليبرالية كمثال:

المقاربة المعجمية لمصطلح الليبرالية لا تغني ولا تسمن من جوع؛ فلو نظرنا إلى التعريفـــات الموجودة عند لالاند وصليبا وفي دائرة المعارف البريطانية والموسوعة الأكاديمية الأمريكية

لا نجد سوى كون الليبرالية هي مذهب الحرية، ومن ثم يقع الخلط بين شـيئين متغايريـن: الأول هو الحرية والتي هي مثال إنسـاني مطلق لا يمكن حيازته أو تمثلـه كاملاً وإنما تنزع إليه النفوس في سبيل تحقيق هذه الخصيصة الإنسـانية، وبين الليبرالية التي هي مذهب اقتصادي في المقام الأول ثم سياسي ثانياً، فالليبرالية تقليد فكري اتخذ من الحرية آداة لتعزيز أسـاس فلسـفي هو الفردية، وطبق اقتصادياً وسياسياً لخدمة الرأسماليين البرجوازيين على مر التاريخ أما الحرية فهـي الحرية المثال المطلق، هذا الخلل المنهجي أثمر حالة من الخلط بين الحرية والليبرالية استثمرها الليبراليون في الترويـج لمذهبهم وقالوا من ينقـد الليبرالية فهو ضد الحرية ومؤسس للجور والطغيان!

وبحسـب منهجنا يلزم ألا نكتفي بالمقاربة المعجمية وإنما نتبع مقاربة سوسـيوتاريخية تقف بنا على تخوم الشرط المجتمعي الذي أسس لبلورة الفكر الليبرالي:

بدأت النهضة الأوروبية منذ القرن السادس عشر في إيطاليا، ثم امتدت إلى باقي أوروبا وفي تلك الحقبة حصل متغيران مجتمعيان سيصيران شرطاً لبلورة الفكر الليبرالي: المتغير الأول وهو تغير على مسـتوى النظر تمثل في انفتاح الوعي الغربي على ثقافات مغايرة للنسـق الثقافي الكنسي المشـدود للنص الإنجيلي المقدس الذي لا يمكن تجـاوزه بحال في كل ما يقرر من معرفـة إيمانية أو علمية مادية.انفتـح على الثقافة اليونانية والإسـلامية بدرجة أقل. هذا الانفتاح شكل محفزاً نفسـياً نحو الحرية حيث الخلوص من الرق الكنسي الفكري، والانفتاح على غيره من الأنساق الفكرية.

أما المتغير الثاني على مسـتوى العمل فيتمثل في تغير النشاط الاقتصادي من التجارة إلى الصناعة هذا التحول يحتاج إلى شيئين: همـا رأس المال واليد العاملة، أمـا رأس المال فقد كان متوفراً بيد التجـار، وأما اليـد العاملة فقد كانت هي موطن المشـكلة إذ إنها محبوسة في سـياج الإقطاع تعمل في الأرض ومن ثم كانت هناك حاجة لتحرير العبيد لكي تنتقل إلى المصانع، ومن هنا تم استدعاء مثال الحرية ليتـم توظيفه لهذه العملية، وبذلـك تكون الليبرالية استغلت الحرية المثال لكي تساعدها في تشغيل آلة المصنع!

هذا هو الشـرط المجتمعي الذي أسـهم في إنتاج الليبرالية. والوعي بهذا الشـرط يمنحنا نجاة من مزلق الخلط بين الليبرالية والحرية، ويضع الليبرالية في السـياق الملائم لها كمذهب بشري، ويضع كذلك الحرية في مكانها المناسب كمثال وأفق إنساني.

خلاصة:

أثمر حقل العلوم الإنسـانية الغربية معارف ومناهج علمية متكيفـة مع الأفق الفكـري الحاكم للمجتمع الغربـي، وعندما تنقل هذه المناهـج للفضاء الفكري الإسـلامي تنتقـل ومعها حمولة مـن المصطلحات، وخلفها حمولة مفاهيمية تخص الواقع الفكري الغربي ومثقلـة بميراثه الثقافي منـذ النهضة وحتى ما بعد الحداثة، ومن ثم اسـتعارة تلك المناهج وتشغيلها في التراث الإسلامي خطأ منهجي بحد ذاته!

وفي المقابل لا بدَّ من السعي نحو إنتاج/ توظيف منهجية علمية منطلقة من الأفق الفكري الإسـلامي نتعامل بها مع المذاهـب الفكرية الغربية والتطبيقات المجتمعية لها سياسـية واقتصادية في سبيل تقديم رؤيـة نقدية رصينة لتلك الأفـكار تنحت معرفياً في الأسس الفلسفية التي انبنت عليها، وترصد اجتماعياً وتاريخياً الشـروط التي دفعت نحو تشكلها وتطورها عبـر التاريخ، مما يعين علـى تحقيق وعي ناجز عن مضامين تلك الأفكار، ومـن ثم تتضح صورتها جيداً أمام العقـل العربي مما يمنع تسـللها لصلب البنية الفكرية المؤسسـة للفكر الإسـلامي بـلا وعي منا، وبذاك تحفـظ الهويـة المعرفية للأمة فـي مقابل الهويات المغايرة التي يراد لها أن تعمم.

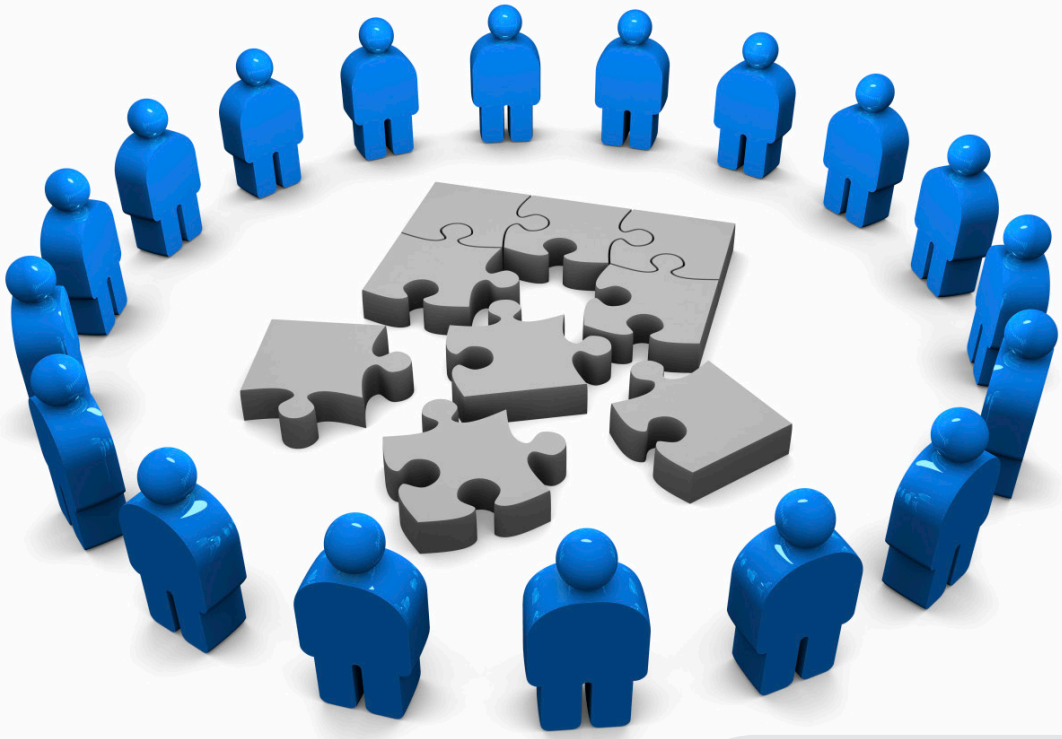

جذور العولمة

في حركات الاستشراق في القرن (١٩) الميلادي

آدم أديبايو سراج الدين الزكي(*)

الحمد لله وكفى، وسلام على رسوله المصطفى، وبعد: فإنه مما لا سبيل إلى الارتياب فيه أن سماء الغرب في الآونة الأخيرة تمطرنا بمفاهيم ومصطلحات لا وجود لها من قبل، ومن هذه المفاهيم مصطلحات: العولمة، والحداثة، وما بعد الحداثة، والاستعمار وما بعد الاستعمار... وغيرها، ومن ذلك ما راج منذ زمن من حديث عن النظام العالمي الجديد خاصة في عهد الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن(١).

وسأتناول في هذه العجالة جذور مصطلح (العولمة).

لقد تعددت مفاهيم هذا الاصطلاح بتعدُّد العلماء كما تباينت آراؤهم في ماهيته؛ فبينما يرى بعض العلماء أن العولمة ظاهرة حديثة جديدة، يعتقد آخرون أنها قديمة. فمثلاً يرى الدكتور جلال أمين أن لفظ (العولمة) حديث، ولكن الظاهرة نفسها قديمة جدّاً. يقول: «فإذا نحن فهمنا العولمة بمعنى التضاؤل السريع في المسافات الفاصلة بين المجتمعات الإنسانية - سواء أكان فيما يتعلق بانتقال السلع أم الأشخاص أم رؤوس الأموال، والمعلومات، أو القيم - فإن العولمة تبدو لنا وكأنها تُعادِل في القدم نشأة الحضارة الإنسانية»(٢).

إن هناك من يرى أن ثمة علاقةً بين حركات الاستعمار والاستشراق؛ إذ إنهما يتَّحدان في غايتيهما المنشودة، ألا وهي السعي وراء السيطرة على دول في العالم الثالث؛ خاصة في سياساتها واقتصادها، وهذا هو السبب الرئيس وراء استيطان هذه الدول. بَيْدَ أننا نرتكز في هذه المحاولة على حركة الاستشراق دون غيرها لأسبقيتها على غيرها، ونرى ذلك في محاولاتهم معرفة أحوال هذه الأقطار وهو ما أدى إلى تعليم اللغات العربية وثقافاتها العالية.

(*) جامعة ولاية كوغي - نيجيريا.

(١) د. يوسف القرضاوي المسلمون والعولمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بدون تاريخ، ص١٠.

(٢) انظر مقدمة كتاب العولمة والتنمية العربية من حملة نابليون إلى جولة الأورغواي للدكتور جلال أمين، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، وهذه المعلومة واردة في كتاب المسلمون والعولمة للقرضاوي، ص ١٠.

الاستشراق والمستشرقون:

أولاً: الاستشراق: وهو أحد العوامل المهمة التي أثَّرت، ولا تزال تؤثِّر في الفكر الفلسفي العربي والإسلامي منذ العصور الوسطى إلى اليوم؛ حيث كان المقصود به نقل الشرق بعلومه وثقافته وفلسفته وحضارته إلى الغرب الأوروبي لدوافع متعدِّدة. ويمكن القول بأنه من الصعوبة بمكان أن يجد الباحث مجالاً من مجالات دراسة الشرق وعلومه خالياً من أبحاث المستشرقين[١].

إن الاستشراق ظاهرة كغيرها من الظواهر الحديثة، وللعلماء والدارسين آراء ووجهات نظر متعددة في تحديد معنى هذه الكلمة، خلاصتها: أن الاستشراق ظاهرة مستحدثة وهي مشتقَّة من الشرق التي تعني مشرق الشمس، ومن ثَمَّ تدلُّ الكلمة على الاهتمام بما يحويه الشرق من علوم ومعارفَ وسمات حضارية متنوِّعة[٢].

وقد يراد بالاستشراق دراسة الغربيين للشرق وأممه، ولغاته، وآدابه، وعلومه، وعاداته، ومعتقداته، وأساطيره. وكان المقصود من الاستشراق أن له أكبر الأثر في صناعة التصورات الأوروبية عن الإسلام وثقافته، وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون كثيرة، ويمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك، فنقول: (إن الاستشراق يمثِّل الخلفية الفكرية لهذا الصراع الحضاري) كما قرَّره أحد الباحثين البارزين[٣].

يقول إدورد سعيد موضحاً الأثر البالغ لما قام به المستشرقون من دراسة الإسلام وأهله وحضارته ثم نقلها إلى الثقافة الغربية المسيحية: (احتلَّ الاستشراق مركزاً هو من السيادة بحيث إنني أؤمن بأنه ليس في وسع إنسان يكتب عن الشرق أو يفكر فيه، أو يمارس فعلاً متعلقاً به، أن يقوم بذلك دون أن يأخذ بعين الاعتبار الحدود المعوقة التي فرضها الاستشراق على الفكر والعمل، وبكلمات أخرى: فإن الشرق بسبب الاستشراق لم يكن موضوعاً حرّاً للفكر والعمل)[٤].

لقد تم نقل الشرق إلى الثقافة الغربية الحديثة بوسيلتين:

الأولى: قدرات النشر والإذاعة التي يملكها التعليم الحديث وجهازه المبثوث في الجامعات والمدن والجمعيات والمنظمات الجغرافية والاستكشافية.

والثانية: ترتبط بما قام به المستشرقون من ترجمة النصوص وتفسير الحضارات والأديان والسلالات والثقافات والعقليات على شكل مواضيع جامعية محجوبة عن الغربي العادي بحكم طبيعتها[٥].

(١) د. عبد الرزاق أحمد «فلسفة المشروع الحضاري» المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١/ ١٦٢، ١٩٩٥م.

(٢) محمد الفتح الزيادي «انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه» دار قتيبة، ١٩٩٠م، ص ١٤.

(٣) د. محمد حمدي زقزوق «الاستشراق»، ص ١٩.

(٤) سعيد إدوارد الاستشراق»، ص ٣٩.

(٥) د. أحمد عبد الرزاق «فلسفة المشروع الحضاري» المرجع السابق، ص ٢٣٠.

نشأة الاستشراق:

يُرجِع بعض الباحثين بداية الاستشراق إلى محاولة فردية منذ أواخر القرن العاشر الميلادي[٦]، ومنهم من يعيد بدايته إلى بعض البلدان الأوروبية في القرن الثالث عشر الميلادي، أو ما قبله بقليل، ومنهم من يرى أنه بدأ منذ الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م حينما قام عدد كبير من العلماء مع نابليون بونبارت - الذي اصطحب معه مطبعة - بأبحاث متعددة[٧].

ولعل الأرجح بين هذه الآراء المتباينة ما أورده العلامة الإلوري من أن نشأة الاستشراق تعود إلى سنة ١٣١٢م؛ وذلك في مؤتمر أقامته السلطة الكنسية العالمية World Church Authority في فيننا Vienna، حين توصَّل المشاركون إلى التشجيع على تعليم اللغات الشرقية وثقافاتها وديناناتها وعلى رأسها اللغة العربية وآدابها، بشرط أن يبدأ هذا المشروع في جامعات أوروبية معيَّنة أمثال باريس وأكسفورد وبولونيا[٨].

ثانياً: المستشرقون: وهم الباحثون الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية وحضارتها ويدرسونها. ويقول آخرون: إن المستشرق هو العالِم الغربي الذي يهتم بالدراسة الشرقية. ويرى الأستاذ الزيادي أنه كل من عُنيَ بالبحث والدراسة في لغة الشرق وعلومه، أو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه. فالمستشرق هو الإنسان الذي اهتم بما يدور في الشرق من مجالات مختلفة، وتقابل هذه الكلمة كلمتي (مستغرب واستغراب) اللتين تدلان على الميل نحو الغرب إعجاباً أو تقليداً أو دراسةً. وقد تعددت الآراء في تحديد معنى المستشرق كما هو الشأن في تحديد معنى الاستشراق، وجملة القول: إنه مَنْ تخصص في دراسة الإسلام ولغته والعرب من غير المسلمين، وكل ما يعمله هذا المستشرق يسمَّى الاستشراق على حدِّ رأي الزيادي.

(٦) مصطفى السباعي «الاستشراق والمستشرقون» المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ص ١٤.

(٧) د. علي الخربوطي «المستشرقون والتاريخ الإسلامي».

(٨) الإلوري آدم عبد الله، «الإسلام في نيجيريا»، ص ١٥٠.

نرى من المستحسن أن نستهل هذا العنوان الجانبي بكلام موجز عن الغرض الأساسي في زحف أوروبا إلى أقطار إفريقيا وآسيا الشرقية وغيرها؛ لأن معرفة ذلك الغرض تعطينا صورة واضحة عن منهج إسهاماتهم في مؤلفاتهم في هذا القطر بالذات.

منذ القرن السادس عشر الميلادي أخذ الأوروبيون يسافرون إلى كثير من البقاع في العالم بحثاً عن الاستيطان والتجارة ونشر النصرانية. لقد خرجت أوروبا في تلك الأزمنة إلى العالم الفسيح لتكوين الإمبراطوريات على حساب الأقطار الأخرى، وبدأ تحديد مناطق النفوذ للحصول على الامتياز للشركات التجارية، وللسيطرة السياسية والاقتصادية. والدافع الحقيقي كان دائماً الرغبة الشديدة إلى المواد الخامة الرخيصة والأسواق ومجال الاستثمار، وزيادة على ذلك فقد كانت هناك صعوبة في بيع المصنوعات وهو ما دعا للحصول على أسواق أجنبية في الخارج.

وهناك عامل التنافس بين الدول الأوروبية، فكلُّ دولة منها كانت تريد أن تضع يدها على أكبر مساحة ممكنة، وتخشى أن يسبقها الآخرون فيكون نصيبها ضئيلاً؛ ولهذا كانت الحكومات الأوروبية تسعى وراء امتلاك ممالك إفريقيا وآسيا الشرقية وغيرها ليكون لها وزن في نظر البلاد الأخرى[1].

وتلبية لمسيس الحاجة إلى تزايد نظام اقتصادي في أوروبا، بدأت حركة الكشوف الجغرافية؛ حيث خرجت الدول الأوروبية تلهث وتبحث عن الطرق التي تضمن لها القوة والسيطرة، فاهتدوا إلى اكتشاف الأراضي الخصبة في إفريقيا بعد أن قد كانت قارةً مظلمة لدى أوروبا، فلما ارتاد المكتشفون الأوروبيون مجاهل إفريقيا وأظهروا ما فيها من غلات وخيرات، سارعت إلى احتلالها وامتلاك أراضيها والتحكم في أهلها وتسخيرهم في استغلال موارد البلاد.

ولما رأت أوروبا أن من المقوِّمات الأساسية لنهضتها الحصول على هذه الضالة المنشودة - خاصة في إفريقيا - جعلت ترسل رجالها البحاثين والرحالين لجمع أخبارها الجغرافية والمتعلِّقة بالعلوم الطبيعية على العموم، فقاموا بالدراسات المختلفة عن البلاد خاصة إفريقيا السوداء.

هذا، وقد اختلف الدارسون في الدوافع إلى الاستشراق؛ فمنهم من يرى أن المستشرقين قاموا بتلك الدراسات القيمة بتجرد وإخلاص، وممن ارتفع صوته من أصحاب هذا الرأي الأستاذ صلاح الدين المنجِّد وهو يرى أن حركة المستشرقين الألمان خاصة لها مزايا واضحة لأنها - على حدِّ رأيه - لم تخضع لغايات سياسية أو استعمارية أو دينية كالاستشراق في بلدان أوروبية أخرى. يقول: (فألمانيا لم يُتَحْ لها أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق؛ لذلك لم تؤثِّر هذه الأهداف في دراسات المستشرقين الألمان، وظلت محافظة - غالباً - على التجرد، والروح العلمية)[2].

أما إدوارد سعيد والدكتور أحمد عبد الرزاق والأستاذ عبد اللطيف تبوي وغيرهم من العلماء الذين يدققون في دراسة آراء المستشرقين الألمان منهم والإنجليز، فيرون أن الاستشراق حركة علمية صُوِّرت للسيطرة على بلاد المسلمين وغيرها من بلدان العالم الثالث، وذهبوا إلى أن البواعث والأهداف التي دعت الاستشراق إلى تلك الجهود المضنية عديدة ومتنوِّعة، منها الاستعماري والسياسي والديني والعلمي والتجاري؛ متخذين دراسات الثقافات والحضارات سبيلاً إلى ذلك.

ويشير إدوارد سعيد إلى مثل ذلك[3]؛ حيث إنه يعرِّف الاستشراق من هذه الزاوية الاستعمارية وينظر إلى الاستشراق باعتباره أسلوباً غربيّاً للسيطرة على البلاد الإسلامية[4].

ولعلنا لا نفصل بين الدافع الاستعماري السياسي والدافع التجاري من الدوافع التي دعت الاستشراق إلى البلاد الإسلامية. يقول زقزوق: (مما لا شك فيه أن تزايد العلاقات التجارية بين الشرق والغرب قد شجَّع الغربيين على دراسة اللغة العربية في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي؛ إذ رغب الغربيون في توسيع تجارتهم مع هذه المناطق للحصول على المواد الأوليَّة اللازمة للصناعة الأوروبية، والحاجة ماسَّة للسفر إلى هذه البلاد الإسلامية، ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد، وتحقيق ما يصبون إليه من فوائد تعود على تجارتهم بالربح الوفير، وكان الملوك يزودون هؤلاء التجار الباحثين بما يحتاجون إليه من مال؛ وكذلك فعلت المؤسسات المالية والشركات)[5].

لقد ساهم المستشرقون في الاتجاه إلى دراسة الثقافة العربية الإسلامية الحيَّة على أن ذلك واحد من متطلبات النشاط التجاري الناجح؛ ولذلك أرسلت الحكومة الألمانية - مثلاً - عدداً من رجالها الذين كانوا على إلمام باللغات والثقافات الخاصة بالشعوب، وهذا من أسباب مجيء الرحالين أمثال بارث إلى إمبراطورية البرنو الإسلامية التي تمثل أقدم الدول الإفريقية الإسلامية في العصور المتعاقبة، وقد كان هذا حافزاً قوياً شجَّع الدراسات الاستشراقية كما نراها في مؤلفات وأبحاث أولئك المستشرقين في هذا القطر.

(١) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) إدوارد سعيد «الاستشراق»، ص ٤٥ - ٤٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٩.

(٥) محمود زقزوق «الاستشراق»، ص ٨٩.

فتاة تركت السفور

هذه قصيدة تتحدث عن فتاة
تركت السفور وعادت
إلى الودود الغفور

أسامة المحوري

أغلقتُ نافذةَ اغترابي ... وفتحتُ للأنسامِ بابي
وفَرَرْتُ مِن ظمأِ السفورِ ... إلى ينابيعِ الحجابِ
أسقيتُ منها أضلعي ... وملأتُ بالتقوى إهابي
وورِدْتُ أَعْذبَ موردٍ ... للطُّهرِ في عصرِ اليبابِ
اللهِ! حينِ ترنَّمتْ ... شفتايَ بالآي العِذابِ
ووقفتُ في أفيائها ... بين انبهارٍ وانجذابِ
تكتظُّ روحي،.... بالرؤى ... وتفيضُ بالعَجَبِ العُجابِ
ما كنتُ أعلمُ أنني ... كالأفقِ واسعةَ الرِّحابِ
أو أنني بنتُ العلا ... والدينِ والشرفِ المُهابِ
للهِ ينبضُ خافقي ... ولأمةِ العزِّ انتسابي
حتى تفجَّر في دمي ... نهرُ اليقينِ المستطابِ
فطفقْتُ أرتشفُ الهدى ... وعلوتُ غبراءَ الإيابِ
أجتاحُ أمواجَ الردى ... وأدكُ أسوارَ الصعابِ
فَلْيرفعِ الأعداءُ نحوي ... كلَّ أنواعِ الحرابِ
وليملأ السُّفهاءُ دربي ... بالنعيقِ وبالسُّبابِ
إن كان ربي حافظي ... ما ضرني نبحُ الكلابِ

الثقب الأسود

أحمـــــد فـهـمـي
afahmee@hotmail.com
@ahmdfahmee

في مقال العدد الماضي، أُلقِي الضوء على مشكلة «عدم التوافق» بين أدبيات العمل الإسلامي بصورتها القديمة، وبين تداعيات الواقع السياسي والدعوي في دول الثورات العربية، وأن عدم التوافق هذا يؤدي إلى غموض مربك في منظومة الأهداف والوسائل والمراحل التي تتحرك التيارات الإسلامية في إطارها، بما يجعل الكثيرين يتساءلون عمَّا يريده الإسلاميون في هذه «اللحظة الفارقة» من تاريخ العمل الإسلامي.

ذُكِر في المقال السابق أحد أسباب الغموض، وهو التداخل- أو التضارب - بين الأدبيات القديمة والخطاب السياسي الجديد، فيما يتعلق بأهداف الحركة الإسلامية.

وفيما يلي السبب الثاني لهذا الغموض.

الفجوة بين التأصيل والممارسة

من أمثلة ذلك، ما يتعلق بتعاطي الآليات السياسية التي تتعارض من حيث فلسفتها ومنشؤها الفكري مع بعض الثوابت الإسلامية، كالمشاركات السياسية في عمليات الترشح والتصويت، والعمل البرلماني الذي يتضمن تشريع القوانين، والمشاركة في الأجهزة التنفيذية للدولة، ومن المعلوم أن كل ذلك يتم تحت شعار «الديمقراطية» وفي سياق التفرقة التامة بين نظام يمكن أن يحكمه الإسلاميون، وبين نظام إسلامي..

ومن الأمثلة كذلك، إشكالية الدعوي والسياسي، التي أصبحت مثار جدل كبير في الآونة الأخيرة، حيث ينطلق البعض من أصل مزعوم يؤكد على ضرورة الفصل بين الدعوي والسياسي في العمل الإسلامي، وهذا الفصل يثير المخاوف لدى كثيرين من أن يتحول وفق

قاعدة «حتى إذا نُسي العلم» إلى شر وبيل ومنزلق منهجي ربما يتطور إلى مستوى «فصل الدين عن السياسة» فمن يقول اليوم «لا دعوي في السياسي، ولا سياسي في الدعوي» يمكن أن يتفاقم حاله مع ترسخ المفهوم بصورة خاطئة دون تأصيل واضح لمعناه ولوازمه.

والحاصل أن الإسلاميين شرعوا في تعاطي هذه الآليات والأفكار دون توفير غطاء شرعي وفكري معلن وواضح للكافة يُسوِّغ هذه التطورات في الممارسة، فتأخر الفكر عن استيعاب الممارسة وقيادتها.

وأُذكِّر هنا بالأوضاع الثلاثة التي تحكم العلاقة بين الأطر الفكرية والشرعية وبين الممارسات العملية..

الوضع الأول: أن تسبق الممارسات بفترة زمنية ملائمة، عملية تأصيل فكري وشرعي وافية، ثم تظل العلاقة بينهما محافظة على الفارق الزمني، وهذه هي الوضعية الطبيعية السليمة.

الوضع الثاني: أن يسبق التأصيل الممارسات العملية بفترة زمنية طويلة، أو أن يحدث «استغراق تأصيلي» لأوضاع افتراضية غير متوقعة، يقع الإسلاميون في أسرها ويتخذونها مرجعية، حتى إذا تغيرت الأوضاع مستقبلاً، فوجئوا بعدم ملاءمتها للواقع، فيضطروا إلى تجاوزها مع ما ينتج عن ذلك من ارتباك منهجي، كما سيأتي..

الوضع الثالث: أن يحدث تداخل بين التأصيل والممارسة، لأسباب مختلفة بعضها يرجع إلى تبدل مفاجئ في الظرف السياسي، وفي هذه الحالة لا يتوفر لدى الكيان الإسلامي وقت كاف للتأصيل الشرعي والفكري قبل البدء في ممارسات عملية جديدة تماماً، وحتى إن توفرت دراسات تأصيلية مسبقة، فكثيراً ما يُكتشف أنها غير ملائمة، أو أن يتخذ الكيان الإسلامي خيارات سياسية سريعة مخالفة لما سبق أن دعت إليه تلك الدراسات القديمة، وبالتالي تفقد قيمتها المرجعية.

في تلك الحالة يجد الكيان نفسه أمام مشكلة مزدوجة، فهو لا يتحرك بدون تأصيل كاف فقط، بل هو يتحرك في اتجاه معاكس لما سبق أن قرره في أدبياته طيلة السنوات الماضية، وبذلك يكون عليه واجبان، الأول: أن يسوغ المخالفة، والثاني، أن يسوغ الموقف الحالي.

عندما يجد الكيان نفسه عاجزاً عن أداء هذين الواجبين، يلجأ إلى إدارة «مؤقتة» لذلك الموقف المعقد عن طريق «الفتاوى» السريعة، أو تجزئة المشهد السياسي وإصدار أحكام جزئية – لا كلية – تحول دون التورط في تبني مواقف شاملة متعجلة، وهذه الطريقة تساعد بالفعل في تجاوز وقتي للأزمة، لكنها لا تصلح مرتكزاً دائماً، إذ يُتوقع أن يؤدي استمرارها إلى خلل متنام وفجوة منهجية بين التأصيل والممارسة..

ومن أبرز ملامح هذه الفجوة، أن تجد أناساً يشاركون في العمل الإسلامي السياسي، ثم يطرحون قضايا أولية يُفترض أنها حُسِمت قبل دخولهم، بل إن مشاركتهم نفسها بُنيت علي حسمها، وهذا يعني أن إعادة طرحها من جديد تكشف عن شعورهم بفجوة ذاتية في البناء الفكري، مثل: الموقف من الديمقراطية، أو مراحل تطبيق الشريعة، أو التدرج نحو نظام إسلامي.

وهذا التناقض يمكن تلخيصه بكلمات يسيرة بأنه «طرح أسئلة المرحلة الأولى ونحن على مشارف الانتهاء من المرحلة الثانية»، أو أنها عملية «جلد ذات» متأخرة نتجت عن ضعف التأصيل الذي أشعر هؤلاء بأنهم يرتكبون مخالفات بمشاركاتهم السياسية، فمن ثَم يندفعون إلى تبرئة أنفسهم أو -إراحة ضمائرهم- بالاستمرار في طرح التساؤلات، وربما يتبنون مواقف متناقضة مع فلسفة المشاركة ذاتها...

إنه ثقب أسود يتنامى بين التأصيل الممارسة، ما لم يسارع علماء الإسلاميين ومفكروهم إلى سده أو ردمه، فربما يتمدد مبتلعاً كثيراً من إيجابيات المشاركة السياسية للتيارات الإسلامية.

الآن..

" من لم يتبين معنى الألفاظ
المفردة من القرآن أُغلق عليه
باب التدبر "

بدر
٠٥٠٨٩٤٨٩٤٧

الرياض ـ هاتف ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس ٤٥٣٢١٢١
المشاريع ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢-٠٥٠٢٢١٠٩٢٠- ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦- ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥-٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ الجنوبية ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
الشرقية ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ القصيم ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

مجلة البيان وجميع إصداراتها المتنوعة متوفرة
بمتجر آبل الإلكتروني لأجهزة آيباد وآيفون.
(فقط عليك تحميل تطبيق البيان)

هدية لجمهورنا الكريم، عدد المجلة لشهر جمادى الآخرة 1433هـ

مجانا على المتجر بالإضافة إلى الأعداد السابقة

سوق.com
الطريقة الأسهل للبيع و الشراء

وما زالت عروضنا مستمرة
في الأسواق الإلكترونية

www.albayan.co.uk

مجلة البيان

www.albayan.co.uk

تفاعل معنا إلكترونياً

YouTube

موقع البيان الإلكتروني
يطلق نافذته الإندونيسية

bayan@albayan.co.uk

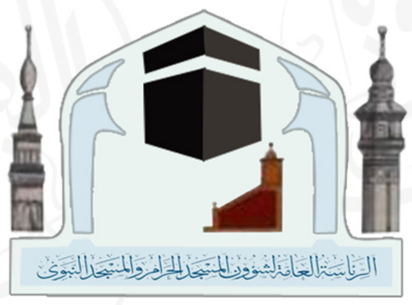

تعلن إدارة دورات حفاظ الوحيين
عن بدء التسجيل في :

الدورات الصيفية المكثفة ١٤٣٣هـ

بالمسجد الحرام
مدة الدورة أربعون يوماً من ١٨ / رجب إلى ٢٨ / شعبان

والمسجد النبوي
مدة الدورة ثلاثون يوماً من ٢٣ / رجب إلى ٢٢ / شعبان

:: فروع الدورة ::

- حفظ (المتفق عليه) من كتاب الجمع بين الصحيحين .
- حفظ (مفردات البخاري ومسلم) من كتاب الجمع بين الصحيحين .
- حفظ (زوائد السنن على الصحيحين).
- حفظ (زوائد مسند الإمام أحمد على الكتب الثمانية) .

:: للتسجيل ::

www.alwahyaen.net

:: للإستفسار ::

٠٥٠٢٧٢٩٣٨٣
٠٥٠٠٩٧٦٣٤٧

ينتهي التسجيل :
١٥ جمادى الثاني ١١٤٣٣هـ